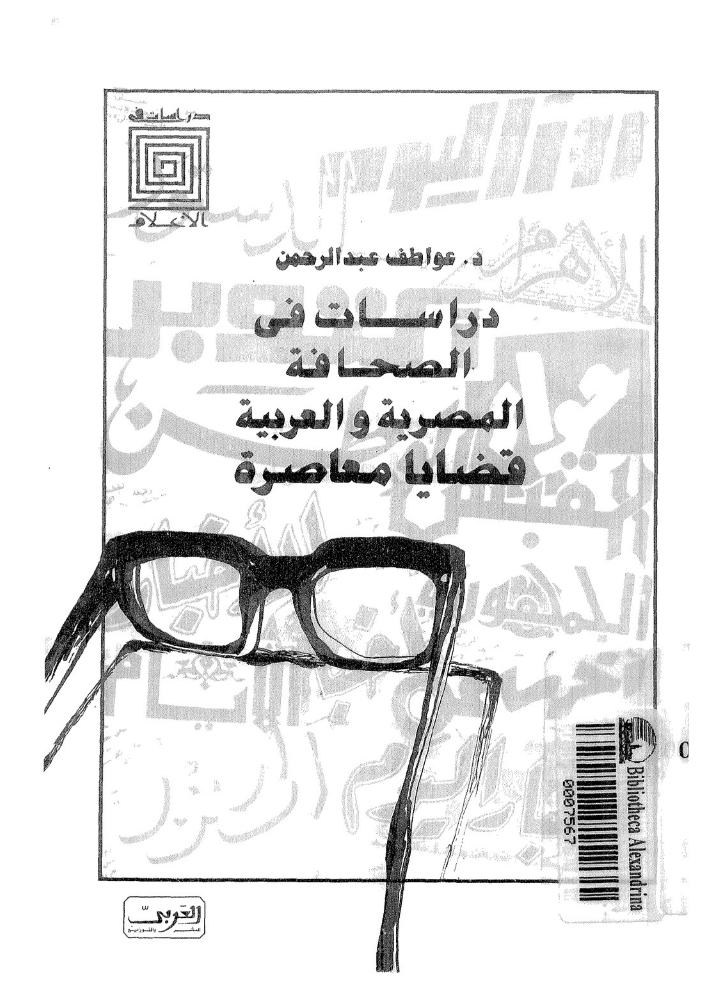
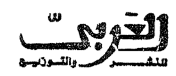

دراسات في
الإعلام
د. عواطف عبد الرحمن
دراسات فى
الصحافة
المصرية والعربية
قضايا معاصرة
العربي
للنشر والتوزيع

د. عواطف عبدالرحمن

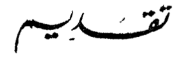
دراسات فى الصحافة المصرية والعربية قضايا معاصرة



شارع القصر العينى ـــ القاهرة
ت : ٣٥٤٧٥٦٦

الإهداء

الى الزميلة الفاضلة التى رحلت قبل الأوان الدكتورة سوسن عبد المالك اعتزازا بالنبل وروح الزمالة الرفيعة التى كانت تجسدها ..



تقديم

يضم الجزء الثانى من كتاب (دراسات فى الصحافة المصرية والعربية) مجموعة من الدراسات والمقالات التى تعد مكملة للدراسات التى يتضمنها الجزء الأول .

ورغم الفاصل الزمنى بين الجزئين الا أنهما ينطلقان من محاور مشتركة تدور حول مجموعة القضايا الوطنية والاجتماعية والديمقراطية التى انشغلت بها الصحافة المصرية والعربية وتفاعلت معها سلبا وايجابا خلال حقبة الثمانينات .

اذا كان الجهد الفردى يعد الملمح البارز لمعظم هذه الدراسات فان مضامنيها بكل ما تحمله من معلومات وأفكار ومعالجات منهجية تعكس التفاعل المتجدد والتواصل مع مجموعات الباحثين والمهتمين والدارسين فى مجال العلوم الاجتماعية والانسانية وفى قلبها علوم الصحافة والاعلام .

والواقع أن الفاصل الزمنى بين الجزء الأول والجزء الثانى الذى يزيد عن الخمس سنوات يعد عمر الجزء الثانى حيث تم اجراء معظم هذه الدراسات فى مناسبات اكاديمية وعلمية مختلفة تتراوح ما بين المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش المحلية والعربية والدولية وهى ان كانت تمثل نوعيات ومستويات متباينة فى مضامينها ورؤاها غير أنها فى فى مجملها تتفق فى أن كل دراسة قد أجريتها كانت استجابة لرغبة ذاتية أصيلة وتعبيرا عن انشغالى بتلك القضايا والهموم التى بدأت فى الغالب كتساؤلات عامة انبثقت فى المدرج أحيانا من خلال التفاعل الوجدانى والعقلى الذى يجمعنى وطلابى فى أطر انسانية تتجدد دوما أو عقب قراءة بعض الدراسات المتخصصة أحيانا أخرى أو من خلال احدى الندوات

أو حلقات النقـــاش سواء فى اطار الدائرة المتخصصة أو الدوائر الاخرى التى تتميز بصلاتها المباشرة أو غير المباشر بالاعلام والصحافة وخصوصا فى مجال الدراســات التاريخية أو البحوث السياسية أو الاجتماعية .

واذا كان الجزء الاول قـــد ركز على صعيد الصحافة المصرية على الدور المجيد الذى قامت به الصحافة المصرية فى مواجهة مؤامرات القصر بالتحالف مـــع الاحتلال البريطانى وحكومات الاقلية ضـــد الحركة الوطنية المصرية خصوصا فى فترة ما بين ثورة ١٩١٩ ومعاهـــدة ١٩٣٦ فان الجزء الثانى يحاول استكمال الرؤية لدى الباحثين بمحـــاولة استطلاع الادوار المختلفة للصحافة المصرية منذ قيام ثورة يوليـــو عام ١٩٥٢ مرورا بمراحلها الأربعـــة (التجريبية ــ الناصرية ــ الساداتية ــ مبارك) مركزا على التغيرات الاعلامية والصحفية فى اطار سياق اشمل يضم التغيرات المجتمعية التى طرأت على الواقع المصرى بفعل ممارسات النخبة الحاكمة خـــلال الثلاثين عاما المـــاضية .

وقـــد كان المؤتمر الأول للعلوم السياسية الذى عقـــدته كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة خـــلال ديسمبر ١٩٨٧ مجالا ملائمـــا لطرح السؤال المركزى عن طبيعة الأدوار التى قامت بها الصحافة المصرية منذ ثورة يوليـــو وهل انحصرت هـــذه الأدوار فى دعم وتبرير السياسات الرسمية أم حاولت نقـــد هـــذه السياسات وطرح رؤى بديلة .

وقـــد اعتمدت على الصحف كمصادر أساسية مـــع عـــدم اغفالى للجهـــد الرائد الذى قام به الباحثان د. كرم شلبى و د. ليلى عبد المجيد فى اقتحام هـــذا المجال ومعالجته على المستوى الأكاديمى .

ويأتى الموضوع الثانى عن (الصحافة المصرية والعـــدوان الثلاثى ١٩٥٦) كى يبرز البعـــد الوطنى للصحافة المصرية خـــلال الحقبة الناصرية حيث طرحت أول مواجهة مصرية مسلحة للحلف الاستعمارى الصـــهيونى تحـــديات سياسية واعلامية لم تشهدها الصحافة المصرية من قبـــل وقـــد اجتازت الصحافة المصرية هـــذا الاختبار الوطنى والمهنى بكفاءة مهنيـــة

رفيعة المستوى والتزام وطنى شهد له الجميع وتركت لنا تجربة رائدة تمثلت فيما قامت به صحيفة (المساء) سواء فى تغطية المعارك او تعبئه الرأى العام أو ابراز المعانى والقيم الجديدة التى جسدتها البطولات الشعبية فى بور سعيد والسويس دفاعا عن استقلال الوطن ووحدة اراضيه . ومن الناحية المنهجية يمكن تصنيف الدراسة الأولى (الصحافة المصرية أداة تغيير أم آلية استمرار) ضمن الدراسات التطورية المقارنة التى تستند الى اطار مرجعى متكامل يستفيد من كافة الدراسات السابقة التى اجريت عن الصحافة وثورة يوليو ويستثمر النتائج التى توصلت اليها هذه الدراسات فى صورة فروض مع طرح تساؤلات جديدة تستهدف الكشف عن الجوانب التى لم تركز عليها هذه الدراسات او تناولتها بصورة عابرة وذلك انطلاقا من رؤية تكاملية للظاهرة الاعلامية فى سياقها المجتمعى والتاريخى مع مراعاة رصد وتحليل العلاقة الجدلية بين الصحافة من ناحية وسائر الظواهر السياسية والاجتماعية والثقافية التى حفل بها المجتمع المصرى اثناء فترة الدراسة من ناحية اخرى . اما الدراسة الثانية فهى تعد دراسة استطلاعية وصفية تم تناولها فى اطار تاريخى بنائى مستهدفه الكشف عن أحد الادوار التاريخية الهامة التى قامت بها الصحافة المصرية فى ظل ظرف استثنائى هو تعرض الوطن للعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ . وقد اعتمدت الدراسة على أسلوب التحليل الكيفى المتعدد المستويات لابراز الوجوه المتعددة لهذا الدور وقد تم استبعاد الأسلوب الكمى الاحصائى حرصا على عدم تفتيت الظاهرة المدروسة ولضمان التوصل الى رؤية شاملة تتجاوز بشمولها وتكاملها الدقة والموضوعية المستمدة من التحليل الكمى .

ويضم القسم الثانى من هذا الكتاب أربعة موضوعات تدور حول حقوق الانسان العربى مع التركيز على حق الاتصال فى اطار التشريعات والمواثيق العالمية وفى ضوء الممارسات الاعلامية الراهنة فى الوطن العربى وذلك فى محاولة للاجابة على سؤال يطرح نفسه بالحاح على كافة المشتغلين بالاعلام من الأكاديميين والممارسين العرب وهو هل يمكن أن يحصل المواطن العربى على حقوقه الاعلامية والاتصالية فى اطار حرمانه شبه المطلق من سائر حقوقه المجتمعية المادية والمعنوية .. ؟) .

كما تتناول البعـــد المحظـــور فى الدراسات الاعلامية والمقصود به دراسات الجمهور والرأى العام .

وتأتى قضية الرأى العام العربى وهل يمكن استطلاعه أو قياســـه كى تثير من التساؤلات أكثر ممـــا تطرح من اجابات على اساس أن هـــذه القضية تعـــد من المحظـــورات التى يصعب الاقتراب منها سواء بالاستطلاع أو الدراسة لأن قياس الرأى العام يعـــد من أعمال السيادة الوطنية وهذا العرف أصبح فى مرتبة القانون غير المكتوب على مستوى كافـــة الأنظمة السياسية فى العالم فضلا عن الوطن العربى بأوضاعه المتميزة حضـــاريا وسياسيا واجتماعيا . ورغم تعـــدد مراكز بحوث الرأى العام فى الدول الغربية وخصوصا الولايات المتحدة وفرنسا فمن المعروف أن سياساتها وبرامجها البحثية توضع فى اطار السياسة العامة للدولة وفى ضوء أولويتها الداخلية والخارجية وذلك على الرغم من المظهر الاستقلالى الذى تحاول أن تبدو عليه هـــذه المراكز وان كان هـــذا لا يعنى غياب الدراســـات الخاصـــة بجمهور القراء والمستمعين والمشاهدين لترشيد الأداء الاعـــلامى وحرصا على تلبية بعض الاحتياجات الاعلامية والاتصالية للجماهير فى بعض الدول الغربية . أما بالنسبة للعالم الثالث فالأمر يزداد سوءا بسبب الغياب المطلق لهـــذا النوع من الدراسات التى أصبحت حكرا على المؤسسات والأجهزة الأمنيـــة .

ولم يحدث أن أقدمت أى حكومة أو منظمة عربية على اجراء استطلاع أو قياس للرأى العام العربى تجاه أى قضية رغم ما يحفل به العالم العربى من قضايا واشكاليات سياسية وثقافية واجتماعية جـــديره بالتعرف على رأى واتجاهات الجماهير العربية ازائها وان كانت ظاهرة الاستفتاءات قـــد انتشرت فى الأونة الأخيرة ومعظمها يتعلق بموضوعات انتخابية أو بشـــأن اصـــدار تشريعات أو تدابير حكومية معينة .

وهنا تبرز المحاولة الرائدة التى قام بها مركز دراســـات الوحـــدة العربية عام ١٩٨٠ بتكليف فريق من الباحثين العرب باعـــداد دراســـة ميدانية حـــول اتجاهات الرأى العام العربى نحو قضية الوحـــدة العربية وقـــد حاولت أن أضع هـــذه المحاولة فى سياقها النظرى والمنهجى الصحيح

فى ضوء الصعوبات السياسية والاجتماعية التى تحيط بتجربة الاستطلاعات عموما مع عــدم اغفال السمات النفسية والذهنية الخاصة التى تتميز بها الجماهير العربية فى ظل الاوضاع السياسية والاجتماعية المعاصرة .

والواقع أن هـــذه الدراسات تطرح من الاسئلة وعلامات الاستفهام أكثر ممـــا تضيف من اجابات أو معلومات جـــديده فهى تركز على بعض الأولويات التى تصل الى مرتبـــة البديهيات مثل حقـــوق الانسان العربى الاجتماعية والسياسية والثقافية والاعلامية التى اكدتها الثورات المعاصرة وتم ارسائها فى صورة نصوص شبه مقـــدسة تضمها كافـــة المواثيق العالميـــة والمحلية ولكن يفصلها عن الواقع المعاش حواجز ومصالح ومسافات تجعل تحقيقها وتحـــويلها الى جزء من الواقع العربى الراهن شيئا يشبه المستحيل وقـــد شغلتنى هـــذه الهموم كمواطنه عربية وكمتخصصة فى الصـــحافة والاتصال فسعيت الى استجلاء الحقيقة من خلال هـــذه البحـــوث التى استهدفت التعرف على حقيقة الدور الذى تقوم به الصحافة العربية سواء فى تنـــوير الرأى العام بهـــذه الحقوق والدفاع عنها أم فى تزييف الوعى بهذه الحقوق وتعمية الرأى العـــام عن الانتهاكات التى تمارس يوميا ضـــد كافة حقـــوق الانسان بدءا بحقـــه فى الحيـــاة وانتهاء بحقه فى التعبير والمعرفة والمشاركة فى تقرير مصيره .

وتأتى الخاتمة فى صـــورة محاولة للاجابة عن سؤال مركزى حـــول القضايا النسائية والشرائح الاجتماعية النسائية التى تستقطب اهتمـــام الصحف اليومية والمجلات النسائية التى تصدر فى منطقة الخليج العربى .

وقـــد يلاحظ على هـــذه الدراسات ثمـــة تداخـــل أو تكرار لبعض الجوانب التى تتناول البنية السياسية والاجتماعية والثقافية للمجتمعـــات العربية المعاصرة ويعزى ذلك الى طبيعة الظروف التى أجريت اثنائهـــا كبحوث أو أوراق علمية قـــدمت فى اطار مؤتمرات وندوات علمية منفصلة ومتباعـــدة ممـــا دفعنى الى تجميعها وعرضها بصورة أتمنى أن يتحقق من خلالها التكامل المنهجى والموضوعى المنشود .

وانى اذا كنت قـــد اهـــديت الجزء الأول من هـــذا الكتاب الى طلابى

الذين استلهم منهم الامل والقدرة على الاستمرار فأنني اهدى الجزء الثانى الى فاضلة رحلت قبل الأوان هى الدكتورة سوسن عبد المالك التى اسعدتنا برفقتها وزمالتها القصيرة المدى والعميقة الأثر اعتزازا بروح النبل والزمالة الرفيعة التى كانت تجسدها . ويبقى الشكر والامتنان الى رفاق الطريق الصعب اهلى وأصدقائى وطلابى .

عواطف عبد الرحمن

قليوب — نوفمبر ١٩٨٨

الصحافة المصرية المعاصرة
أداة تغيير أم آلية استمرار
فى اطار النظام السياسى الراهن

ان محاولة استطلاع الأدوار المختلفة التى قامت بها الصحافة المصرية منذ قيام ثورة يوليــو عام ١٩٥٢ مرورا بمراحلها الأربعة (التجريبية ــ الناصرية ــ الساداتية ــ مبارك) يستلزم التعرف على الملامح الأساسية التى تميزت بها السياسة الاعلامية فى كل مرحلة من تلك المراحل أى تحديد الخط العام للدولة فى المجال الاعلامى عبر تلك الفترات .

والواقع ان هناك شبه اجماع بين أساتذة الاعلام سواء هؤلاء الذين ينتمون للمدرسة الغربيه بمختلف تياراتهـــا التقليـــدية والراديكالية مثل (شرام ، شيلر ، هالوران ، جربنر) أو الذين يتزعمون المدرسة الاشتراكية مثل سازورسكى ــ نورد نسترنج ــ ماتليارث) أو أولئـــك الذين برزوا فى العالم الثالث مثل (حميد مولانا ــ فرانك أوباجا ــ الفريد أوبوبو ــ رايس ماثا) على أنه ليس هنا ك ايديولوجية للدولة وأخرى لوسائل الاعلام بل هناك أيديولوجية واحــدة تحــدد الخط السياسى والاقتصادى والاجتماعى للدولة كما تحــدد موقف الدولة من الاعلام وادواره ووظائفه التى تتكامل مـــع سائر مؤسسات الدولة مستهدفة تحقيق التوازن الذى يؤدى الى دعم وحماية قيم ومصالح وأهـــداف الطبقة أو مجموعة الطبقات أو القوى الاجتماعية التى تسيطر على وسائل الانتاج الأساسية فى المجتمع وتتحكم بالتالى فى أدوات التعبير السياسى والنظام التعليمى والثقافى .

ويأتى الاعلام كى يجسد من خلال الكلمة المطبوعة والمسموعة والمرئية هـــذا البناء المتشابك بجوانبه المـــادية والفكرية فى اطار صيرورى متواصل ومن هنا يمكن القـــول بأن السياسة الاعلامية هى التلخيص النوعى المتميز الذى يجسد الواقـــع الاجتماعى بصراعاته وتناقضـــاته وسياقه التاريخى مستخدما وسائل الاعلام كوسائط وأدوات للتعبير والتوجيه والضـــــبط الاجتماعى ، واذا كانت السياسة الاعـــلامية تكشف من خلال القـــوانين والتشريعات الاعلامية المدونة عن طبيعة السلطة الحاكمة من حيث انتمائها

الاجتماعى أو توجهاتها السياسية فان نمط الملكية الاعلامية السائد ومدى تدخل السلطة الحاكمة فى توجيه الأداء الاعلامى وتحديد نوعية المضامين الاعلامية يمثلان المعيار الحاسم فى تحديد الاطار النهائى للسياسة الاعلامية . واذا سلمنا بهذا الاطار النظرى الذى يحدد ويوضح ابعاد العلاقة الأيديولوجية والسياسية بين الدولة ووسائل الاعلام والذى يعد بمثابة مدخل ضرورى للتعرف على ملامح وأسس العلاقة المتعددة الأوجه التى تربط قيادة ثورة يوليو بوسائل الاعلام المصرية فان تحليلنا سيقتصر على تناول العلاقة الخاصة بين ثورة يوليو والصحافة المصرية المعاصرة وذلك فى محاولة للاجابة على السؤال المحورى الذى نطرحه هذه الورقة عن طبيعة الأدوار التى قامت بها الصحافة المصرية منذ قيام ثورة يوليو وهل انحصرت هذه الأدوار فى دعم وتأييد وتبرير السياسات الرسمية أم فى نقد هذه السياسات وطرح رؤى بديلة تمثلت فى حرصها على تزويد القراء والمواطنين بالمعلومات والآراء والأفكار المختلفة حول القضايا الوطنية والعربية والعالمية . وذلك سعيا للتوصل لى استكشاف وتحديد القوانين الجزئية التى تحكم البعد الذاتى والموضوعى فى علاقة الصحافة بالسلطة السياسية خلال فترة تاريخية محددة تشمل المراحل المختلفة لثورة يوليو .

ويلاحظ أن هناك اتفاقا بين معظم الدراسات والبحوث التى اجريت عن ثورة يوليو وآثارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الواقع المصرى المعاصر على حقيقة أولية تتلخص فى أن مجموعة الضباط الأحرار التى كانت تمثل القيادة الفكرية والسياسية للثورة لم تطرح تصورا سياسيا أو فلسفة اجتماعية محددة وانما بدأوا بالممارسة المباشرة ملتزمين منهج التجربة والخطأ . ولذلك يمكن القول أن التوجه الفكرى والسياسى لقيادة ثورة يوليو قد تبلور من خلال الممارسات العملية ولم ينبثق عن التزام أيديولوجى سابق . وقد اعترف الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بأن قادة حركة الجيش لم يكن لديهم فكرة واضحة عما يجب أن يفعلوه عندما وجدوا انفسهم فجأة فى مقاعد السلطة . والواقع أن النخبة العسكرية الحاكمة كانت تتكون من خليط من الانتماءات الفكرية والسياسية التى تعد نتاجا طبيعيا لمرحلة الأربعينيات والتى كانت تتراوح ما بين التوجه الاسلامى والاتجاهات الماركسية وان كانوا جميعا ينحدرون من الشرائح الدنيا

الطبقه لوسطى . وقد ترك هذا الخليط الفكرى المتباين انعكاساته السلبية الواضحة على الممارسات السياسية لمجلس قيادة الثورة وخصوصا فى المرحلة الأولى للثورة (١٩٥٢ — ١٩٥٤) وأسفر عن العديد من الخلافات والتصفيات .

وانطلاقا من المنظور التكاملى الذى ينأى عن التجزىء المتعسف للظواهر المجتمعية ويؤمن بوحدة الأنشطة الانسانية وتكاملها مهما اختلفت أو تنوعت مظاهرها او تعددت أشكالها المعرفية لذلك فان تناولنا للتغيرات الاعلامية (الصحفية على وجه الخصوص) سيتم فى اطار سياق اشمل يتضمن التغيرات المجتمعية التى طرأت على الواقع المصرى بفعل ممارسات النخبة الحاكمة خلال ثورة يوليو وهى تتمثل فى أربعة مراحل .. يتم تناولها على النحو التالى :

المرحلة الاولى :

وتتضمن الفترة من ١٩٥٢ — ١٩٥٤ وتبدأ بقيام الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتنتهى بانتهاء ما يسمى بأزمة مارس ١٩٥٤ حيث شهدت مصر فى تلك الفترة احداثا سياسية حاسمة أسفرت عن بلورة الموقف الأساسى لثورة يوليو من قضية الديموقراطية كما حسمت قضية استمرار العسكريين فى السلطة أو عودة الحياة النيابية الى مصر بعد أقل من عامين من قيام الثورة .

المرحلة الثانية :

وتشمل الفترة الناصرية التى تبدأ من أبريل ١٩٥٤ حتى سبتمبر ١٩٧٠ حيث يمكننا أن نميز بين مرحلتين رئيسيتين داخل هذه الفترة وترتبط هاتان المرحلتان بالتطور الذى طرأ على التكوين الفكرى للزعيم عبد الناصر وانعكس بدوره على الواقع المصرى وعلى الخريطة الصحفية كقطاع متميز من قطاعاته .

فالمسافة الزمنية التى تفصل بين صدور الوثيقة السياسية الأولى لثورة يوليو وهى (فلسفة الثورة) والوثيقة الثانية للثورة التى تمثلت فى

الميثاق تمثل الفاصل الزمنى بين المرحلتين . كذلك تبرز الفروق الجوهرية بين مضمون الوثيقتين حيث تشتمل الوثيقة الاولى على الملامح العـــامة لأحلام عبد الناصر وخواطره فى المسألة الوطنية والاجتماعية بينما تحمـل الويثقة الثانية صياغة محـددة وحاسمة للخط الفكرى والسياسى الذى تبناه عبد الناصر والذى يفصح عن انحيازه الواضح لمصالح الطبقات الشعبية فى مصر . وهنا يمكننا أن نطلق على المرحلة الأولى من الفترة الناصرية المرحلة التجريبية وهى تمتد من ١٩٥٤ — ١٩٦١ حيث شهدت الصحافة فى نهايتها تغيرات جـذرية فى أوضاعها التنظيمية وعلاقتها بالسلطة السياسية تمثلت فى صـــدور قانون تنظيم الصحافة (مايو ١٩٦٠) .

أما المرحلة الثانية ويطلق عليها مرحلة التحول الى الاشتراكية وتبدأ بقوانين يوليـــو ١٩٦١ حتى وفاة عبد الناصر ١٩٧٠ . والواقع أن هـــذا التقسيم لم يتم بنـــاء على التغير الفكرى الذى طرأ على قيادة الســـلطة السياسية لثورة يوليـــو فحسب بل يدخـــل فى اعتباره بنفس القـــدر من الأهمية المعيار المجتمعى الذى يشير الى التغيرات التى طرأت على البنية المـــادية والثقافية للمجتمع المصرى فى تلك الفترة .

المرحـــلة الثالثة :

ونشمل الحقبة الساداتية من أكتوبر ١٩٧٠ — اكتوبر ١٩٨١ حيث شهد المجتمع المصرى بداية مراجعة شاملة للسياســـة الناصرية تمثلت فى الاتجاه نحو الغرب ومقاطعة الاتحاد السوفيتى والعـــدول عن الاجراءات الاشتراكية واعـــلان سياسة الانفتاح لاقتصادى وتبنى صـــيغة التعـــددية الحزبية وتوقيع معاهـــدة الصلح المنفرد مـــع اسرائيل وقـــد كان لهـــذه التغيرات وقعها المباشر فى المجال الاعلامى وخصوصا الصحافة حيث شهدت صـــدور العـــديد من القرارات التى انتهت بصـــدور قانون سلطة الصحافة رقم ١٤٨ لعام ١٩٨٠ وأسفرت عن بروز خريطة جـــديدة للصحافة المصرية تمثلت فى ظهور الصحف الحزبية الى جانب الصحافة القومية التى كانت سائدة من قبل علاوة على وقوع العـــديد من الصـــدامات بين قيادة السلطة السياسية وبين الصحفيين وجهازهم النقابى .

المرحــلة الرابعة :

وتبــدأ بعــد اغتيال السادات وتولى حسنى مبارك للسلطة منــذ أكتوبر ١٩٨١ حتى اللحظة الراهنة عام ١٩٨٧ وأهم ما يميزها اتســاع الهامش المسموح به نسبيا لحرية التعبير والحركة السياسية المتعــددة المراكز والاتجاهات مــع بقاء واستمرار التركة الساداتية المتمثلة فى العلاقات الخاصة مــع الولايات المتحدة والقوانين الاستثنائية والمعاهــدة المصرية الاسرائيلية والانفتاح الاقتصادى والمقاطعة العربية لمصر .

وقــد انعكس ذلك على الخريطة الصحفية التى لم تشهد تغيرات ذات بال فيما عــدا ظهور بعض الصحف الحزبية الجــديدة . وتلخص المراحل السابقة الاطار الزمنى للعلاقة بين الصحافة والسلطة السياسية أما أبعاد هــذه العلاقة من الناحية الموضوعية فهى تتضمن ما يلى :

١ ــ البعــد التنظيمى ويشمل :

(أ) التشريعات الاعلامية (قوانين المطبوعات) .
(ب) الممارســات (العلاقة الفعلية) .

٢ ــ البعــد الاقتصادى ويشمل نمط الملكية والتمويل .

٣ ــ البعــد الفكرى ويتضمن مواقف الصحافة المصرية من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية خلال مراحل الثورة ويمكن عرضــها

على النحو التالى :

المرحــلة الأولى : ١٩٥٢ ــ ١٩٥٤ :

وتشمل قضــيتين همــا :

(أ) الصحافة والغــاء الأحزاب .
(ب) الصحافة وأزمة مارس ١٩٥٤ .

المرحــلة الثانية : أولا : من ١٩٥٤ ــ ١٩٦٠ :

وتشمل قضية واحــدة هى الصحافة والانتخابات عام ١٩٥٧ .

ثانيا : من ١٩٦١ ــ ١٩٧٠ :

وتشمل قضيتان هما :

(أ) التحول الاشتراكى .

(ب) الصراع العربى الاسرائيلى .

المرحلة الثالثة : ١٩٧١ ــ ١٩٨١ :

وتشمل قضيتين هما :

(أ) الانفتاح الاقتصادى .

(ب) الصلح مع اسرائيل .

مع مراعاة ظهور الصحف الحزبية فى تلك الفترة وادخالها فى اطار العينة المدروسة .

المرحلة الرابعة : ١٩٨٢ ــ ١٩٨٧ :

وتشمل قضيتين هما :

(أ) الانتخابات ١٩٨٤ ، ١٩٨٧ .

(ب) الدعم .

المرحلة الأولى : يوليــو ١٩٥٢ ــ مارس ١٩٥٤

شهدت هــذه المرحلة حــل الأحزاب السياسية (يناير ١٩٥٣ ومصادرة أموالها والاعــلان عن فترة انتقــال مدتهــا ثلاث ســنوات . وقــد ترتب على ذلك توقف صــدور الصحف الحزبية التى كانت تصــدر عن الأحزاب الملغــاة وتشمل صحف الوفــد ــ المصرى ــ صوت الأمة ــ الطليعة مضافا اليها ٤٢ صحيفة أخرى صــدر قرار وزارى فى مايو ١٩٥٤ باثبات عــدم انتظام صــدورها منها بعض الصحف الحزبية . علاوة على الأمر العسكرى الذى صــدر فى ١٨ يناير ١٩٥٣ والذى يقضى بتعطيل ومصادرة بعض الصحف والمجلات مثل الصباح والنذير ومنها الصــحف المــاركسية وهى الكاتب والملايين والواجب وصوت الطالب وذلك بسبب كتاباتها النقــدية المعارضة لحركة الجيش وتصاعد هــذا النقــد بعــد اعــدام العاملين خميس والبقرى الذين اتهما فى حوادث مظاهرات العمال فى كفر الدوار فى سبتمبر ١٩٥٢ وقدما لمجلس عسكرى أصدر الحكم باعدامهما .

وقــد سجلت هــذه المرحلة تصاعــد أزمة الثقة بين النخبة العسكرية ورجال الصحافة بسبب سلسلة المواقف العــدائية التى اتخــذتها حركة الجيش من الصحافة والتى استهلتها بالأمر العسكرى رقم ١ فى ٢٥ يوليــو ١٩٥٢ عقب القــاء القبض على مصطفى أمين بسبب (محاولة نشر أنبــاء تشوه قومية ونزاهــة الحركة العسكرية) ولذلك تقرر فرض رقابة قبــل النشر وضرورة الحصول على أمر كتابى من الرقيب الحربى بأجازة النشر والتهديد بمصادرة الصحيفة وتعطيلها نهائيا فى حالة مخالفة هذه التعليمات .

وازاء احتجاج الصحفيين على فرض الرقابة اعلن مجلس قيادة الثورة عن رفعها فى ٣١ يوليــو ١٩٥٢ مشيرا الى انه سوف يعتمد على ضمير الصحفيين وقــدرتهم على التمييز بين ما يجب أن ينشر او لا ينشر مؤكدا أنه لن يسمح بالهجوم على الثورة وأهــدافها غير أن الرقابة لم تلغ بالفعل ،

الا فى ١٢ أغسطس ١٩٥٣ بالأمر العسكرى رقم ٣٩ وسرعان ما أعيدت مرة أخرى فى أكتوبر من العام نفسه بالأمر العسكرى رقم ٥٢ لأسباب تتعلق بحماية الأمن والنظام العام ، كما جاء فى بيان الحاكم العسكرى العام . وأصبح التوتر والقلق وعدم الثقة هى القانون الذى يحكم علاقة القيادة بالصحافة والصحفيين بسبب توالى قرارات المصادرة واعتقال بعض الصحفيين . وتصاعدت شكاوى الصحفيين من اشتداد قبضة العسكريين وتصدت مجلة روز اليوسف(*) للتعبير عن قلق الصحفيين واحتجاجهم مطالبة بضرورة رفع الرقابة . كذلك شاركت صحيفة المصرى فى المطالبة بضرورة انهاء الأحكام العرفية واغلاق المعتقلات التى ظلت مفتوحة منذ قيام الثورة .

ولكن استمر التصعيد من جانب قادة الثورة حيث دابوا على توجيه الاتهامات والهجوم على الصحافة كجزء من هجومهم على الأحزاب والقيادات الحزبية وخصوصا الوفد(١) . وقد بلغت الأزمة ذروتها باثارة قضية ضرورة تطهير الصحافة من الصحفيين الذين كانون يتقاضون المصاريف السرية من الحكومات السابقة وقد شاركت بعض الأقلام فى هذه الحملة(٢) ويمكن ارجاع البداية الصدامية التى تميزت بها العلاقة بين قادة ثورة يوليو والصحافة المصرية فى السنوات الأولى من الثورة الى غياب التصور الاستراتيجى لدى قيادة الثورة وعدم وجود خطة مبرمجة تحدد كيفية التعامل مع القوى السياسية التى كانت تتحكم آنذاك فى الواقع المصرى بمختلف قطاعاته الاقتصادية والسياسية والاعلامية . مما أسفر عن وقوع العديد من الصدامات التى كانت الصحافة أبرز مجالاتها علاوة على الاختلاف الجذرى بين توجهات النخبة العسكرية وحداثة تعاملهم مع رجال السياسة والصحافة وبين هؤلاء الأخيرين الذين لم يتعودوا من قبل مواجهة هذا النمط من السلوك السياسى الذى تشرب بالروح العسكرية وما عرف عنها من نزوع الى العنف والشدة والتسلط .

وقد تميزت الخريطة الصحفية فى مصر عند قيام الثورة بسيادة طابع الملكية الخاصة حيث كانت كل من دار الهلال والأهرام شركة مساهمة لا تخرج عن نطاق العائلة (آل زيدان فى دار الهلال وآل تقلا فى الأهرام) كما كانت كل من روز اليوسف والمصرى والبلاغ منشآت فردية تملك الأولى عائلة فاطمة اليوسف والثانية عائلة أبو الفتح والأخيرة عائلة عبد القادر حمزة

وكانت اخبــار اليــوم المملوكة للاخــوين مصطفى وعلى امين هى الدار الصحفية الوحيدة التى أقامت شركة ذات مسئولية محــدودة هى شركة اعلانات الأخبار(٣٨) الى جانب ذلك كانت هناك الصحف الحزبية وهى صحف خاصة غير تجارية تديرها الأحزاب وقــد توقفت هــذه الصحف بعــــد الغاء الأحزاب فى يناير ١٩٥٣ . مثلما بدأت ثورة يوليــو دون تصـــور استراتيجى مسبق أو خطط محــددة ذات اولويات وبرامج مرحلية فيما عدا المبادىء الستة التى اتسمت بالعمومية ، كذلك لم يكن لهــا تنظيم سياسى يبلور اهــدافها وبرامجها بالمثل لم تكن تملك صــوتا أعلاميا مستقلا ، وكان من الصعب عليها فى البداية أن تستقطب احــدى الصحف القائمـــة كى تجعل منها لسانا ناطقا باسم الثورة . وازاء موجة العــداء التى تصاعدت بينها وبين الصحف الحزبية آنذاك لم يكن أمامها مخرج سوى اللجوء الى اصــدار صحف جــديدة قادرة على التعبير عن توجهاتها وخــوض معاركها ضــد خصومها من رجال الأحزاب والسياسيين والصحفيين الذين كانوا يحتكرون العمل السياسى والصحفى فى مجتمع ما قبــل الثورة . وقــد كانت مجلة التحرير هى باكورة الاصــدارات الصحفية باسم الثورة وقــد صدرت فى سبتمبر ١٩٥٢ كمجلة نصف شهرية عن ادارة الشئون العامة للقــوات المسلحة بعــد أن توالى عليها العــديد من رؤساء التحرير مثل أحمــــد حمروش وحلمى سلام وقاسم جــوده وعبد العزيز صادق وتلتها جريدة الجمهورية التى صــدرت (ديسمبر ١٩٥٣) عن هيئـــة التحرير أولى التنظيمات السياسية التى استحدثتها ثورة يوليــو وأعلنت عن برنامجهــا لأول مرة فى ١٥ يناير ١٩٥٣ أى قبل اعلان حــل الأحزاب السياسية بيوم واحــد فقط . وقــد انبثق وجــودها كضرورة ملحـــة لمساندة الثورة فى مواجهة الفراغ السياسى الذى كان سينجم عن حــل الأحزاب . وقــد تم تشكيل هيئة التحرير من خليط من السياسيين القــدامى والمثقفين والضباط الذين يمثلون شتى الاتجاهات والانتماءات السياسية . وقــد جاء تشكيل هيئة التحرير وبرنامجها متسقا تماما وفكر قيادة الثورة فى ذلك الحين حيث كانت تتطلع الى خلق قاعــدة شعبية من السياسيين والمثقفين والشباب لمؤازرتها . وقــد كان برنامجها أقرب الى المبــــادىء الستة التى تتسم بالعمومية وعــدم التحــديد . وقــد قامت الهيئة بدور ملموس فى التصدى للقــوى السياسية المصرية عندما بدأ الصــدام فى أوائل عام ١٩٥٣ غير أن

أهم أدوارها على الاطلاق هـو ما قامت به في تنظيم عملية الاضراب العـام لنقابات النقـل المشترك وهـو الاضراب الذى انهى أحـداث أزمة مارس ١٩٥٤ لصالح مجلس قيادة الثورة وضـد كل القوى السياسية المصرية التى طالبت بعـودة الأحزاب وعودة الجيش الى ثكناته . وقـد ظلت كل من مجلة التحرير وصحيفة الجمهورية يمثلان الصـوت الرسمى لثـورة يوليـو طوال المرحلة الاولى وان كانت الثورة استمرت فى سياسة اصـدار صحف جـديدة ناطقة بلسانها ومعبرة عن توجهاتها ولكن فى المراحل التالية كما سيأتى ذكره . وقـد شهدت هـذه المرحلة صـدور مجلة الثـورة (فى يناير ١٩٥٤) كلسان ناطق باسم منظمات الشباب وكان شـعارها (لا شرقية ولا غربية) .

انتهت هـذه المرحلة باختفاء الصحف الحزبية وظهور صحف جـديدة ناطقة باسم الثورة هى التحرير ـ الجمهورية ، الثورة واستمرار المؤسسات الصحفية التقليدية ذات الملكية الخاصة مثل در الهلال والأهرام واخبـار اليـوم وروز اليوسـف .

قضـايا المرحلة الأولى : (١٩٥٢ ـ ١٩٥٤) :

واذا كان الغاء الأحزاب ١٦ يناير ١٩٥٣ يمثل أبرز الأحـداث التى شهدتها المرحلة الأولى من ثورة يوليـو فان ما يهمنا هـو رصـد وتحليل موقف الصحافة المصرية من هـذا الحدث فى ضوء السؤال المحورى للورقة .

لوحظ أن الصحف المصرية بمختلف اتجاهاتها لم تشر اطلاقا الى احتمال الغاء الأحزاب الليبرالية عندما ظهرت الدعـوة الى تطهير الأحزاب فى ٣١ يوليو ١٩٥٢ وان كان هناك اختلاف واضح بين معالجات الصحف التقليدية وصحف الثورة لهـذه القضية فقـد دأبت هـذه الصحف (صحف الثورة) على ادانة موقف الأحزابرغم استبعادها تماما لامكانية الغاء هـذه الأحزاب بل وهجومها على هذه الفكرة(٣) ولكن بعد اتخاذ قرار الالغاء اختلف موقف صحف الثورة اذ انخرطت فى محاولة شرح وتبرير ما حـدث من شـد وجـذب بين الثورة والأحزاب مـع استمرار حملاتها لتشويه هـذه الأحزاب والتشهير بها(٤) . وقد حرصت صحف الثورة على تبرير المواقف والاجراءات

التى اتخـــذتها قيـــادة الثورة ضـــد الأحزاب ولم تتوقف حملات الهجوم والتشهير على الأحزاب والسياسيين القـــدامى فى كل من صحيفة الجمهورية ومجلة التحرير وقـــد شارك فيها جمال عبد الناصر وأنور السادات بعـــدة مقالات(٥) . على أن الساحة لم تخل من بعض الأصوات التى أخذت تدعو للعمل الحزبى وحـــق تكوين الأحزاب كشرط أساسى للديموقراطية وأبرز مثال لهـــا الاستفتاء الشهير الذى نشره المصور بعنوان (١٠ آلاف مصرى يقولون كلمتهم فى نظـــام الحكم) وقـــد اعتقل صبرى أبو المجـــد واعتبر هـــذا الاستفتاء دسيسة حزبية(٦) . ويتضح لنا مما سبق أن صحف الثورة هى التى اختطت هـــذا التقليد الذى انتشر وذاع فيما بعـــد وأصبح سمة بارزة فى الصحافة المصرية فى المراحل التالية وهـــو أسلوب التبرير والتفسير والتأييد لكافـــة ما تقوم به الحكومة من اجراءات وما تتخـــذه من قرارات بغض النظر عن مدى صواب أو خطأ هـــذه القرارات والاجراءات .

وهنا نسجل بداية تخلى الصحافة المصرية عن أحـــد وظائفها الرئيسية وهى توعية القراء والمواطنين وتزويدهم بمختلف المعلومات والأفكار والآراء فى القضايا المطروحة عليهم وذلك يهـــدف تنويرهم وتوعيتهم ولن يتأتى ذلك الا من خـــلال ممارسة النقـــد بكافـــة صوره وأشكاله وعرض وتفنيد وجهات النظر المختلفة حـــول القضايا السياسية والاجتماعية .

بعـــد ذلك ننتقل الى الحـــدث الثانى الذى تميزت به المرحلة الأولى من ثورة يوليو وهو ما اصطلح على تسميته بأزمة مارس ١٩٥٤(٧) والمعروف أن هـــذه الأزمة قـــد بدأت باستقالة محمد نجيب فى ٢٣ فبراير ١٩٥٤ وما ترتب عليها من اعلان مساندة بعض وحـــدات الجيش له ثم اندلاع المظاهرات التى نظمتها القوى السياسية والأحزاب الليبرالية والشيوعيون والاخـــوان ، تأييدا له ممـــا أسفر عن سقوط العـــديد من القتلى وتراجع مجلس قيـــادة الثورة مأما هـــذه الأحـــداث وتلى ذلك عـــودة محمد نجيب وصـــدور قرارات ٥ مارس ١٩٥٤ التى تنص على تشكيل جمعية تأسيسية منتخبة تقوم باعـــداد الدستور الجـــديدة واقراره وتقوم بمهمة البرلمـــان حتى يتسنى اجراء الانتخابات وقـــد تقرر بناء على ذلك الغـــاء الأحكام العرفية والغاء الرقابة على الصحف والنشر فيما عـــدا الشئون العسكرية . وقـــد شهدت الصحافة المصرية فى تلك الفترة انفراجـــة لم تتكرر مطلقـــا

بعد ذلك حيث تصاعد وازدهر الجدل والنقاش حول قضية الديموقراطية وظهرت العديد من الكتابات التى طالبت بضرورة النص فى الدستور الجديد على حق الانسان المصرى فى الحرية والسلام والمساواة(٨) كذلك ظهرت الدعوة الى الأخذ بنظامى الجمهورية البرلمانية والاشتراكية(٩) وتعددت الكتابات التى تناولت حقوق المواطنين والانتخابات مطالبة بحق العمل السياسى للاخوان المسلمين والشيوعيين(١٠) .

ومما يجدر ملاحظته أن صحيفة الجمهورية الناطق الرسمى باسم الثورة هى التى اتاحت الفرصة لكافة الاتجاهات بينما سجلت بعض الصحف التقليدية تخاذلا وترددا واضحا تراوح ما بين موقف الحياد السلبى الذى التزمت به الأهرام حيث اكتفت بنشر الأحداث والوقائع دون تعليق وموقف التملق للثورة من خلال تجديد الهجوم على الوفد والتشكيك فى قدرة الشعب المصرى على ممارسة حياة نيابية صحيحة وهو الموقف الذى انتهجته صحف أخبار اليوم(١١) أما روز اليوسف فقد اخذت موقفا صلبا فى الدفاع عن الديموقراطية وتشجيع مجلس قيادة الثورة على السير فى هذا الاتجاه والمطالبة باجراء الانتخابات واعادة الحياة النيابية الى مصر(١٢) . لا شك أن هذه الانفراجية التى شهدتها الصحافة المصرية ترجع فى الأساس الى رفع الرقابة عن الصحف لأول مرة فى مصر بعد قيام الثورة . وقد اسفر ذلك عن ظهور التعددية فى الآراء والاتجاهات التى وجدت طريقها على صفحات صحف الثورة ذاتها فى الوقت الذى لم تتوقف هذه الصحف عن توضيح وتفسير موقف مجلس قيادة الثورة ازاء أحداث مارس مع استمرار التصدى للقوى السياسية القديمة (الوفد والاخوان)(١٣) ويلاحظ أن الاتجاه الرسمى قد سيطر على صحف الثورة بعد الغاء قرارات ٥ ، ٢٥ مارس ١٩٥٤ واختفت الأصوات التى نادت بالغاء الأحكام العرفية وتكوين أحزاب جديدة وحق الاخوان والشيوعيين فى العمل السياسى . وهكذا حسمت القضية لصالح النخبة العسكرية وتوجهاتها وصحافتها ومنذ ذلك الحين سلطات الأضواء الاعلامية على شخصية جمال عبد الناصر خصوصا فى صحيفة الجمهورية ومجلة التحرير وظهرت بعض المقالات التى تهاجم نقابة الصحفيين وتطالب بتطهيرها من الرجعيين .

المرحلة الثانية : الفترة الناصرية ١٩٥٤ ــ ١٩٧٠

تعكس هــذه الفترة التطور التدريجي الذى طرأ على توجهات القيادة السياسية لثورة يوليــو بعــد أن حسمت أحــداث أزمة مارس ١٩٥٤ لصالح التيار الشمولى داخــل النخبة العسكرية الحاكمة حيث تمت تصفية بقــايا الخريطة السياسية القــديمة وانصارها من العناصر العســكرية ذات التوجــه الديموقراطى كمــا اختفت الأصـــوات التى دافعت عن الديموقراطية وحــق الشعب المصرى فى تكوين أحزابه وانتى نادت بالغاء الاحكام العرفية . ويمكن اعتبار الفترة التالية لأحــداث مارس ١٩٥٤ حتى عام ١٩٦٠ ، ١٩٦١ امتدادا لهــا من زاوية استمرار النخبة العسكرية فى التطــور التجريبى خصوصا فى ممارساتها السياسية مــع عــدم الوضوح فى التوجهات الاقتصادية للثورة . أما نقطة الاختلاف الأساسية فهى تتمثل فى انفراد النخبة العسكرية بالسلطة والساحة السياسية واختفاء خصومها السياسيين والأيديولوجيين . والواقع أن هــذه الصراعات التى شــهدها المجتمع المصرى بين قادة ثورة يوليو وسائر القــوى السياسية القــديمة ، وكانت الصحافة ابرز أدواتها ، لم تمس البنية الاقتصادية التى ظلت على ما هى عليه قبل قيام الثورة . وقــد ظــل النظام الاقتصادى الحر هــو السمة الرئيسية الغالبــة على الاقتصاد المصرى حتى عام ١٩٥٧ عندما أعلن لأول مرة فى تاريخ مصر المعاصر أن القيادة السياسية تهــدف الى اقــامة مجتمع اشتراكى ديموقراطى تعــاونى متحــرر من الاســتغلال السياسى والاجتماعى والاقتصـــادى وقــد تواكب ازدياد تدخــل الدولة فى تخطيط وتوجيه الاقتصاد القومى مــع بدء تدخلها الفعلى فى السيطرة على وسائل التوجيه الاعــلامى والوثقافى . فقــد نشأت وزارة الثقافة والارشاد القــومى لأول مرة فى تاريخ مصر فى نفس العام الذى نشأت فيه وزارة الصـــناعة (عام ١٩٥٧) وكلتاهما ترمز الى معنى واحــد هــو تزايد تدخل الدولة فى توجيه الاقتصاد القومى والثقافة القومية كذلك شملت قوانين التأميم الأولى لبعض المشروعات الاقتصادية الهامة فى عام ١٩٦٠ تأميم جميع دور الصحف لصالح التنظيم السياسى (الاتحاد القومى آنذاك) .

وهنا يمكننا أن نميز بين مرحلتين فى اطار الفترة الناصرية . المرحلة الأولى التى تمثل استمرارا للطور التجريبى للثورة مع ظهور بعض الارهاصات التى كانت بمثابة المدخل الانتقالى للمرحلة الثانية التى تمثل بداية التدخل الواعى المقصود من جانب الدولة فى توجيه وادارة القطاعات الرئيسية ونعنى بها الاقتصاد والثقافة والاعلام .

المرحلة الأولى من الفترة الناصرية : ١٩٥٤ — ١٩٦١ :

وقد شهدت هذه الفترة نهاية مرحلة الانتقال وصدور الدستور الجديد فى يناير ١٩٥٦ واعلان قيام الاتحاد القومى حيث جاء النص على تشكيله فى المادة ١٩٢ من الدستور كما نص على أن يتولى الاتحاد القومى الترشيح لعضوية مجلس الأمة وقد لخص عبد الناصر الهدف من قيام الاتحاد القومى بتأكيده على الدور الذى سيقوم به هذا الاتحاد فى صيانة الوحدة الوطنية للبلد ولذلك فهو بمثابة (اطار وطنى يضم كل أبناء الشعب ما عدا العناصر الرجعية والانتهازية وعملاء الاستعمار)(١٤) .

ويلاحظ من مراجعة بيان اللجنة التنفيذية للاتحاد القومى والتصريحات التى ادلى بها عبد الناصر آنذاك وكتابات هذه الفترة أن الهدف الأساسى من تشكيل هذا التنظيم والنص عليه دستوريا هو محاولة خلق شكل تنظيمى بديل للأحزاب مستلهمين تجربة سالازار الدكتاتور البرتغالى المعروف خاصة وأن على صبرى كان قد أوفد فى مهمه رسمية الى البرتغال لدراسة التنظيم السياسى الذى يحمل نفس الاسم ، الاتحاد القومى) والذى اعتمد عليه سالازار فى حكم البرتغال حكما مطلقا لمدة تزيد عن ثلث قرن(١٥) . وكما سيطر العسكريون على هيئة التحرير تكرر نفس الشىء بالنسبة للاتحاد القومى . ورغم أن كلمة الاشتراكية قد ظهرت لاول مرة فى وثائق ثورة يوليو عندما جاء فى نص قرار تشكيل الاتحاد القومى بأنه (تنظيم يضم الحاكمين والشعب ويتيح لهم الفرص للتعاون على علاج المشكلات المحلية والعامة فى ظل المجتمع الاشتراكى الديموقراطى التعاونى وهو سبيلنا الى الديموقراطية السليمة)(١٦) . ومع ذلك فقد منعت العناصر ذات التوجهات الاشتراكية من الانضمام الى الاتحاد القومى .

كذلك جاء فى بيان للجنة التنفيذية للاتحاد القومى أنه تنظيم شعبى لكل المواطنين ، والواقع أنه استبعدت كافة العناصر التى كان لها نشاط سياسى قبل الثورة ويتصدرهم الشيوعيين والاخوان المسلمين . ولذلك اقتصر هذا التنظيم على العسكريين وأهل الثقة من المدنيين واستخدمته رئاسة الدولة كأداة لتبرير وتمرير اختياراتها السياسية مثل حق الاعتراض على المرشحين للانتخابات العامة ولعضوية النقابات ونقل ملكية المؤسسات الصحفية اليه بزعم انه مؤسسة شعبية واتخاذه تنساعا لاخفاء سيطرة الحكومة على الصحافة .

وتتسم هذه المرحلة بالمركزية الشديدة فى بناء أجهزة الدولة حتى قمة الهرم السياسى ممثلا فى رئيس الجمهورية . وقد شهدت مصر فى تلك المرحلة ١١ تعديلا وزاريا منها ٦ تغييرات وزارية فى الفترة من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى ١٧ ابريل ١٩٥٤ أما التعديلات الأخرى فقد جرت فى الأعوام ١٩٥٦ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦١ . واستمرارا لسياسة الثورة فى اصدار صحف جديدة ناطقة باسمها شهدت هذه المرحلة صدور صحيفة الشعب فى يونيو ١٩٥٦ التى تم ادماجها فى صحيفة الجمهورية عام ١٩٥٩ . وفى أكتوبر ١٩٥٦ صدرت صحيفة المساء التى بدت كمنبر لليسار الماركسى حتى مارس ١٩٥٩ حيث تم اعتقال معظم كتابها ومحرريها من الصحفيين وأساتذة الجامعات . وفى يوليو ١٩٥٨ صدرت مجلة بناء الوطن الشهرية التى كانت تتبنى الدعوة للاقتصاد الحر والثقافة الغربية وذلك لأحداث التوازن مع صحيفة المساء .

ومما يجدر ذكره أن عبد الناصر كان يولى اهتماما خاصا للصحافة تمثل فى اشرافه المباشر على تعيين رؤساء التحرير والمسئولين عن ادارة المؤسسات الصحفية وقد شهدت هذه المرحلة ازدياد العنصر العسكرى بين القيادات الصحفية حيث ارتهن تعيينهم أو استمرارهم أو عزلهم من وظائفهم الصحفية بمدى التزامهم بالتوجيهات العامة للقيادة الناصرية . وقد تعرضت الصحافة المصرية عامة وصحف الثورة على وجه الخصوص للعديد من التقلبات الناتجة عن تغيير الرئاسة مما ساعد على خلق حالة من عدم الاستقرار انعكست على السياسات التحريرية والأوضاع الادارية لهذه الصحف ومحرريها(١٧) .

وفيما يتعلق بالتشريعات والقوانين الخاصة بالرقابة يلاحظ أن أحداث ازمة مارس التى أسفرت عن تصفية القـوى السياسية المناوئة للثـورة انتهت باعـلان حـل مجلس نقـابة الصحفيين وادانة لبعض الصحفيين واتهامهم بالحصول على مصروفات سرية من الأحزاب القـديمة . وقـد ظلت الرقابة مفروضة على الصحف المصرية منذ قيام الثورة وحتى صـدور الدستور المؤقت فى يناير ١٩٥٦ حيث نصت المـادة ٤٥ على كفالة حرية الصحافة والطباعة والنشر وفقـا لمصالح الشعب وفى حـدود القـانون . وفى ١٨ يونيو ١٩٥٦ عقب جلاء القـوات البريطانية عن مصر أوقف العمل بالقانون العسكرى وبوقوع العـدوان الثلاثى فى أكتوبر ١٩٥٦ عادت الرقابة على الصحف ثم تقرر الغاؤها فى يناير ١٩٥٧ وان ظلت مفروضة على الأنباء العسكرية وبعض المسائل المتصلة بالأمن القومى . والغريب أن يتواكب قرار الغاء الرقابة مـع انشـاء مكتب للرقابة على المطبوعات فى وزارة الارشاد القومى وقـد كان يمارس سلطاته من خلال استدعاء رؤسـاء التحرير وتزويدهم بالتعليمات بصورة ودية(١٨) .

هـذا وقـد شهدت هـذه المرحلة أبرز حـدث فى تاريخ الصـحافة المصرية المعاصرة وهـو صـدور قانون تنظيم الصحافة الذى صـدر فى مايو ١٩٦٠ . وقـد جاء هـذا القانون كى يقنن ما كان سائدا فى المرحلة السابقة حيث حـدد بصورة قاطعة اطار العمل والملكية وعلاقة الصحف بالسلطة السياسية . اذ نص على تبعية الصحف للاتحاد القومى سـواء من ناحية الملكية أو تراخيص الصـدور واشتراط عضوية الصحفيين للاتحاد القومى وكذلك العلاقة الادارية والقانونية حيث اشترط تعيين رؤساء مجالس ادارات المؤسسات الصحفية كى تتولى الشئون الادارية والقانونية نيابة عن الاتحاد القومى وقـد أوضحت المذكرة التفسيرية الخاصة بقانون تنظيم الصحافة المبررات التى دفعت الحكومة الى اصـدار هـذا القانون اذ جاء بها(١٩) (أن ملكية الشعب لوسائل التوجيه الاجتماعى والسياسى أمر لا مناص منـه فى مجتمع تحـددت صـورته باعتباره مجتمعا ديموقراطيا اشتراكيا تعاونيا واذا كان منع سيطرة راس المـال على الحكم من الأهـداف الرئيسية للثورة باعتباره أحـد الطرق القـوية لاقامة ديموقراطية حقـة فان هـذا يستتبعه بالتالى الا تكون لراس المـال سيطرة على وسائل التوجيه لانهـا تشكل تناقضا كبيرا مـع اهـداف المجتمع)(٢٠) .

ورغم أن صيغة الاتحـــاد القـــومى قـــد تم اقتباســـها من التجربة السالازارية فى البرتغـــال غير ان مسوغات قانون تنظيم الصحافة (مايو ١٩٦٠) تتشابه الى حـــد بعيد مـــع تراث التجربة اللينينية فى الصـــحافة السوفيتية التى استندت الى مبدا تحرير الصحافة من سيطرة رأس المـــال وسيطرة الافراد توطئة لتسخيرها لخـــدمة اهـــداف ومصالح الطبقـــة العاملة . وهـــذا فيما نلاحظ عمومية الصياغة وعرضها فى المذكرة التفسيرية لقانون تنظيم الصحافة المصرية خصوصاً فيما يتعلق بتحـــديد القـــوى الاجتماعية المستفيدة من تأميم الصحف وان كان يرمز لها بالمصطلح المطاط (الشـــعب) .

ولا تكتفى المذكرة بابراز ضرورة سيطرة الدولة على وسائل الاعلام من ناحية الملكية بل تشير الى ضرورة التبعية السياسية والفكرية من جانب الصـــحف للتنظيم السياسى اذ ترى أن الصـــحافة تعـــد جزءا من التنظيم الشعبى شأنها فى ذلك شأن غيرها من السلطات الشعبية كالمؤتمر العـــام للاتحاد القـــومى ومجلس الأمة .

وهنا يبرز لنـــا كيف تم استيعاب الصحافة لصالح السلطة السياسية الحاكمة من خـــلال قانون تنظيم الصحافة مثلما تم استيعاب الســـلطة التشريعية والتنفيذية لصالح سلطة رئيس الجمهورية من خلال الدستور الذى نص على انشاء مجلس نيابى هو مجلس الأمة الذى يملك رئيس الجمهورية سلطات حله (المـــادة ١١١) ولا يمكن الترشيح لمجلس الآمة الا عن طريق الاتحاد القـــومى (المـــادة ١٩٢) .

وهنا تكتمل الصورة وتتبلور أبعاد العـــلاقة بين الصـــحافة المصرية والقيادة السياسية لثورة يوليو من خلال نصوص قانونية ودستورية واضحة ومحـــددة .

وقـــد طرح عبـــد الناصر تصوره الـــكامل للدور الذى ينبغى على الصحافة المصرية أن تضطلع به وذلك فى الاجتماع الذى عقده مـــع رؤساء مجالس ادارات الصحف ورؤساء التحرير فى مايو ١٩٦٠ . ويعتبر هـــذا الحـــديث وثيقة هامة تحـــدد رؤية القيادة السياسية للثورة لدور الصحافة وعلاقتها بالسلطة السياسية . وقـــد تضمن حـــديث عبد الناصر نقـــدا

حاداً لصحافة ما قبل الثورة وخصوصا فى تركيزها على الشرائح العليا لمجتمع العاصمة واهتمامها بكل ما هـو هامشى فى حياة الشرائح العليـا (مجتمعات النوادى) مع اهمالها المتعمد لمشاكل وهموم الطبقات المنتجه وخصوصا العمال والفلاحين والفئات الدنيا من الطبقة الوسطى . هـذا وقـد أعربت معظم الصحف المصرية عن ترحيبها بقانون تنظيم الصحافة وقـد برز ذلك الترحيب فى العـديد من مقالات واعمدة كبار الصحفيين ورؤسـاء التحـرير(٢١) .

الصـحافة المصرية وانتخابات ١٩٥٧ :

تتميز انتخابات ١٩٥٧ بأنها جرت فى ظـل ظروف استتبت فيهـا الأوضاع السياسية لصالح قيادة ثورة يوليـو كما تم تقنين هـذه الأوضاع من خلال الدستور المؤقت والقوانين التى صـدرت مكمـلة لما جاء فى الدستور . ورغم مظلة الأمان الدستورى والسياسى التى احتمت بها القيادة السياسية غير أن هـذا لم يحـل دون لجـوئها الى تشكيل لجنة سرية لاستبعاد المرشحين الذين رأت قيادة الثورة منعهم من الوصول الى المجلس النيابى وذلك لأسباب أوردها جمال عبد الناصر فى حـديثه لشبكة التليفزيون البريطانى قائلا (بأنه كان لابد من التأكد من أن جميع المرشحين يتلاءمون مع الخطوط العريضـة التى ارتضاها الشعب المصرى)(٢٢) ، وقـد استشهد عبد الناصر بمـا حـدث فى الولايات المتحدة الأمريكية بعـد حرب التحرير عندما أعرب جـورج واشنطن بعـد الاتفـاق على الدستور ١٧٨٨ عن تخوفه من قيام أحزاب لاحتمال أن تؤدى الى قيام حرب أهلية(٢٣) وهنا يبدو للمرة الثالثة غلبة الطابع الانتقائى على أسلوب اختيار الخبرات والتجارب السياسية التى اقتبست منها قيادة ثورة يوليو بعض الأساليب والتنظيمات علاوة على عـدم اتساقها مع خصوصية التاريخ السياسى المصرى الحديث والمعاصر فتارة يكون الاقتباس من البرتغال (الاتحاد القومى) وتارة أخرى يكون من التجربة السوفيتية فى الصـحافة وتارة ثالثـة يكون من التجربة الأمريكية فى الانتخابات وحظر تكوين أحزاب جـديدة .

ولا شك أن تعـدد المنابع السياسية مع وضوح تناقضها قـد أفصح عن غياب المنظور الاستراتيجى والرؤية الأيديولوجية الواضحة وسيادة المنهج

الانتقائى لدى القيادة السياسية للثورة . وانعكس بالتالى على الممارسات السياسية للثورة التى حفلت بالكثير من التناقضات وكانت الصحافة المصرية مجالا خصبا لهذا التناقض والتخبط الذى نال منها كمهنة وكرسالة . ومما يجدر ذكره ان انتخابات ١٩٥٧ قد جرت فى مناخ اتسم بحرية نسبية رغم لجوء القيادة السياسية الى اغلاق بعض الدوائر وقصرها على عدد من الضباط الذين أتيح لهم للمرة الأولى دخول أول مجلس نيابى منتخب بعد ثورة يوليو .

وقد اتسمت معالجات الصحافة لمجريات الانتخابات وما تلاها (الترشيح — الدعاية الانتخابية — أعمال المجلس النيابى الجديد) بالطابع الرسمى وكانت تعبر عن وجهة نظر الحكومة أكثر من تعبيرها عن وجهات نظر الأعضاء داخل البرلمان(٢٤) ويلاحظ أن هناك بعض التباينات التى برزت فى اطار الرؤية الرسمية التى انفردت بها معظم الصحف المصرية تزعمتها جريدة الجمهورية وقد تمثل هذا التنوع فى بعض الأقلام التى طرحت آراء مدروسة وقدمت معالجات جادة وانتهزت فرصة الانتخابات كى تطرح بعض المطالب والتساؤلات الجوهرية مثل المطالبة بوضع قانون للانتخاب ضمانا لتشكيل برلمان سليم قادر على حماية مكاسب الثورة من ناحية وحماية الناخبين من شتى الضغوط أو التزوير . وقد تبنى هذه الدعوة د. محمد مندور(٢٥) وكذلك قامت جريدة المساء بدور بارز ومتميز فى توعية القراء بحقوقهم الانتخابية والدعوة الى ترشيد الدعاية الانتخابية والربط بين الانتخابات ومعركة التحرير الوطنى(٢٦) .

وفيما عدا ذلك يلاحظ غلبة الطابع الدعائى والنغمة الانشائية على سائر الكتابات والمعالجات التى قدمتها صحف الثورة عن انتخابات ١٩٥٧ والبرلمان المنبثق عنها .

المرحلة الثانية من الفترة الناصرية : ١٩٦١ — ١٩٧٠ :

تمثل هذه المرحلة بدء اكتمال التوجه الأيديولوجى والسياسى لثورة يوليو الذى كشفت عنه بصورة قاطعة اجراءات يوليو ١٩٦١ حيث حسمت طابع التردد وعدم الوضوح الذى سيطر على التوجهات السياسية

والاقتصادية والاعلامية فى السنوات الأولى للثورة واجابت عن السؤال المركزى الذى كان يواجه القيادة السياسية للثورة وهو أى الطريقين تختار ؟ طريق التطور الراسمالى أم طريق التحول الاشتراكى ؟ وبصدور قوانين التأميم تبنت الثورة الطريق الثانى . وفى أعقاب سبتمبر ١٩٦١ بعد الانفصال السورى قدم عبد الناصر أول نقد رسمى لمفهوم الاتحاد القومى ونظامه وأعلن عن خطة جديدة لاعادة تنظيم الحياة السياسية فى مصر وكان ثمرتها المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية الذى عقد فى مايو ١٩٦٢ وفى أول اجتماع قدم عبد الناصر مشروعا للميثاق تم قبوله بعد مناقشته دون تعديل فى المضمون . وفى أعقاب اقرار الميثاق الوطنى نشأ الاتحاد الاشتراكى الذى قام على أساس صيغة تحالف قوى الشعب العاملة التى تحددت بأنها (العمال والفلاحين والمثقفون والجنود والرأسمالية الوطنية) . وقد أكد الميثاق ملكية الدولة لوسائل الاعلام وعلى الأخص الصحف وكانت هذه الملكية قد تحققت منذ مايو ١٩٦٠ بصدور قانون تنظيم الصحافة وفى اطار تركيزه على المضمون الاجتماعى للديموقراطية حدد الميثاق الوطنى الاطار العام لحرية الصحافة والحدود المسموح بها للنقد والفئات المصرح لها بممارسة هذا الحق . وقد أوضح الميثاق أن العناصر الرجعية من كبار الملاك وكبار الرأسماليين هم الأعداء التقليديين للثورة وبالتالى فهم يشكلون القوى الرئيسية المعادية لحرية الصحافة وقد حدد الميثاق مجموعة الضوابط التى تحكم الممارسات الصحفية مشيرا الى عدم السماح بتوجيه النقد لأسس النظام السياسى الذى يستند الى تنظيم سياسى واحد يقوم على تحالف قوى الشعب العاملة . كذلك لم يكن مسموحا بتوجيه النقد للنظام الاجتماعى الذى يقوم على تذويب الفوارق بين الطبقات أو رفض القطاع العام باعتباره ركيزة النظام الاقتصادى ولكن كان من المسموح توجيه النقد الى معوقات التطبيق الاشتراكى والممارسات التنفيذية وتشجيع الاجتهاد وتنوع الآراء فى اطار الصيغة التى حددها الميثاق الوطنى .

وقد شهدت هذه المرحلة صدور قانون المؤسسات الصحفية فى مارس ١٩٦٤ وكان يركز على الأطر التنظيمية والقانونية للمؤسسات الصحفية وخصوصا ما يتعلق بأوضاع العاملين فيها من محررين وموظفين وعمال

وتحـديد سلطات ومسئوليات رؤساء مجالس ادارتها سواء ما يتعلق بادارة شئونها الداخلية او أنشطتها الخاصة بالنشر والاعلان والطباعة والتوزيع . وقـد حرصت القيادة السياسية للثورة فى جميع المواثيق والتصريحات التى صـدرت عن عبد الناصر خلال حقبة الستينيات على ابراز حرصها على ضمان حرية الصحافة وانكار وجود رقابة على الصحف . والواقـع أن الرقابة لم تلغ أو تختفى مطلقا بل اصبحت رقابة ذاتية يقوم بها رؤسـاء التحرير وقـد اعترف عبد الناصر بذلك فى احـدى تصريحاته فى أغسطس ١٩٦٦ عندما أشار الى أنه لا توجـد رقابة على الصحف وأن رؤسـاء التحرير هم المسئولون .

ورغم هـذه التأكيدات الرسمية فان ممارسة النقـد حتى فى حـدود الصيغة التى أوردها الميثاق لم يكن مسموحا بها الا فى أضيق الحـدود سواء بالنسبة للمواقع أو الاشخاص أو الموضوعات وكانت المسألة تتوقف على مدى الثقـة التى يحظى بهـا هؤلاء الصحفيون الذين يجرؤن على ممارسة النقـد لأحـد المسئولين أو لبعض الممارسات التنفيذية .

وفى اطار أحكام الدائرة المركزية على رؤساء مجالس ادارات الصحف صـدرت عـدة قرارات تنظيمية تستهدف تحجيم سـلطاتهم وصلاحياتهم وأبرزها ذلك القرار الذى صـدر عام ١٩٦٦ ويشترط ضرورة ابـلاغ قرارات رؤساء مجالس الادارات بالصحف الى وزير الدولة وفى حالة عـدم اعتراضه عليها خلال أسبوعين تصبح نافـذة وهـذا القرار يتناقض مـع ما جاء فى قانون المؤسسات الصحفية الصادر فى مارس ١٩٦٤ والـذى منح رؤساء مجالس ادارات الصحف سلطات واسعة . وهناك أيضـا نموذج آخر من القيود الخفية التى فرضتها القيادة السياسية على حرية الصحافة والمؤسسات الصحفية ذلك الشرط الخاص بتعيين رؤساء مجالس الادارات وأعضائها بقرارات من اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى .

ولم تكتف القيادة السياسية بمجموعة التشريعات والقوانين التنظيمية التى حـددت للصحافة المصرية وللصحفيين حـدود ممارسة المهنة وصيغة التعامل مـع مفردات الواقع السياسى والاجتماعى بل وسمحت لنفسـها بالتدخـل فى تعيين رؤساء مجالس الادارات ورؤساء التحرير بدلا من ترك

مهمة اختيارهم للصحفيين انفسهم عن طريق الانتخـــــاب الحر داخـــل المؤسسات الصحفية .

ورغم ان المساحة التى كانت مخصصة للراى لم تتجاوز راى الصحيفة وبعض الأعمدة الموزعة على صفحات الصحف وكانت اغلب الكتابات لا تخرج عن صيغة التبرير أو التأييد أو المشاركة فى الحملات التى كان يخوضها النظام الحاكم من أجـــل تعبئة الراى العام واقناعه بالسياسات المختلفة التى يتبناها النظـــام سواء على المستوى المحلى او العربى او العالمى . وقـــد يكون هناك استثناء وحيد يتمثل فى صحيفة المساء . ورغم كل ذلك لم تخل هـــذه المرحلة من بعض الممارسات اللاديموقراطية التى اقترفتها السلطة السياسية مـــع الصحافة والصحفيين وكان ابرزها نقـــل بعض الصحفيين من عملهم فى المؤسسات الصحفية الى مؤسسات القطاع العام خلال الأعوام ١٩٦٤ ــ ١٩٦٦ بحجة ان المؤسسات الصحفية تخضع لقوانين المؤسسات العـــامة وأن النقـــل منها للجهاز الادارى للدولة جائز . وكان هـــذا الاجراء أسوأ من مصادرة بعض الأقلام بسبب تخطيها لحـــدود النقـــد المباح ، اذ كشفت القيـــادة السياسية بهـــذا الاجراء (نقـــل الصحفيين الى وظائف ادارية بالقطاع العام) عن تقييمها الفعلى للصحافة ونظرتها اليها كقطاع من قطاعات السلطة التنفيذية مثل قطاع الخـــدمات وبذلك اسقطت عنها كل ما يميزها كمهنة لهـــا رسالتها المتميزة فى الاعلام والتنوير والتوعية وتشـــكل الراى العام بصورة تتفق مـــع ما نصت عليه المواثيق المحلية والعالمية وخصوصا ميثاق حقـــوق الانسان واتفاقية الحقوق المدنية والسياسية . ومن أبرز احـــداث هـــذه المرحلة وقـــوع هزيمة يونيو ١٩٦٧ وقـــد كانت لهـــا آثارها المباشرة على الصحافة المصرية حيث فتحت الأبواب واسعة لطرح العـــديد من التساؤلات الجوهرية حـــول اسباب الهزيمة وطبيعة الصراع العربى الاسرائيلى والدور الحقيقى لوسائل الاعلام وخاصة الصحف وهـــل هى أداة للتنوير وتزويد المواطنين بالحقائق أم أداة للتضليل وتزييف الحقائق . وقـــد ارتفعت الأصوات تطالب بمحاسبة المسئولين عن الهزيمة وتنـــادى بالتغيير وضرورة اقامة ديموقراطية سليمة .

وقـــد سمحت السلطة فى هـــذه الفترة بهامش أكبر من حرية التعبير اذ كان هـــذا الاجراء ضروريا لامتصاص حالات السخط والغضب العارم

التى اجتاحت الرأى العام المصرى والتى تصاعدت بعد صدور الأحكام على المسئولين عن الهزيمة واتخذت شكل مظاهرات شارك فيها الطلبة والعمال (فبراير ١٩٦٨) وان كانت الصحف قد حاولت أن تقلل من شأنها ولذلك حرصت على نشرها فى أضيق الحدود .

ثم جاء بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ كى يحدد معالم التغيير القادم ويربط بينه وبين ضرورة توفر كل الضمانات التى تكفل حرية التعبير والنشر والبحث العلمى والصحافة(٧٢) .

وقد أعقب صدور بيان ٣٠ مارس موجة متصاعدة من المناقشات حول مفهوم حرية الصحافة والدور السلبى للاتحاد الاشتراكى مالك الصحف الذى تخلى عن حقوق الملكية واكتفى بتعيين رؤساء مجالس الادارات ورؤساء تحرير الصحف ولم يقم بدوره المفترض فى متابعة ما ينشر وتشجيع الأقلام الجادة والنهوض بحرية الصحافة بمفهومها الايجابى . وأثيرت فى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى قضية الأوضاع الصحفية السائدة وضرورة وضع تنظيم جديد لها يضمن للصحافة مزيدا من الفاعلية والمشاركة فى بناء الوطن . وفى سبتمبر ١٩٧٠ صدر القانون الجديد لنقابة الصحفيين مشتملا على مجموعة من الضمانات الخاصة بحماية الصحفيين أثناء ممارستهم للمهنة . غير أنه أغفل النص الخاص باعتبار نقل الصحفى الى عمل غير صحفى فصلا تعسفيا(٢٨) .

ويلاحظ هنا أن هزيمة يونيو ١٩٦٧ قد كشفت النقاب عن حقيقة النظام السياسى بتناقضاته وصراعاته وصياغاته التوفيقية الهشة سواء فى مؤسساته العسكرية المتمثلة فى الجيش أو مؤسساته الحزبية المتمثلة فى الاتحاد الاشتراكى وقد أجبرت هذه الظروف القيادة السياسية على رفع قبضتها المهيمنة عن الصحافة خوفا من انهيار الجبهة الداخلية مما سمح بخلق انفراجة مؤقتة تعالت أثنائها أصوات النقد وتناولت كافة جوانب الحياة السياسية والعسكرية ولم تسلم منها جزئية واحدة من جزئيات الواقع المصرى آنذاك .

المرحلة الثالثة : الحقبة الساداتية ١٩٧١ ــ ١٩٨١

برحيل الرئيس عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ نبدأ مرحلة جديدة من تاريخ مصر تختلف اختلافا نوعيا عن المرحلة الناصرية رغم ان السلطة السياسية فى البلاد قد تزعمها رئيس جديد من رفاق عبد الناصر وينتمى الى نفس الشريحة الطبقية التى ينتمى اليها عبد لناصر وهى الشريحة الدنيا من الطبقة الوسطى بكل ولاءاتها المزدوجة . وببداية هذه الحقبة يشهد المجتمع المصرى توجهات سياسية واقتصادية واجتماعية واعلامية تختلف جذريا عن مثيلاتها فى الحقبة الناصرية . وقد بدأ السادات فى طرح منهجه فى الحكم بصورة تدريجية وخصوصا بعد أن تمكن من التخلص من خصومه السياسيين مايو عام ١٩٧١ . وقد ثارت عقب هذه الأحداث مناقشات واسعة حول قوانين الحريات وتقرر اعادة انتخابات مجالس النقابات المهنية ومن بينها نقابة الصحفيين والجدير بالذكر أن الصحافة المصرية قد ساندت السادات خلال ما يسمى حركة التصحيح وخصصت صفحاتها لتأييد وجهة نظره والتنديد بمراكز القوى والمظالم التى تعرض لها الشعب على أيديهم .

وتتميز هذه المرحلة بحدوث تغيرات اساسية فى الخريطة الصحفية فى مصر حيث أضيفت الى الصحف الحكومية القائمة مجموعة جديدة من الصحف التى صدرت كلسان حال للأحزاب الجديدة بموجب القانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٧٧ الخاص بنظام الأحزاب السياسية وقد أجاز لكل حزب اصدار صحيفة أو أكثر للتعبير عن أفكاره وآرائه دون حاجة الى الحصول على ترخيض وقد أصدر حزب الأحرار الاشتراكيين العدد الأول من صحيفته الأسبوعية (الأحرار) فى ١٤ نوفمبر ١٩٧٧ ثم تلتها صحيفة الأهالى لسان حال حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى فبراير ١٩٧٨ فصحيفة مصر لسان حال حزب مصر العربى الاشتراكى وفى اغسطس ١٩٧٨ أعلن عن قيام الحزب الوطنى الديموقراطى برئاسة

السادات وقـد انضم اليه حزب مصر انضماما جماعيا وتوقفت صحيفة مصر فى سبتمبر ١٩٨٧ .

يلاحظ أن مجمل المواقف السياسية والاقتصادية التى تمثلت فى الاتجاه نحـو الغرب ومقاطعـة الاتحـاد السوفيتى والعـدول عن الاجراءات الاشتراكية واعلان سياسة الانفتاح الاقتصادى والصلح مـع اسرائيل كان لهـا وقعها المباشر فى المجال الاعلامى وخصوصا الصحافة . وقـد شهدت هـذه الفترة صـدور عـدة قرارات تلخص طبيعة التغيرات السـلبية والايجابية التى طرات على علاقة السلطة السياسية بالصحافة فى مصر وأبرز هـذه القرارات قرار الغاء الرقابة على الصحف الذى صـدر فى فبراير ١٩٧٤ وكان صـدوره يمثل نهـاية مرحلة من المناقشات فى مجلس الشعب بدأت منذ يونيـو ١٩٧٢ . ومن المعروف أن الرقابة كانت مفروضة على الصحافة منذ اعلان الأحكام العرفية مـع وقـوع العـدوان الاسرائيلى على البلاد العربية فى ٥ يونيو ١٩٦٧ . وقـد وافقت لجنة الاعتراضات بمجلس الشعب فى ديسمبر ١٩٧٢ على مشروع القانون الذى قـدمه الدكتور محمود القاضى الذى ينص على ضمان حرية الصحافة وعـدم جـواز فرض أية رقابة عليها الا بموافقة مجلس الشعب . كما ينص المشروع على بعض الضمانات المهنية التى تتعلق بعـدم جواز نقـل الصحفيين الى مهـن أخرى أو منعهم من مزاولة أعمالهم فى حدود قانون نقابة الصحفيين(٢٩) وكانت نقابة الصحفيين قـد سبق أن وافقت على قرار بشأن رفع الرقابة على الصحف فيما عـدا الأخبار العسكرية . وذلك استجابة للراى العـام الصحفى وحثا للرئيس السادات على تحقيق الوعـد الذى أعلنه بخصوص رفـع الرقابة عن الصحف فـور اقرار ميثاق الشرف الصحفى ، وقـد صدر قرار الرئيس السادات برفـع الرقابة على الصحف وتخويل رؤساء التحرير المسئولية الكاملة فى الاشراف على ما تنشره الصحف وذلك فى ٩ فبراير ١٩٧٠ . مـع مراعاة خضوع الأخبار العسكرية للرقابة . ولم تكد بضعة اسابيع تمر . حتى صـدر قرار بالغاء الرقابة المفروضة على برقيـات الصحفيين الأجانب . ولكن لم يمض أقـل من شهر حتى بدأت السـلطة السياسية تضيق بهـذا الهامش المحـدود من الحرية الذى منحته للصحف . اذ أبدى السادات تبرمه الشديد ممـا أسماه سوء استغلال الصحافة للحرية واعرب عن استيائه فى عـدة خطب وتصريحات .

وقــد بدأت العــلاقة بين الصحافة والسلطة السياسية فتأزم حتى بلغت مداها فى مارس ١٩٧٦ عندما وجــه الرئيس السادات لومه الشديد للصحف ونبــه الى ســوء استخدامها للحرية مشيرا الى ما نشرته أخبــار اليوم حــول الرئيس الراحل عبد الناصر، وأوضح السادات الفروق بين النقــد البناء ودوامة المهاترات الرخيصة التى انحــدرت اليها بعض الصحف المصرية كما أكد اصراره على حرية الصحافة مهما تعــددت الممارســات الخاطئة ولكنه اصــدر قرارا بتشكيل مجالس ادارات الصحف فى مارس ١٩٧٦ وكان الرئيس السادات قــد اصدر قرارا فى مارس ١٩٧٥ بتشكيل المجلس الأعلى للصحافة برئاسة الأمين العام للاتحاد الاشتراكى وعضــوية بعض رجال الاعلام والشخصيات العامة . وقــد نص القرار على أن تؤول الى العاملين فى المؤسسات الصحفية المملوكة للاتحاد الاشتراكى ٤٩٪ من ملكية هــذه المؤسسات كما حــدد القرار اختصاصات المجلس الأعلى ويمكن تلخيصها فى الاشراف على انضباط العمل داخل المؤسسات الصحفية ووضع ميثاق الشرف واصــدار تراخيص الصحف والعمل فى الصحافة للصحفيين . وفى يوليو ١٩٧٥ اصــدر المؤتمر القومى العام الثالث ميثاق الشرف الصحفى وهــو يتضمن مجموعة القيم الوطنية والدينية والسياسية التى يجب أن يلتزم بها العاملون فى الصحافة كما يتضمن ميثاق الشرف الصحفى أصوليات التعامل المهنى وتشير الى مشاركة المحررين لرئيس التحرير وفى مسئولية ما ينشره .

والواقع أن القرارين الأخيرين الخاصين بانشاء مجلس أعلى للصحافة وميثاق الشرف الصحفى ليسا أكثر من قيود تنظيمية رأت السلطة السياسية ضرورة اصــدارها لضمان عــدم خروج الصحافة المصرية عن قواعــــد اللعبة السياسية أو الالتزام الاقتصادى والأيديولوجى للسلطة وقــد عززت هــذا الموقف ببعض الاجراءات التى لم تصــدر بشــأنها قرارات رسمية ولكنها حققت نتائج تتفق مــع المسار العام للنظام السياسى دون ضجيج اعلامى . ويتضح هــذا من تصفية الكوادر اليسارية فى الصحف المصرية .

وأبرز مثال طرد الكادر الصحفى لمجلة الكاتب فى ١٩٧٤ . وتحــويل مجلة الطليعة اليسارية الى مجلة للشباب وتوزيع كادرها التحريرى على مختلف الأقسام فى صحيفة الأهرام اليومية . وذلك فى مارس ١٩٧٧ . هذا

علاوة على التغييرات التى احـــدثتها السلطة والتى تتمثل فى اقصاء رؤساء تحرير ومجالس ادارات بعض الصحف مثل المصور وروز اليوسف واستبدال اخرين بهم يلتزمون بالخـــط الفـــكرى والأيديولوجى للســــلطة السياسية القائمة . وقد تم ذلك فى اطار تصور النظام الحاكم لدور الصحافة ورسالتها ، اذ كان السادات يؤمن بضرورة اعادة تنظيمها على أنها سلطة رابعـــة من سلطات النظام السياسى . وقـــد عمدت السلطة السياسية فى السبعينيات الى تعزيز دائرة نفـــوذها واحكام سيطرتها على الصحافة باصــــدار مجموعة من القوانين والتشريعات تهـــدف الى حماية الوحـــدة الوطنية والســـلام الاجتماعى وتجريم نشر واذاعـــة الأخبار فى الخــــارج ، متى كان ذلك من شانه الاضرار بالصالح القـــومية العليا . وقـــد صــــدرت هـــذه القوانين تحت أسماء مختلفة بداية من عام ١٩٧٢ حتى ١٩٨١ وأبرزها قانون حماية الوحـــدة الوطنية (١٩٧٢) وقانون حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعى (١٩٧٨) ثم قانون حماية القيم من العيب (ابريل ١٩٨٠) وقـــد نصت هذه القوانين على مجموعة من العقوبات السياسية والأدبية والحرمان من القيام بأعمال لهـــا تأثير فى تكوين الرأى العام او تربية النشء وقـــد كان قانون سلطة الصحافة رقم ٤٨ لسنة ١٩٨٠ هـــو خاتمة هـــذه القوانين وقـــد أسند الى مجلس الشورى مسئولية التعبير عمـــا أسماه السيادة الشعبية فى مجال الصحافة وممارسة حقوق الملكية بالنسبة للصحف القومية . وقـــد عززت السلطة السياسية فى السبعينيات هـــذه التشريعات بمجموعة من الممارسات تجسدت كأوضح ما يكون فى مواقفها من صحف المعارضـــــة وخصوصا صحيفة الأهالى لسان حال حزب التجمـــع الوطنى التقـــدمى الوحـــدوى وما تعرضت له من مصادرات وملاحقات انتهت بتوقفها بعـــد عـــدة اشهر من صــــدورها (ولم تستأنف الصـــدور الا بعـــد انتهـــاء حكم السادات (وكذلك موقف السلطة الساداتية من جريدة الشعب لسان حال حزب العمل الاشتراكى ، حيث قامت بسحب ترخيص الصحيفة نهائيا فى سبتمبر ١٩٨١ . وهـــذا وقـــد بلغت الأزمة بين حكم السادات وصحف المعارضة المصرية ذروتها فى سبتمبر ١٩٨١ . وكانت بمثابة جزء من الأزمة الشاملة لنظام السادات وصــــدامه مـــع كافـــة القوى الوطنية والديمقراطية والتى تمثلت فى اعتقال عـــدد كبير من الصحفيين وفصلهم من أعمـــالهم . ضمن سائر الفئات من المثقفين وأساتذة الجامعات وقـــوى المعارضة .

الصحافة المصرية والمقاومة الفلسطينية

خــلال حقبتى عبد الناصر والســادات

بعــد أن استعرضنا الاطار العام للعلاقة التنظيمية والأيديولوجية التى تربط السلطة السياسية فى مصر بالصحافة خلال فترتى حكم عبد الناصر والسادات نحاول من خلال استقراء اتجاهات ومواقف الصحف اليــومية المصرية نحو المقاومة الفلسطينية من ١٩٦٥ حتى ١٩٧٩ ــ أن نتوصل الى التعــرف والتحقق ممــا يلى :

١ ــ موقف الصحف المصرية من المقاومة الفلسطينية فى ضوء علاقاتها بالنظام السياسى فى الفترتين ســواء فى ظــل تبعيتها المطلقة للاتحــــاد الاشتراكى خلال الفترة الناصرية أو فى ظــل الصيغة التعــددية وانتقــال تبعيتها المجلس الشورى خلال الفترة الساداتية .

٢ ــ الى أى مدى كانت معالجات الصحف المصرية لقضية المقــاومة انعكاسا لموقف السلطة السياسية واتجاهات رؤساء التحرير من ناحيــة أخرى والى أى مدى تأثرت باتجاهات الرأى العام المصرى ازاء المقاومة .

ولقــد تم اختيار مجموعة من الأحــداث البارزة التى تعــد بمثابة مؤشرات قياسية لمجمل اتجاهات الصحف المصرية نحو القضية الفلسطينية باعتبارها لب الصراع العربى الاسرائيلى مــع التركيز على جــــوهرها الأيديولوجى والحركى متمثلا فى المقاومة الفلسطينية كظاهرة نضالية تشكل فصيلا متقــدما من حركة التحرر الوطنى العربية خلال فترتى الستينيات والسبعينيات وروعى فى اختيار عينة الأحــداث مدى فاعليتها وتأثيرها على مسار المقاومة الفلسطينية والصراع العربى الاسرائيلى من ناحية ثم تأثيرها على موقف مصر ودورها فى الصراع من ناحية أخرى .

ولقـد تم التركيز على الأحـداث التالية :

١ ـ ميلاد المقـاومة الفلسطينية يناير ١٩٦٥ .

٢ ـ حـرب يونيـو ١٩٦٧ .

هـذا بالنسبة للفترة الناصرية .

أما بالنسبة للفترة الساداتية فقـد شملت العينة :

١ ـ عمليات المقاومة قبل مبادرة السادات أى ١٩٧٥ ـ ١٩٧٧ .

٢ ـ المقاومة الفلسطينية بعـد المبادرة وحتى توقيع اتفاقيتى كامب ديفيـد والمعاهـدة المصرية الاسرائيلية أى ١٩٧٧ ـ ١٩٧٩ .

أما بالنسبة للصحف فقـد تم التركيز على الصحف اليومية الثلاث : الأهرام ـ الأخبـار ـ الجمهورية باعتبارها تمثل بنسب متفاوتة وجهـة النظر الرسمية للنظام الحاكم فى مصر خلال حقبتى الستينات والسبعينات مع مراعاة وجود صحف اخرى تمثل يسار النظام الناصرى وتضم الاتجاهات المـاركسية وتتمثل فى مجلتى الكاتب والطليعة وقـد توقفت الأولى عـن الصـدور عام ١٩٧٤ أما الثانية فقـد تحولت الى مجلة الشباب وعلوم المستقبل فى مارس ١٩٧٧ . أما بالنسبة للفترة الثانية (فترة السادات) فان الصيغة التعـددية فى المجال الحزبى عبرت عن نفسها فى المجال الصحفى على صورة مجموعة من الصحف الحزبية تمثلت فيما يلى :

١ ـ صحيفة مصر الأسبوعية لسان حال حزب مصر العربى الاشتراكى (يونيـو ١٩٧٧ ـ سبتمبر ١٩٧٨) .

٢ ـ صحيفة الأحرار لسان حزب الأحرار الاشتراكية صدرت ١٩٧٧ .

٣ ـ صحيفة الأهالى لسان حزب التجمع الوطنى التقـدمى الوحدوى فبراير ١٩٧٨ وقـد توقفت فى يونيو ١٩٧٨ ثم عادت للصـدور فى ١٢ يوليو ١٩٧٨ واستمرت حتى ٢٥ أكتوبر ١٩٧٨ وازاء الاضطهادات المتواصلة من جانب السلطة الساداتية اضطرت الأهالى الى التوقف نهائيا ثم عادت فى مايو ١٩٨٢ بعـد انتهاء حكم السادات .

٤ — صحيفة الشعب الناطقة باسم حزب العمل الاشتراكى وقد صدرت فى مايو ١٩٧٩ حتى سبتمبر ١٩٨١ حيث صدر قرار بسحب ترخيصها أثناء أحداث سبتمبر التى شكلت ذروة الصدام بين السادات وكافة فصائل المعارضة الوطنية .

٥ — مجلة الدعوة لسان حال الاخوان المسلمين وقد سمح السادات باعادة صدورها عام ١٩٧٦ بعد توقفها منذ ١٩٥٤ .

٦ — صحيفة مايو الناطقة باسم الحزب الحاكم (الحزب الوطنى الديموقراطى) وقد صدرت فى مارس ١٩٨١ .

هذا وقد اقتصرنا على رصد وتحليل اتجاهات الصحف اليومية بالنسبة للفترتين مع الاشارة الى الاتجاهات العامة للصحف الحزبية فى الفترة الثانية وخصوصا صحيفتى الشعب والأهالى باعتبارهما تمثلان الاتجاهات الأساسية لأحزاب وقوى المعارضة التى سمح لها بالتواجد العلنى فى مصر أثناء حكم السادات والتى عبرت عن مواقف أحزابها من اتفاقيتى كامب ديفيد والمعاهدة المصرية الاسرائيلية .

أولا — الصحافة المصرية والمقاومة الفلسطينية ١٩٦٥ — ١٩٦٧ :

رغم ان الصحف الثلاث قد اقتصرت فى تغطية البداية الأولى لنشاط المقاومة على الأخبار فقط الا أن هناك درجة عالية من الاهتمام قد أحيطت بالحدث باعتباره سابقة أولى . وقد لوحظ التركيز على وجود عمليات فدائية داخل اسرائيل دون الاهتمام بذكر المنظمة الفدائية المسئولة عن هذه العمليات وهى منظمة فتح . وقد استخدمت الصحف الثلاث كلمة (جماعات عربية) دون تحديد أو اشارة الى فتح أو العاصفة . ونظرا لضآلة النشاط الفلسطينى المسلح فى تلك الفترة فقد كانت متابعة الصحافة المصرية له محدودة فضلا عن أن النظام المصرى آنذاك رغم اهتمامه بالمقاومة الفلسطينية الا أنه كان يولى ثقته للجيش النظامى وللأنشطة الفلسطينية ذات الطابع الرسمى . غير أنه بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ بدأ الاهتمام بالمقاومة يأخذ شكلا مختلفا حيث أخذ فى التزايد وخصوصا فى

الأهرام التى نشرت فى صفحتها الأولى(٣٠) عن اشتعال المقاومة فى الأراضى العربية مما تسبب فى اغلاق السلطات الاسرائيلية التى اندفعت فى حركة اعتقالات ضخمة . كما نشرت الأخبار عن (منشورات المقاومة تغطى الأرض المحتلة) وذلك رغم ارهاب اسرائيل .

وهذا الاهتمام المتزايد بأخبار المقاومة يمكن فهمه فى ضوء عبارة عبد الناصر الشهيرة والتى أعلنها فى أكثر من مناسبة آنذاك وهى (أن المقاومة الفلسطينية هى أشمل الظواهر بعد نكسة يونيو وأن الثورة الفلسطينية وجدت لتبقى ...) . وفيما يتعلق بموقف الأنظمة العربية من المقاومة الفلسطينية يلاحظ أن الصحف المصرية قد اهتمت بالاشادة بمواقف بعض الأنظمة العربية ومساندتها للنضال الفلسطينى مثل الجزائر والعراق والكويت(٣١) .

وقد أبرزت الصحافة المصرية الأمل الكبير المعقود على الأمم المتحدة باعتبارها قادرة على حل القضية الفلسطينية . كما عكست موقف النظام المصرى الذى اتجه الى اعطاء أمريكا العديد من الفرص لاتخاذ موقف معتدل تجاه قضية اللاجئين الفلسطينيين ولما ثبت استحالة ذلك بدأت الصحف المصرية تشير الى رغبة أمريكا فى تصفية القضية الفلسطينية . وقد تصاعدت حدة الهجوم فى الأسابيع السابقة على حرب يونيو ١٩٦٧(٣٢) .

وهذا ولم تتوقف الصحف الثلاثة عن متابعة أنباء المقاومة واستمرارها وتصاعدها . ومن المعروف أن الكفاح المسلح الفلسطينى قد بدأ فى الظهور من جديد فى ٢٦ أغسطس ١٩٦٧ . وقد ركزت الصحف المصرية قبل هذا التاريخ على أوجه الكفاح الأخرى (المظاهرات ـ الاضرابات ـ الاحتجاجات ... الخ) . وقد احتلت أخبار المقاومة الصفحات الأولى دائما وكانت تتحول الى مانشيتات رئيسية فى كثير من الأحيان . ولم تقتصر الصحف على الخبر الصحفى فحسب فى تغطية أنباء المقاومة بل استخدمت عدة فنون صحفية أخرى مثل التحقيقات المصورة والكاريكاتير والأحاديث والأعمدة الثابتة والافتتاحيات . مما يعنى تجنيد كافة الامكانيات المتاحة فى خدمة تغطية المقاومة الفلسطينية تغطية صحفية جيدة(٣٣) ويمكن ارجاع

ازدياد اهتمام الصحافة المصرية بتتبع أخبـــار المقاومة الفلسطينية بصورتيها العسكرية والمدنية الى عاملين اساسيين هما :

الأول : التواجد الحقيقى والمؤثر لهـــذه المقاومة وتصاعـــدها المستمر ممـــا يدعـــو الى الاهتمام والمتابعة .

الثانى : الرغبة فى اعادة الثقـــة الى الرأى العام المصرى الذى اهتز بشدة بعـــد هزيمة يونيو ١٩٦٧ بمحاولة اثبات أن المقاومة العربية لم تمت وان نضـــال الشعب الفلسطينى مستمر من أجل اعادة التوازن الى النفوس التى اهتزت .

ويمكننا أن نتبين وجـــود اتجاهين رئيسيين سيطرا على مواقف الصحافة المصرية من المقاومة الفلسطينية خلال الحقبة الناصرية وهما :

١ ـــ الاتجـــاه القـــومى الراديكالى :

وقـــد ساد هـــذا الاتجاه قبل هزيمة يونيو ١٩٦٧ حيث اتسم موقف الصحف بالمساندة والتشجيع وذلك انطلاقا من الالتزام القـــومى الذى عبرت عنه الممارسات الناصرية منـــذ حرب السويس ١٩٥٦ وبلغ ذروته بتحقيق الوحـــدة بين مصر وسوريا ١٩٥٨ . ولكن بعـــد التحول الاجتماعى فى مصر وما تلاه من ضرب الوحـــدة نلاحظ أن عبد الناصر بدأ يردد مقولته الشهيرة عن (وقـــوف الرجعية العربية فى خندق واحـــد مع اسرائيل والاستعمار العالمى) ويطرح شـعار وحـــدة القوى الثورية فى الوطن العربى فى مواجهة القـــوى الرجعية أى يطرح وحـــدة الهـــدف . وقـــد انعكس ذلك بوضوح على معالجات الصحف للقضية الفلسطينية وكانت الصحافة المصرية تستغل خلافات المقاومة الفلسطينية مـــع الأنظمة العربية التى يعاديها النظـــام السياسى المصرى أو يختلف معها للتشهير بهـــذه الأنظمة مثلما حـــدث فى مواقفها من الملك حسين آنذاك .

٢ ـــ الاتجـــاه القـــومى المعتـــدل :

وقـــد برز هـــذا الاتجاه بعـــد هزيمة يونيو ١٩٦٧ حيث تجاهلت الصحف المصرية المواقف المشينة والمشبوهة لبعض الأنظمة العربية تجـــاه

المقاومة الفلسطينية وذلك تمشيا مع الصيغة التوفيقية الجديدة التى طرحها عبد الناصر بعد الهزيمة والتى تجمع بين وحدة الهدف ووحدة الصف . كذلك لوحظ أن المتابعة الصحفية للمقاومة كانت تهتز أثناء الخلافات مع المنظمات الفلسطينية مثل فترة الخلاف بسبب قبول عبد الناصر لمبادرة روجز . وبعد زوال الخلاف عادت الصحافة المصرية الى سابق اهتمامها بالمقاومة وهكذا كانت الصحف المصرية تهتم بالمقاومة كلما توافق ذلك مع أهداف السلطة السياسية فى مصر . بينما يتقلص هذا الاهتمام اذا حدث العكس وقد تجلى ذلك بوضوح فى الفترة الساداتية كما سنوضح .

الصحافة المصرية والمقاومة الفلسطينية قبل المبادرة ١٩٧٥ — ١٩٧٧

لقد شهدت هذه الفترة (١٩٧٥ — ١٩٧٧) عدة أحداث على درجة عالية من الأهمية كاشتعال الحرب الأهلية فى بيروت (أبريل ١٩٧٥) والانتفاضات الفلسطينية المتتالية داخل الأراضى المحتلة حتى زيارة السادات للقدس ثم توقيعه للصلح الانفرادى مع العدو الصهيونى .

ولقد أبرزت التحليلات المسحية لمعالجات الصحف الثلاث للانتفاضات العربية والتدخل السورى فى لبنان والمذابح التى تعرضت لها المقاومة الفلسطينية مجموعة من النتائج الهامة نوجزها على النحو التالى :

١ — أدانت الصحف المصرية التدخل السورى فى لبنان وأبرزت دور سوريا فى مذابح تل الزعتر ولكن اتسم موقف الصحف الثلاث بعدم المبالغة اذ بعد الصلح بين السادات والأسد اختفت تماما نغمة الهجوم على البعث السورى وبدأ الحديث عن السلام بعد أن تعرضت المقاومة الفلسطينية لضربة شديدة . ورغم بشاعة الدور الذى قامت به الولايات المتحدة فى ماساة تل الزعتر . لوحظ أنها لم تتعرض لأى هجوم من الصحافة المصرية فى تلك الفترة بل ذكرت بصورة ايجابية .

٢ — أبرزت الصحف لمصرية عنف المقاومة العربية فى الأراضى المحتلة وضراوة القمع والارهاب الاسرائيلى الذى لم تتوقف الصحف عن ادانته فى كافة معالجاتها للانتفاضات العربية .

٣ ــ أكدت الصحف الثلاث موقف التأييد الكامل من جانب السلطة المصرية للمقاومة الفلسطينية ونضالها المشروع .

الصحافة المصرية والمقاومة الفلسطينية بعد المبادرة ديسمبر ٧٧ ــ سبتمبر ٧٨

تجاهلت الصحف المصرية الثلاث العمليات العسكرية للمقاومة الفلسطينية بعد المبادرة فلم تنشرها وأحيانا كانت تنشرها فى صفحات داخلية ولكنها فى ١٢ مارس ١٩٧٨ لم تستطع تجاهل أحد الأعمال الفدائية البارزة التى أدت الى تأجيل زيارة بيجن لأمريكا على حد قول الأهرام . ويتلخص ما نشرته الصحف فى أن بعض الفدائيين اختطفوا ثلاثة أتوبيسات واستطاعوا قتل حوالى ٣٠ شخصا واصابة ٧٠ شخصا ويلاحظ على معالجات الصحف المصرية لهذه العملية الفدائية ما يلى :

١ ــ استخدام كلمتى (فلسطينيين مسلحين) بدلا من (فدائيين فلسطينيين) فى عنوان الخبر .

٢ ــ الاعتماد على وجهات النظر الصهيونية والغربية اما الجزء الذى يوضح وجهة نظر منظمة التحرير فكان ضئيلا جدا وهو يتضمن اعلان المنظمة عن مسئوليتها عن الحادث .

٣ ــ أبدت الصحف المصرية حرصها على أمن واستقرار اسرائيل اكثر من حرصها على المقاومة الفلسطينية ومستقبل قضيتها فهى تطلب من بيجن اعطاء دولة للفلسطينيين لينجو شعبه (من الفزع والهلع) .

وقد كان تجاهل الصحف المصرية للأعمال الفدائية الفلسطينية التى حدثت بعد المبادرة مواكبا لسياسة النظام السياسى المصرى تجاه المقاومة بل يعد جزءاً من الاتجاه المعادىء للعروبة الذى بدأ يتصاعد منذ عام ١٩٧٥ وبلغ ذروته بعد زيارة السادات للقدس . وقد زعمت الصحف المصرية أن العرب يريدون محاربة اسرائيل حتى آخر جندى مصرى . وبرزت فى هذا السياق دعوة توفيق الحكيم الى حياد مصر وكان المقصود حيادها فى الصراع العربى الاسرائيلى . ورغم أن هذه الحملة قد ساعدت على فرز الاتجاهات الفكرية والسياسية فى مصر من خلال

الحوار الضخم الذى نجرته والذى دافـــع أغلب المشاركين فيه عن عروبة مصر حيث ربطـوا بين المصالح الوطنية المصرية والمصالح القومية العربية ، الا أنه لا يمكن أن نتغافـــل عن الآثار السلبية التى احـــدثتها لدى الراى العــام المصرى .

اتجاهات رؤســـاء التحرير ازاء الصراع العربى الاسرائيلى خـــلال حقبتى الســـتينيات والســـبعينيات

عندما حاولنا اجراء مقارنة بين الآراء التى كان يرددها رؤساء تحرير الصحف المصرية فى فترة الستينيات ثم تحـــولوا عنها فى فترة السبعينيات وخصوصا فيما يتعلق بقضية الصراع العربى الاسرائيلى توصلنا الى بعض النتائج الأســاسية التى يمكن تلخيصها على النحو التالى :

أسفر التحليل الكيفى لمقالات موسى صبرى فى جريدة الاخبار خـــلال عامى : ١٩٦٧ ، ١٩٧٧ عن المؤشرات التالية :

١ ــ كتب فى ٢٩ أكتوبر ١٩٦٧ مقالا يرفض فيــه الحــــل السلمى (الدبلوماسى) الا فى حـــدود كونه يمثل مرحلة قـــومية أو خطوة تكتيكية ويرى أن القضية العربية لن تحـــل الا على الأرض العربية ويؤكد أن ما تصر أمريكا على فرضـــه على العرب لا يرضى أحـــدا ولن ينتج عنه اى حل شـــامل للمشكلة ولن يكون طريقا الى حياة جـــديدة فى المنطقة كما يتصور البيت الأبيض وان الكفاح الدبلوماسى يهـــدف الى منع العـــدو من أن يفرض شروطه علينا فهو هـــدف محـــدد لمرحلة محـــددة لأن الحلول الدائمة هى التى تتفق مـــع طبيعة الأشياء . وينتقل فى مقال آخر الى توضيح ماذا نعنى بالحلول الدائمة فيقول (أننا نعيش أياما فاصلة أما أن نثبت وجـــودنا وأما أن يلغى الأعـــداء هـــذا الوجود) ويطالب برفـــع شعار كل وحـــدة عمل خلية ثورية اى يجب ان تتحول الجبهة الداخلية وكل مواطن فيها الى قمـــة الاستعداد لمواجهةالعـــدو الاسرائيلى فى الداخـــل بنفس القوة والاستعداد الذى ستواجه به قواتنا المسلحة فى جبهة القتال(٣٥) .

وعندما ننتقل الى مقالات موسى صبرى فى السبعينيات نراه يصـــف

قرارات السادات بزيارة القـــدس بأنه ضربة معلم وأن رحلة السادات الى اسرائيل هى أخطر رحلة فى تاريخ منطقة الشرق الأوسط منذ ثلاثين عاما(٣٦) . ويتهم موسى صبرى دول الرفض بأنها تتاجر بالقضية العربية وتريد أن تدفع مصر دفعـــا الى حـــل منفرد مـــع اسرائيل . ثم نفاجأ بترحيبه الحـــار بزيارة بيجين لمصر اذ يقول تحت عنوان مرحبا بزيارة بيجين : (نعم الاحداث تجرى بسرعة ولم نكن نتوقـــع زيارة بيجين لمصر بهـــذه السرعة وليس معنى ذلك انه جاء ليرد الزيارة للسادات ولكن جاء لأن عنده ما يقوله ولم يبـــق أمام المعارضة الاسرائيلية مفر الا أن تخضع لارادة شعبه ويتعايش مع صفحة التاريخ الجـــديدة التى صنعها السادات)(٣٧) .

٢ ـــ يبدى مصطفى أمين حماســـا ملحوظا فى تأييده لمبادرة السادات اذ يرى أنها لا تعمل من اجل مصر فقط ولكن من أجل العرب والفلسطينيين(٣٩) ثم سرعان ما يقع فى التناقض عندما يشير فى سائر مقالاته الى أنه بالمـــال اليهودى والعبقرية المصرية نستطيع أن نبنى الشرق الأوسط من جـــديد . ولا يتعرض لمناقشة الفوائد التى ســـــتعود على الفلسطينيين والعرب من المبادرة بل يقتصر فقط على ابراز الجوانب الايجابية بالنسبة لليهود ويهاجم قـــوى الرفض العربية برميهم بشتى التهم فنراه مثلا يقـــول (ان العرب يمقتون الديموقراطية ويعبـــــدون الديكتاتورية ويرون فى تلقى الأوامر من موسكو عروبة وطنية وفى الاستقلال عن موسكو خيانة وطنية)(٣٩) يرى أن قـــوى الرفض العربية والفلسطينية تمثل أقلية مسحوقة وليس من المعقول ان تتحكم فى أغلبية ساحقة برفضها لمعاهـــدة السلام .

٣ ـــ أما أنيس منصور فقـــد خصص العـــديد من المقالات التى ناقش من خلالها المبادرة بروح مملوءة بالتأييد الحـــذر والحرص على عـــدم الالتزام بمواقف محـــددة واضحة . ففى نهاية ١٩٧٧ يعتمد أنيس منصور فى كتاباته عن المبادرة على أسلوب الكر والفر والجمل التى لا تحمل رأيا مثلا يقـــول عن المؤتمر الصحفى الذى حضره السادات وبيجين (ان مصر لديها التزامات قـــومية وأخلاقية والمشكلة الفلسطينية والضفة الغربية وقطاع غـــــزة والمنظمات الفلسطينية .. هـــذا الالتزام هـــو الذى جعل مصر ترفض أن تعلن ما تحقق فى لقاءات القـــدس والاسماعيلية)(٤٠) .

ويدافع أنيس منصور عن المبادرة بأسلوب فيه من الاعتذار اضعاف ما به من الاقتناع يقــول (أن عــذرنا الوحيد هــو أن هــذه المبادرة خطوة ليس لهــا نظير فى التاريخ ولذلك فقــد أخــذتنا معها وبهرتنا واربكتنا ــ لقــد اكتسحتنا المبادرة وأحاطت بأحلامنا ورؤسنا ثم جاءت الأصــداء من العالم كله فأخــذنا الناس معنا وطرنا بهم الى السماء)(٤١) .

ويعترف فى أحــدى كتاباته بأنه (كان من الأفضل أن ننتظر ونساوم اسرائيل على هــذه الخطوة ويبرر عــدم الانتظار بأننا جادون فى الســلام ولكن المشكلة متعــددة الأطراف ومعقــدة والناس مستعجلون ولذلك فان النتائج سوف تأتى ولكن ابطــأ مما يتصور الناس)(٤٢) .

ويؤكد أنيس منصور بأن موافقة أمريكا على اعطــاء ســلاح لمصر والسعودية لا يعنى أن أمريكا لن تساند اسرائيل ولكنها سوف تساندها ولكن ليس الى درجــة الاضرار بمصالح الشعب الأمريكى فى الشرق الأوسط والعــالم كلــه(٤٣) .

٤ ــ ويبدو محسن محمد أكثر ذكاء من زملائه فى اعلان تأييده للمبادرة مــع ابراز تحفظاته على موقف اسرائيل من خلال صياغات مدروســة ومحسوبة معا اذ نلاحظ حرصــه على نشر المواقف الاسرائيلية المتعنته والعدائية خصوصا ازاء الضفة الغربية ومنظمة التحرير الفلسطينية(٤٤) . ويتميز موقفــه من الدول العربية الرافضة بأنه أقــل عــداء وحــدة من زملائه الذين سبق أن استعرضنا مواقفهم كما انه يحاول أن يفند مواقف الرافضين فى هــدوء ويبدى اهتمامه بتفسير الدوافع التى ادت الى قيــام السادات بمبادرته فيستعيد الأزمة الاقتصادية وعــدم وجود السلاح ويركز على سبب آخر هــو (أن مصر تسالم لانها ترى أن اسرائيل هزمت فى آخر الحروب العربية الاسرائيلية وأن السلام قــد استقر فى القلوب وبقى أن يتخــذ شكله المكتوب فى اتفــاق ونصوص)(٤٥) .

وممــا يجــدر ذكره أن محسن محمد لم يتعرض فى عموده اليــومى لموضوع المبادرة منذ اعــلان الرئيس السادات بأنه على اســتعداد لزيارة اسرائيل فى خطابه بمجلس الشعب وحتى ٢٨ نوفمبر . ولم يكتب عن المبادرة الا يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٧٧ ثم استمر فى متابعة الموضوع من زواياه المختلفة مثل موقف موسكو من المبادرة ومؤتمر طرابلس وجبهة الرفض .

الصحافة الحزبية والمقاومة الفلسطينية ١٩٧٩ — ١٩٨٥

اهتمت الصحف الحزبية بمتابعة نشاط المقاومة الفلسطينية كجزء من اهتمامها بالقضية الفلسطينية ككل . وقد تفاوتت المعالجات الصحفية كما تباينت مواقف الصحف الحزبية وتراوحت ما بين تبنى وجهة نظر الحكومة بصورة مطلقة مثلما حدث فى صحيفة مايو لسان حال الحزب الحاكم التى اتسمت مواقفها ازاء القضية الفلسطينية بالتذبذب الواضح والذيلية للموقف الرسمى فكانت تؤيد منظمة التحرير الفلسطينية ومواقفها ونشاطها الثورى مسايره ودعما لرأى وموقف النظام السياسى . وكان يحدث العكس تماما اذا توترت العلاقة بين النظام المصرى ومنظمة التحرير الفلسطينية مثلما حدث بعد مبادرة السادات وزيارته للقدس (نوفمبر ١٩٧٧) وما ترتب على ذلك من مقاطعة الأنظمة العربية للنظام المصرى وانضمام المنظمة لجبهة الصمود والتصدى ضد السادات وقد شن السادات فى ذلك الحين عبر صفحات مايو حملات التشكيك فى مدى شرعية تمثيل المنظمة للشعب الفلسطينى .

هذا بينما تبنت صحيفة الأهالى لسان حزب التجمع منذ عودتها للصدور فى مايو ١٩٨٢ الدفاع عن الوجود الفلسطينى عندما وقع الغزو الصهيونى للبنان (يونيو ١٩٨٢) وقد فندت أسباب الغزو وكشفتها للرأى العام كما هاجمت النظام المصرى وسائر الأنظمة العربية بسبب تخاذلها الذى وصل الى حد التواطىء مع الغزاة وخصصت أكثر صفحاتها لاستنهاض الشعب المصرى لمقاطعة البضائع الأمريكية والاسرائيلية والتطوع فى صفوف المناضلين الفلسطينيين . كذلك وقفت ضد المحاولات الأمريكية لاخراج الفلسطينيين من بيروت ونوهت بالمواقف البطولية للمقاومة الفلسطينية ضد الغزو الصهيونى والتواطىء العربى . كما وقفت الأهالى ضد مبادرة ريجان فى سبتمبر ١٩٨٢ عقب مذابح صابرا وشاتيلا بسبب عدم اعترافها بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى . وأكدت الأهالى بأن الكلمة الفاصلة فى ذلك لمنظمة التحرير الفلسطينية وقد كشفت الأهالى مؤامرات الأنظمة العربية ضد الفلسطينيين وادانتها وطالبت باستقلالية القرار الفلسطينى بعيدا عن هذه الأنظمة . واتخذت الأهالى موقف التأييد والمساندة الكاملة لمنظمة التحرير كممثل شرعى وحيد للشعب الفلسطينى

غير أن ذلك لم يمنعها من تحـــذير عرفات بعـــد زيارته الأولى للقاهرة عام ١٩٨٤ من مغبة الانخراط فى صفوف دعاة ومهندسى اتفاقيات كامب ديفيد . والتزمت الأهالى الحياد عند حـــدوث الانشقاق بين المنظمات الفلسطينية (مايو ١٩٨٤) وطالبت مرارا بضرورة توحيد الصـــف الفلسطينى بشرط عـــدم التنازل عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى . وقـــد انحازت الى جانب قيادة عرفات ضـــد سوريا عنـــــد الخروج الثانى لعرفات من طرابلس . ولم تتوقف الأهالى عن تحـــذير عرفات وأنصاره من وهم الاعتماد على الحـــل الأمريكى . أولت الاهالى اهتمـــاما متزايدا للعمليات الفـــدائية داخـــل الأراضى المحتلة وكذلك للعمليات الفـــدائية التى يقـــوم بهـــــا الفلسطينيون واللبنانيون فى الجنوب اللبنانى ضـــد العـــدو الصهيونى كما أبرزت الصحيفة أعمـــال القمـــع الصهيونية فى الأراضى المحتـــلة . ورغم تأييد الأهالى وترحيبها بالاتفاق الاردنى الفلسطينى (فبراير ١٩٨٥) على اساس انه قـــد يؤدى فى النهاية الى اقامة دولة فلسطينية فى اطـــــار كونفـــدرالى مـــع الاردن . الا أنها لم تتوان عن توجيه النقـــد والادانة للموقف الاردنى بعـــد الغاء الاتفاق فى فبراير ١٩٨٦ على اساس أنه يجر العمل الفلسطينى ممثلا فى منظمة التحرير الى الهـــاوية .

واتساقا مـــع خط الصحيفة المتمثل فى تبنيهـــا للقضية الفلسطينية ورموزها وقفت الأهالى ضـــد محاولة طرد الفلسطينيين من لبنان ومحاولات الاعتداء عليهم ســـواء من جانب اسرائيل أو الكتائب أو منظمة أمل الشيعية والتزمت بمساندة الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطينى والمقـــاومة الفلسطينية حتى عندما كانت تجنح القيادة الفلسطينية للمنظمة الى التهادن والاقتراب من الحلول الأمريكية . ونلاحظ أن الأهالى تخصص صـــفحاتها الأولى لأخبـــار القضية الفلسطينية عـــلاوة على التحليلات والأحـــاديث والتقريرات الصحفية وســـائر مواد الرأى التى كانت تشغل فى أغلب الأحيان الصفحة الثانية وصفحة الفن والثقافة وأحيـــانا اليـــوميات فى الصفحة الأخيرة . وممـــا يجـــدر ذكره أن اهتمام الأهالى بالقضية الفلسطينية قـــد بلغ ذروته فى بعض الفترات مثل الفترة التى واكبت الغزو الاسرائيلى للبنان حيث شغلت المواد التحريرية الخاصة بالقضية مساحة اكبر من المساحة المخصصة لشئون الحزب والأوضاع الداخلية بمصر . والاستثناء البارز

كان اثناء انتخابات مجلس الشعب (ابريل — مايو ١٩٨٤) حينما خصصت الصحيفة معظم صفحاتها للدعاية لبرنامج حزب التجمع وهنا كان الاهتمام بالقضية اقـل عن ذى قبل . ويلاحظ أن الأهالى اعتمدت على بعض مراسليها فى تونس والاردن وأحيانا لبنان فى انتقاء أنبـاء القضية الفلسطينية وكانت تتحاشى بصورة واضـحة وكالات الأنبـاء الغربية .

اما صحيفة الشـعب فقـد اختلفت مستويات اهتمامها بالمقـاومة الفلسطينية خـلال تلك الفترة وان كان هناك خطـا اساسيا يحكم مواقفها وتوجهاتها ازاء القضية الفلسطينية كـكل وقـد برز هـذا الخط بوضوح بعـد تراجع حزب العمل الاشتراكى الذى تمثله الصحيفة عن تأييد اتفاقيات كامب ديفيد . فمن المعروف أن الحزب كان قـد منح تأييده لاتفاقيات كامب ديفيد وزيارة السادات للقـدس فـور اعـلان تشكيله . وبعـد فترة قصيرة ومـع ظهور نتائج اتفاقيات كامب ديفيد والتأكد من استحالة تحقيق الحكم الذاتى للشعب الفلسطينى من خلال هـذه الاتفاقيات اتخـذ حزب العمل من موقف الرفض لاتفاقيات كامب ديفيد نقطـة الانطـلاق لاعـلان تأييده غير المشروط لكفاح الشعب الفلسطينى ومنظمة التحرير . وقـد حملت صحيفة الشعب وجهة نظر الحزب الرافضـة لسياسة السـادات والمساندة للحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطينى والمعادية للصهيونية وللسياسة الأمريكية فى الوطن العربى . وقـد احتجت الشعب على الغزو الاسرائيلى للبنان ودعت الى التطـوع فى صـفوف المقـاومة الفلسطينية واللبنانية . وغلبت المقالات على معالجاتها لنضال الشعب الفلسطينى ؛ حيث تابعت باهتمام أعمال المقاومة الفلسطينية داخـل الأراضى المحتلة وفى الجنوب اللبنانى . وخصصت العـديد من موادها التحريرية للدفاع عـن عروبة القـدس .

أما صحيفة الوفـد فقـد أبدت اهتماما عاما بالقضية الفلسطينية يختلف نوعا وكما عن الصحيفتين السابقتين (الأهالى والشعب) فقـد تابعت أخبـار المقاومة الفلسطينية فى اطار متابعتها لنشاط منظمة التحرير وعلاقاتها بالدول العربية كما أشارت الى صور التعـذيب التى يتعرض لها الفلسطينيون فى الأرض المحتلة تحت عنوان (اسرائيليات فى الوطن المحتل)

وأدانت مذابح صابرا وشاتيلا بصورة غير مباشرة . والواقع أن غلبة الطابع لخبرى الذى لا يحمل وجهة نظر واضحة ومحددة على معالجات صحيفة الوفد لمفردات القضية الفلسطينية وتطوراتها . كما أن ندرة المقالات ومواد الرأى فى هذا المجال يجعل الصحيفة اقرب الى المواقف الرسمية التى تحاول أن تنفرد بها الصحف القومية .

ثانيا — الصحافة المصرية وقضية التحول الاشتراكى والانفتاح الاقتصادى

أسفرت التحليلات الكيفية لاتجاهات الكتاب المصريين ازاء قضية التحول الاشتراكى فى الستينيات والتغير الذى طرأ على مواقفهم والذى استطعنا رصده من خلال كتاباتهم عن الانفتاح الاقتصادى فى السبعينيات عن النتائج التالية :

١ — موسى صبرى يبدى فى الستينيات تأييدا حماسيا لعملية التحول الاشتراكى فى المجتمع المصرى ويرى أن تلك العملية الشاقة تحتاج لجهد مستمر وخاصة أن المجتمع لم يتطهر بعد من رواسب الاستغلال ويجب أى تستمر لجنة تصفية الاقطاع فى عملها(٤٦) .

سرعان ما ينتقل موسى صبرى بنفس الحماس الى تأييد سياسية الانفتاح الاقتصادى ويبدو ذلك من خلال كتاباته العديدة فى هذا المجال وخصوصا الحوار الذى أجراه مع د. عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء السابق عن العقبات التى تعترض سياسة الانفتاح فيقول موسى صبرى : « سمعت أن بعض القائمين على أمر القطاع العام يضع العقبات أمام سياسة الانفتاح لانه يخشى أن تكشف منافسة الادارة الناجحة عن عجزه وفشله . ثم يوجه موسى صبرى نصيحته لرئيس الوزراء بضرورة اللجوء الى المشروعات التى تحقق عائدا سريعا ولها وأهمها مشروعات السياحة »(٤٧) .

٢ — أما أنيس منصور فقد أكد ايمانه وعبر عن تأييده غير المحدود لقوانين التأميم التى صدرت فى يوليو ١٩٦١ فى عديد من المقالات وخصوصا فى باب أخبار الادب الذى كان يشرف على تحريره فى جريدة الأخبار(٤٨) ولكننا سرعان ما نكتشف التخلى شبه الكامل عن آرائه فى قوانين

يوليــو الاشــتراكية والتحول عن موقفه المملوء تأييدا وتشجيعا لمســيرة البلاد نحــو التحول الى الاشــتراكية . واذا به يتحــدث عن الانفتــاح الاقتصادى بأنه خير وأموال سوف تهبط على مصر فتحوليا الى جنة فيقول بالحرف الواحــد (شىء من ذلك ســوف يحــدث فى مصر فلوس كثيرة من العرب وأمريكا واوروبا هــذه الفلــوس مياه غزيرة لابد لهــا أن تضبط حركتها وضبط الحركة هو وضع خطة لهــا ذهابا وايابا)(٤٩) .

المرحلة الرابعة : فترة حكم مبارك ١٩٨٢ ــ ١٩٨٧

تبدأ هــذه المرحلة بعــد اغتيال الرئيس السادات فى أكتوبر ١٩٨١ وتولى حسنى مبارك لرئاســة الدولة خلفا للسادات وتعــد هــذه المرحلة امتدادا للمرحلة السابقة عليها والتى تميزت بالتعــددية الحزبية والانفتاح الاقتصادى والعلاقة الخاصــة مــع الولايات المتحدة الأمريكية والصــلح المنفرد مــع اسرائيل .

ورغم أن النظام الراهن يقــوم سياسيا على التعــددية الحزبية الا انها تعــددية منقوصة حيث لا تضم الخريطة الحزبية جميع القوى الاجتماعية والتيارات السياسية الفعلية وان كان مسموحا لمعظم هــذه التيارات بالتعبير عن نفسها بصــورة أو بأخرى وخصــوصا على المستوى الاعــلامى من خــلال الصــحف .

ويمكن القــول بأن الوضــع السياسى والاجتماعى فى مصر تتنازعــه بشكل اساسى عــدة قــوى رئيسية تتمثل فى المجموعة الليبرالية التقليدية والتى تمثل مرحــلة ما قبــل ثورة ٢٣ يوليــو ١٩٥٢ ويتجسد تعبيرها السياسى فى حزب الوفــد الجــديد الذى استطاع أن يحصل فى ديسمبر ١٩٨٣ على حكم قضائى بحقه فى الوجــود الشرعى كما سارع باصــدار صحيفة (الوفــد) فى مارس ١٩٨٤ وقــوى اليسار المــاركسى المختلطة مــع تيارات ناصرية واسلامية مستنيرة ويمثلها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحــدوى وصــحيفته الأهــالى التى عادت للصــدور بعــد انتهاء حكم السادات (مايو ١٩٨٢) ويمكن ادراج حزب العمل الاشتراكى فى نطــاق هــذه المجموعة وتعبر عنه صحيفة الشعب التى استأنفت الصــدور عام ١٩٨٢ ثم المجمــوعات الناصرية المتمــايزة ويمثلها الحزب الناصرى تحت التأسيس وصحيفة صــوت العرب التى صــدرت سبتمبر ١٩٨٦ .

اما العناصر الساداتية ببعــدها الطفيلى الغالب فهى تشــغل مكان

الصدارة فى الحزب الوطنى الديموقراطى وهو الحزب الحاكم ويعبر عن نفسه اعلاميا من خلال صحيفة مايو علاوة على الصحف القومية . أما جماعات الاسلام السياسى بمناهجها السلفية فهى تطرح نفسها اعلاميا من خلال مجلات الدعوة ــ الاعتصام ــ المختار الاسلامى وقد شهدت هذه المرحلة تصاعد أبعاد الأزمة الاقتصادية الممثلة فى مصادرة امكانات التنمية المستقلة وهبوط مستوى المعيشة لدى الغالبية العظمى من الفئات الشعبية الكادحة وتشمل الموظفين والعمال والفلاحين . كما شهدت تفاقم خطر الفتنة الطائفية والانجاهات الارهابية واستمرار العزلة عن الأمة العربية . وضاعف من هذا كله انخفاض معدل العمالة المهاجرة الى الدول العربية النفطية مع تراجع تحويلاتها النقدية الى داخل البلاد وهبوط ايرادات قناة السويس .

ورغم غلبة الطابع السلبى على الأوضاع الاقتصادية الراهنة غير أن هذا لا ينفى توافر مناخ من الحرية النسبية سواء فى مجال الحركة السياسية أو التعبير الاعلامى من خلال الصحف .

والواقع أن هذه المرحلة لم تشهد حدوث تغيرات جوهرية فى علاقة الصحافة بالنظام السياسى الحاكم سواء من الناحية التنظيمية أو الممارسات الفعلية كما لم يقع أى صدام بين السلطة السياسية والصحافة المصرية سوى بعض الملاحظات التى عبر عنها رئيس الدولة فى خطبه الرسمية أو أحاديثه الصحفية والتى انصبت معظمها على الصحف الحزبية وأسلوب معالجاتها للقضايا المحلية وابرز ما جاء فى هذا الصدد النقد الذى وجهه الرئيس مبارك الى صحف المعارضة حيث قال(٥٠) : (كنا نتوقع وكان الناس يتوقعون معنا أن تكون الأولويات التى تهتدى بها صحف المعارضة هى نفس أولويات الشارع المصرى لكن هذا غير قائم) كما وجه الرئيس مبارك بعض الانتقادات الى الصحف القومية مشيرا الى أنها لا توسع دائرة اهتمامها بل تحصر نفسها فى اطار ضيق وتركز على موضوعات متكررة . كذلك أشار الى أن الصحف لا تبذل جهدا كافيا فى متابعة الموضوعات التى تطرحها فى مرحلة معينة بل أنها تسقطها رغم أن الظروف التى أوجدتها تظل مستمرة وقائمة مثال ذلك مشاكل الشباب والاتجاهات المتطرفة فى المجتمع المصرى .

وقد شهدت هذه المرحلة صدور ميثاق الشرف الصحفى الذى أقره المجلس الأعلى للصحافة فى ٢٣ مارس ١٩٨٣ ويتضمن هذا الميثاق مجموعة المسئوليات والأصوليات الأخلاقية والمهنية التى يلتزم بها الصحفيون وكذلك ينص على ضمان حقوقهم المهنية والانسانية .

قضايا المرحلة الرابعة :

الصحافة المصرية وانتخابات ١٩٨٤

جرت انتخابات ١٩٨٤ فى مناخ سياسى يحكمه قانون الطوارىء والتعددية الحزبية المقيدة (بحكم قانون تنظيم الأحزاب الصادر فى يوليو ١٩٧٧) وحاصره سائر القوانين المقيدة للحريات وخصوصا قانون حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعى الصادر عام ١٩٧٨ . وأهم من كل ذلك أن هذه الانتخابات قد تمت فى ظل قانون الانتخابات الجديد الصادر فى أغسطس ١٩٨٣ والذى نص على أن يكون انتخاب أعضاء مجلس الشعب عن طريق القوائم الحزبية بحيث يكون لكل حزب قائمة خاصة به ولا يجوز أن تتضمن القائمة الواحدة أكثر من مرشحى حزب واحد . وقد أكمل هذا القانون الجديد الحصار الذى بدأه قانون الأحزاب حول بعض الاتجاهات السياسية التى لا يرى النظام الحاكم امكانية التعايش معها .

وقد اكتملت دائرة القيود المقننه بصدور قرار وزير الداخلية فى مارس ١٩٨٤ . ويتضمن هذا القرار مجموعة من القيود الفكرية والسياسية والقواعد المنظمة للدعاية الانتخابية وقد كان الانفراج الديموقراطى النسبى الذى ساد عقب مقتل الرئيس السادات حتمية أمنية لتجنيب النظام مخاطر السقوط فى الهاوية التى كاد يسقط فيها عقب أحداث سبتمبر ١٩٨١ . وقد حاولت أحزاب المعارضة استثمار هذا المناخ لتوسيع هامش الحريات الديموقراطية المتاحة ، بينما حرصت الحكومة على أن يظل هذا الهامش محكوما بالقوانين والقيود العديدة بحيث لا يهدد مقتضيات الاستقرار والشرعية .

وقــد خاضت أحزاب المعارضة وهى التجمع والشعب والوفـــد والأحرار الانتخابات فى مواجهة الحزب الوطنى الديموقراطى الذى جنـد النظام السياسى الحاكم كل امكانياته السياسية والدعائية ندعمه الى الحـد الذى أعلن الرئيس مبارك قراره بالنزول الى الشارع والطواف بالمحافظات تأييدا للحزب الوطنى وقــد اعتبرت المعارضة هــذا الموقف اخلالا بضرورات الحياد والنزاهة اللازمة لاجراء الانتخابات فى جــو صحى . وقــد استثمر الحزب الوطنى موقف رئيس الجمهورية الى أبعــد مدى فى التأثير على الناخبين . وفى هــذا السياق احتكر الحزب الوطنى أجهزة الاعــلام الرسمى فى المعركة الانتخابية . وقــد طالبت أحزاب المعارضة بأن يكون لهــا الحق فى شرح برامجها والدعاية لهــا من خلال أجهزة الاعلام . وقــد سمح لها بعــد لجوئها الى القضاء بأن تعرض برامجها لمدى زمنى لا يتجاوز الدقائق العشرين فى الاذاعــة والتليفزيون . أما الصحف القومية فقــد تميزت تغطيتها لانتخابات مجلس الشعب ١٩٨٤ بالانحياز الكامل الى جانب الحزب الوطنى وقــد وصلت الى الحــد الذى جند رئيس تحرير الأهرام افتتاحيات الصحيفة لنقــد برامج الأحزاب وموقفها من قضايا الدعم والقطاع العام والفــلاحين وكان يستثنى برنامج الحزب الوطنى وحزب الأحرار (لانعــدام ثقله فى الانتخابات(٥١) وكان يعتمد على الخطة الخمسية فى ردوده على صحف المعارضة . وقــد لوحظ اتفاق بل تطابق ما كانت تنشره الصــحف القومية مــع صحيفة مايو لسان الحزب الحاكم حــول نزاهــة الانتخابات والهجوم على أحزاب المعارضة واتهامها بالهمجية والتشكيك فى برامجهــا الانتخابية . وقــد التزمت الصحف القومية اليومية بهــذا النهج المعــادى لأحزاب المعارضة والمؤيد للحزب الحاكم طــوال فترة الانتخابات فيما عــدا بعض الاستثناءات المحــدودة التى تمثلت فى بعض المقالات مثال مقالات كامل زهير وصلاح حافظ بالجمهورية والتى كانت تمثل أصــواتا مستنيرة وموضوعية حيث تناولت ضرورة الغاء القوانين المقيدة للحريات وحرية اصدار الصحف واشارت الى أن كل الأحزاب قــد تقــدمت بمرشــحين صحفيين ما عــدا الحزب الوطنى(٥٢) .

الصــحافة المصرية وانتخــابات ١٩٨٧

منذ اعلان فتح باب الترشيح لانتخابات مجلس الشعب فى ٦ أبريل ١٩٨٧ يبرز أمامنا وحــدة التوجــه بالنسبة للصحف القومية فى مواجهــة

احزاب المعارضة من خـلال رصـد وتحليل المعالجات التى قـدمتها الصحف القومية للانتخابات يمكننا أن نلحظ حرصها الشـديد على مساندة الحزب الوطنى والترويج لـه وقـد تمثل ذلك فى تخصيص صفحاتها للدعـاية السافرة للحزب الوطنى وبرنامجه والهجوم على احزاب المعارضة وبرامجها . وقـد انعكس ذلك على جميع اشكال المعالجة الصحفية فى الصحف اليومية الثلاث (الأهرام ـ الأخبار ـ الجمهورية) . مثلا فى المعالجة الخبرية نلحظ انحياز هـذه الصحف من خلال المتابعـة الدورية المنتظمة لكل ما يتعلق بمرشحى الحزب الوطنى ونشاطاتهم . وكذلك من حيث البرامج خصصت الأهرام مساحة كبيرة لعرض برنامج الحزب الوطنى مقابل تخصيص ثلث هذه المساحة تقريبًا لبرامج جميع احزاب المعارضة(٥٣) وكذلك فى استقصاءات الراى التى كانت تجريها الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية للتعرف على افكار وآراء المرشحين وكانت تغفل مرشحى احزاب المعارضـة وتركز فحسب على مرشحى الحزب الوطنى(٥٤) .

ولم تتوان الصحف القـومية عن توجيه شتى أنواع التهم والافتراءات الى احزاب المعارضـة والتأكيد على ضـعف فرص المعارضـة للفـوز فى الانتخابات . بل بلغ الأمر حـد الزعم بأن (الحزب الوطنى هـو الـذى سيتيح للمعارضة فرص الفـوز فى بعض الدوائر الفردية)(٥٥) .

وقـد كثفت الصحف القومية جهودها للنيـل من التحالف وركزت هجومها على الاخوان المسلمين خصوصا بعـد احـداث الفتنة الطائفية حيث تصاعـدت الاتهامات كى تلقى بالمسئولية على الاخـوان بسبب رفع شـعار الاسلام هـو الحل(٥٦) .

كما حرصت معظم الصحف القومية على اجراء احاديث مـع مدير عام الانتخابات لنفى ما رددته المعارضة عن تزوير الانتخابات والتأكيد على أن هـذه الدعاوى كاذبة كذلك طالبت هـذه الصحف احزاب المعارضة وصحفها بضرورة التخلى عن نغمة التزوير والتفرغ للدعاية بل واستفزت كبريائهـا بمطالبتها بمقاطعة الانتخابات بقولها (لو كنت مكان المعارضة وتأكدت ان الانتخابات ستزور لقاطعتها)(٥٧) .

وقـد بدى واضحا أن هناك تخـوفا من جانب النظام الحاكم من عزوف الجماهير عن المشاركة فى الانتخابات . ومن ثم حملت الصحف القومية لواء الدعـوة الى ضرورة المشاركة الايجابية فى عملية الانتخابات . وقـد برز ذلك من خـلال التحقيقات الصحفية العـديدة لاستطلاع الآراء حـول أسباب عزوف الجماهير عن الادلاء بأصواتهم(٥٨) هـذا وقد دعت (الأهرام الدولى) الى ضرورة اتخـاذ اجراء يتيح للمصريين الغائبين فى الخـارج المشاركة بالرأى فى عملية التصويت(٥٩) .

هذا وقد القت الصحف القومية مسئولية افساد المسيرة الديموقراطية على الممارسات غير المسئولة التى تقـوم بها الصحف الحزبية والتى زعمت انها (تمثل خروجا عن الوعى الحضارى فى الممارسة الديموقراطية)(٦٠) .

وقـد تجلت مظاهر الانحياز السافر من جانب الصحف القومية للحزب الوطنى عند اعلان نتائج الانتخابات حيث حرصت هـذه الصحف على التأكيد بأن الانتخابات قـد جرت فى نزاهـة كاملة وردت على اتهامات المعارضة بالتزوير بنشر البرقيات المنقولة عن صـحف عالميـة والتى تشير الى أن الانتخابات قـد حفلت ببعض الظواهر الايجابية التى تدعم البناء الديموقراطى بفضـل حكمـة مبارك(٦١) .

وتواصل الصحف القومية مسارها المتحيز للحزب الحاكم حتى بعـد اعـلان النتائج وذلك من خـلال اجراء الأحاديث الصحفية مـع المرشحين الفائزين من الحزب الوطنى(٦٢) .

أما الصحف الحزبية فقـد تناولت مجريات انتخابات ١٩٨٧ من الضفة الأخرى المواجهة للحزب الوطنى الحاكم . ويلاحظ أنها قـد تبنت موقفـا يكاد يكون موحـدا تجاه قضايا الانتخابات التى تضمنت ما يلى :

١ ـــ قانون الانتخابات المعـدل .

٢ ـــ الأحزاب المشاركة فى الانتخابات .

٣ ـــ نزاهـة الانتخـابات .

٤ ـ المشـاركة الانتخـابية .

٥ ـ البرامـج الانتخـابية .

٦ ـ قضـية الديموقراطية والتغيير .

فقـد اجمعت الصحف الحزبية على الطعن فى دستورية القانون الجديد للانتخابات وقـد تميزت صحيفة الشعب لسان حال حزب العمل الاشتراكى فى تحليلاتها القانونية وابراز العيوب الدستورية للقانون واجمعت الصحف الحزبية على المطالبة بضرورة الغاء هـذا القانون والعـودة الى نظـام الانتخـاب الفـردى(٦٣) .

٢ ـ اجمعت الصحف الحزبية على تأكيد خصومتها السياسية للحزب الوطنى لذلك حفلت صفحاتها بحملات الهجوم على الحزب وكبار مرشحيه وأسندت اليه مسئولية التدهـور الاقتصادى الذى تعانى منه أغلبية الشعب المصرى بالاضافة الى مسئوليته عن حوادث الأغـذية الفاسـدة والملوثة بالاشعاع . ولم تتوان عن اتهامه بأنه حزب أقلية وبلا أرضية شعبية ولولا تحيز مؤسسـات الدولة له لأنكشف ثقله الحقيقى فى الشارع السياسى(٦٤) .

وقـد اكدت الصحف الحزبية على ما سبق أن رددته أثناء انتخابات ١٩٨٤ عن خطورة استمرار رئاسة حسنى مبـارك للحزب الوطنى على الصيغة الديموقراطية السائدة واجمعت على المطالبة بتخليه عن رئاسـة الحزب الوطنى ضمانا لنزاهـة الانتخابات(٦٥) .

اجمعت الصحف الحزبية على التحـذير من التزوير بل وسيطرت نغمة التزوير على معظم معالجات هـذه الصحف للعملية الانتخابية حتى اعلان النتائج ولم تكف عن المطالبة بتحقيق بعض الضمانات مثل اشراف القضـاء على الانتخابات ضمانا لنزاهتها(٦٦) .

٤ ـ أولت الصحف الحزبية اهتماما ملحوظا للبرامج الانتخابية وأكدت على أهمية ان تقوم المنافسة بين الأحزاب على أسـاس البرامج وليس لشعارات أو الأشخاص وقـد كانت صحيفة الأهالى لسان حال حـزب

التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى هى أكثر الصحف الحزبية اهتماما بهذه الجزئية حيث قامت بمناقشة برامج الاحزاب وتفنيدها وتحديد موقفها منها ، الأمر الذى أسفر عن وقوع صدام بين التحالف والتجمع بسبب وصف الأهالى لبرنامج التحالف بأنه تلفيقى(٦٧) .

٥ — أثيرت قضية التغيير على صفحات الصحف الحزبية وقد اتفقت جميعها على حاجة مصر الى تغيير جذرى يتناول كافة المواقع والمجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وكانت صحيفة الشعب أكثر الصحف اهتماما بهذه القضية حيث تبنت شعار التحالف (الاسلام هو الحل) وظلت تؤكد أن التغيير قادم لا محالة(٦٨) .

٦ — اجمعت الصحف الحزبية على أن النتائج المعلنة للانتخابات مزورة وأن الحد الأدنى للنزاهة لم يتحقق لهذه الانتخابات ولذلك فان النتائج لا تعكس الوزن الحقيقى لكل حزب . وقد اعتبرت الأهالى أن النتائج الانتخابية تؤكد وقوع مذبحة للديموقراطية فى مصر مما يعنى اسقاط الخيار البرلمانى كأحد أساليب الممارسة الديموقراطية ومن ثم دعت الصحيفة الى استخدام أساليب الاضراب والاعتصام والتظاهر كبديل للنضال الديموقراطى(٦٩) .

الصحافة المصرية وقضية الدعم فى الثمانينات :

ويلاحظ تزامن معالجة الصحف القومية لقضية الدعم مع الفترات التى اثارت أثناءها الحكومة هذه القضية . ولذلك كانت أكثر الفترات التى نوقشت فيها قضية الدعم على صفحات الصحف خلال عرض وتقديم الموازنة العامة للدولة الى مجلس الشعب أو عقب اعلان الحكومة عن رغبتها فى مناقشة الدعم مثلما حدث عام ١٩٨٢ بعد دعوة الرئيس مبارك لعقد مؤتمر اقتصادى ؛ وعام ١٩٨٤ بعد دعوة الرئيس مبارك لعقد مؤتمر اقتصادى حول الدعم ؛ وفى عام ١٩٨٦ عندما اتجهت الحكومة الى الغاء الدعم السلعى وتقديم الدعم النقدى توطئة لالغاء الدعم نهائيا(٧٠) .

ولم تطرح قضية الدعم على صفحات الصحف القومية فى حقبة الثمانينات فحسب بل بدأت من منتصف السبعينات حيث نشرت بعض الصحف

القومية دراســـات عن الغاء الدعم السلعى بمـــا يضمن عـــدم تأثر محدودى الدخل كما حاولت ان تبرز مزايا الغاء الدعم والتوفير الذى سيعود على الدولة بسـبب ذلك(٧١) .

وقـــد رأت الأهرام منذ أوائل الثمانينات ضرورة (التدرج فى الغاء الدعم والتدرج فى زيادات الأسعار وفقا لبرنامج زمنى معين بحيث ينتهى شبح الدم تمـــاما بعـــدها)(٧٢) .

وكانت الصحف بدرجات مختلفة تتبنى رغبـــة الحكومة وتحولها الى مواد صحفية تؤيد بها الحكومة عندما رفـــع الحزب الوطنى والحكومة شعار " نظام جـــديد لوصول الدعم لمستحقيه من محـــدودى الدخل يقضى هـــذا النظام بصرف كوبونات حمراء يتم بمقتضاها الصرف بالسعر المدعم(٧٣) ركزت الصحف وأكدت على أن الكوبونات (وسيلة لتحرير الدعم وضمان وصـــوله الى مستحقيه) .

وكانت الجمهورية هى أكثر الصحف تحمسا فى ذلك الوقت لموضوع الكوبونات فاستضافت من الخبراء الاقتصاديين من يقترح الغـــاء الدعم عن الطفل الثالث من الأسر الجـــديدة ، ويؤكدون على أن (نظام الكوبونات هو أكثر النظم عـــدالة فى ترشيد الدعم ويجب أن تكون الكوبونات طبقـــا لعـــدد أفراد الأسرة) .

كما فتحت الأهرام الحوار حـــول الدعم بين الالغـــاء والابقـــاء .. وعرضت فيه عـــدة اقتراحات وآراء حـــول قضية الدعم ودارت معظمها باختلاف تناولاتها للموضوع والزوايا التى عالجتها حـــول تأييد اتجـــاه الحكومة لالغـــاء الدعم)(٧٤) .

وقـــد تناولت صحيفة الأخبـــار قضية الدعم من خلال بعض التحقيقات حيث استشهدت بآراء بعض الشخصيات البارزة فى الحزب الوطنى وكبار المسئولين الحكوميين وذلك فى سياق دعايتها الانتخابية للحزب الحـــاكم خـــلال انتخابات ١٩٨٤(٧٥) .

وقـــد كشفت الصحف القومية اهتمامها بقضية الدعم بعـــد شــــهر سبتمبر ١٩٨٤ على اثر الدعــــوة التى وجهها الرئيس مبـــارك للأحزاب للمشـاركة فى دراســــة الدعم تمهيدا لعقـــد مؤتمر موســـع لمناقشـــة هـــذه القضـــــية(٧٦) .

وقـــد تبنت الصحف القومية موقف الحكومة من قضية الدعم وروجت له وتفاوتت معالجاتها ما بين رغـــدة استخدام الكوبونات والبطاقات الملونة والجـــدل حـــول الدعم العينى والدعم النقـــدى .

واذا كانت الصحف القومية قـــد تبنت وجهة النظر الرسمية ســـواء فى توقيت المعالجة أو مضمونها فان هـــذا لم يحـــل دون سماحها بنشر بعض وجهات النظر التى تختلف اختلافات جزئية مـــع وجهة النظر الرسمية وان كانت لم تسمح مطلقا بنشر الآراء المعارضة باستثناء ندوة الأهرام التى عرضت فيها مختلف الآراء الحزبية فى قضية الدعم .

ومن أبرز الآراء التى سمحت بعض الصحف القومية بنشرها راى الدكتور فـــؤاد مرسى فى اطار ملف الدعم الذى فتحته الجمهورية عام ١٩٨٤ حيث اكد بأن (مسألة الدعم مسألة اجتماعية اقتصادية قبل أن تكون مسألة مالية وهى آخر مصـــدر ينبغى اللجوء اليه ومحاولة تخفيضه للحصول على موارد لتغطية عجز الموازنة العامة(٧٧) كذلك سمحت الاهرام لبعض الكتاب من خارجها بطرح وجهات نظر لا تتطابق مع الرؤية الرسمية وترفض الدعم النقـــدى وترى أنه يؤدى الى رفـــع الأسعار وأن الحكومة بهـــذه الصورة تدعم الأغنياء(٧٨) وقـــد علق الكاتب احمد بهاء الدين على أسلوب تنـــاول الصحف لقضية الدعم مشيرا الى أن معظم الكتابات الصحفية والتصريحات الرسمية لم تجـــد النغمة الصحيحة لمعالجة الموضوع فضلا عن الجدل الذى يطول الكلام فيه(٧٩) . هذا وقـــد استعانت الصحف القومية فيما نشرته من مقالات ودراسات عن الدعم بالخبراء الاقتصاديين وأغلبهم من الذين يؤيدون وجهـــة النظر الرسمية .

وتعـــد صحيفة الأخبار هى الصحيفة الوحيدة التى التزمت بصـــورة مطلقة بالموقف الحكومى فى قضية الدعم فلم تسمح لوجهات النظر الأخرى

بالظهور على صفحاتها وقــد ركزت الصحف القومية على القاء مسئولية الأزمة الاقتصادية الراهنة على الدعم فهو المسئول عن عجــز الموازنة وقصـــور مشروعات التنمية .

واقتصرت معالجات الصحف القومية على تناول نوع واحــد من الدعم وهـــو الدعم السلعى مـــع اغفال الصور الأخرى للدعم التى يتمتع بهـــا القـــادرون والاغنيـــاء ممـــا وصم هـــذه المعالجـــات بسمة الجزئية التى أفضت الى التضليل العمدى للرأى العام المصرى .

الصـــحافة الحزبية وقضـــية الدعم فى الثمانينات

تباينت معالجات ومواقف الصحف الحزبية ازاء قضية الدعم . فقـــد تبنت صحيفة مايو صـــوت الحزب الحاكم وجهة النظر الحكومية واستضافت على صفحاتها الأقـــلام التى تؤيد وجهة نظرها واهتمت بابراز تصريحات الوزراء حـــول استمرار الدعم لجميع السلع التى تم ربطهـــا على البطاقات التموينية دون أى زيادة فى أسعارها لضمان عـــدالة التوزيع لأن الهـــدف فى النهاية هـــو وصول الدعم الى مستحقيه . كما ايدت الصحيفة الدعم النقـــدى على أساس انه سيوفر بليون جنيها ممـــا سيساعد على اعطـــاء الحـــق لأصحابه . وقـــد سيطرت نغمة (لا مساس بمحـــدودى الدخل وأن القضية هى وصول الدعم الى مستحقيه) على معالجـــــات صحيفة مايو لقضـــية الدعم .

كذلك صحيفة الوفـــد اتخـــذت موقفا من قضية الدعم يمكن اعتباره على يمين الحكومة فقـــد هاجمت القطاع العام ونادت بالغـــاء مجانيـــة التعليم باعتبارها من مخلفات ثورة السلب والنهب التى تسمى فى بعض الأحيـــان ثورة يوليـــو .

ويهاجم احـــد كتاب الوفـــد الأجهزة الحكومية التى تسرق الدعم ولا تدعه يصل الى مستحقيه دون أن يوضح ما هى الوسيلة المثلى لتحقيق ذلك ؟

أما صحيفة الأحرار لسان حال حزب الأحرار الاشتراكيين فقـــــد هاجمت موقف الحكومة ورغبتها فى الغاء الدعم وتحويله الى دعم نقـــدى

وابرزت فى اخبارها أن الدعم النقــدى قــد يؤدى الى ارتفاع كبير فى الأسعار . وقد تناقض موقف الصحيفة مع اتجاه الحزب الذى تعبر عنـــه والذى يعــد من انصار الغاء الدعم العينى وتحويله الى دعم نقــدى وقــد عبر عن ذلك رئيس الحزب فى مقاله رأى المعارضة تحت عنوان (الدعم المزعــوم والشعب المظلوم) وقــد اهتمت الصحيفة مثل باقى صـــحف المعارضة بابراز أخبــار ارتفاع الأســـعار .

ويلاحظ أن صحيفة الشعب قــد التزمت فى معالجاتها لقضية الدعم بموقف الحزب الذى تعبر عنه وقـــد دافعت عن الدعم وعارضت الغـائه واوضحت ان ادعاء الحكومة بأن الدعم لا يصـــل لمستحقيه خـــدعة رسمية وتساءلت لمـــاذا تخفض الحكومة دعم التعليم والصحة ولا تخفض ميزانية الأمن المركزى .

وقـــد شنت الصحيفة عـــدة حملات ضـــد اتجاه الحكومة لالغـــاء الدعم السلعى واوضحت أن الولايات المتحدة والسوق الأوربية المشتركة تقـــدمان دعمـــا للمنتجات الزراعية رغم الرخاء الذى تتمتع به هــــذه الدول الغنية . كما اكدت بأن موضوع الدعم يعـــد جزءا من مجمل الأوضاع الاقتصادية ولا يمكن بحثه بمعزل عن السياسة الاقتصادية العامة . ويلاحظ أن بعض الصحف الحزبية قــد سارت فى نفس الدائرة المغـــلوطة التى انتهجتها الصحف القومية عندما اعتبرت أن الدعم يشكل أحـــد أســـباب الأزمة الاقتصادية الراهنة (الوفـــد والأحرار) ويستثنى من الصحف الحزبية الأهالى والشعب . كذلك اقتصرت معالجات الصحف الحزبية باســـتثناء الأهالى على الدعم السلعى الاستهلاكى دون معالجـــة الصور الأخرى من الدعم وقـــد أشارت اليها فى توســـع صحيفة الأهالى . وقـــد ربطـــت الأهالى بين اتجاه الحكومة لالغاء الدعم وبين شروط صندوق النقد الدولى . وانفردت بطرح تصورات وحلول للخروج من أزمة الدعم خـــلافا للصحف الحزبية الأخرى . ونشرت صحيفة الأهالى العـــديد من رسائل القراء التى تعبر عن راى الجماهير وموقفها من الدعم فى اطار المعركة التى دارت بينها وبين الأهرام حينما نشرت الأهالى (حـــول شائعات الدعم وحقائق السوق)

وردت عليها الأهرام بشائعات الدعم ومسئولية المواطن ودعمتها برسائل من القراء تؤيد ما تطرحه الحكومة من الغاء الدعم وتحويله الى دعم نقدى .

لقد حاولت صحيفة الاهالى أن تكسر الحلقة المحكمة التى فرضتها الصحف القومية وبعض الصحف الحزبية بقصر قضية الدعم على الدعم السلعى الاستهلاكى واغفال الصور الأخرى للدعم عن عمد . ولذلك انفردت الأهالى بنوعية التناول النقدى المتخصص لقضية الدعم فأشارت وناقشت الصور الأخرى للدعم مثل دعم رجال الأعمال المتمثل فى الاعفاء الضريبى والاعفاء الجمركى ودعم مستلزمات الانتاج بالاضافة الى الأنواع العديدة للقروض الميسرة فى الاسكان والأمن الغذائى وشراء الأراضى المستصلحة . هذا علاوة على أسلوب معالجة الأهالى لقضية الدعم فقد اتسمت بالطابع العلمى الملتزم ومصالح الطبقات الشعبية الكادحة المستفيد الأساسى من الدعم . وقد استعانت الأهالى بكثير من الاقتصاديين المتخصصين الذين ينتمون الى اليسار المصرى . وتواصل الأهالى حملاتها الصحفية لكشف اتجاه الحكومة نحو دعم الفقراء ودعم الأغنياء فتشير الى (أن الحكومة تكيل بمكيالين فى وقت واحد بينما تصر على تحويل الدعم العينى الى نقدى فانها تؤكد فى مشروع الموازنة الجديد لعام ٨٦/٨٧ عدم المساس بالفائدة المنخفضة على قروض الأمن الغذائى والاسكان وهى نوع من الدعم العينى للأغنياء فكأن الدعم للفقراء ضار وبالتالى يجب التخلص منه بينما دعم الأغنياء نافع وبالتالى يجب الابقاء عليه) .

ملاحظات أساسية

فى ضـــوء العرض السابق يمكن استخلاص بعض الملاحظات الأساسية التى تحـــدد معالم الاطار العام للعلاقة بين الصحافة المصرية والنظـــام السياسى الحاكم عبر المراحل المختلفة لثورة يوليو . وذلك بهدف استخلاص القانون العام والقـــوانين الجزئية التى حكمت هـــذه العـــلاقة وحـــددت مساراتها وانعكست بالتالى على المضامين والقضايا التى عالجتها الصحافة المصرية وما ترتب على ذلك من آثار بعيدة المدى على أوضاع الصحفيين ومواقفهم وأدوارهم سواء فى دعم النظام السياسى ومساندته فى ظـــل كافة المتغيرات التى طرأت على المجتمع المصرى فى الثلاثين عـــاما الأخيرة أو فى محاولة النهوض بالرأى العام المصرى من خلال تزويده بالوعى والمعرفـــة الكاملة وتشجيعه على اتخـــاذ المواقف الصحيحة فى مواجهـــة النظـــام السياسى الســـائد .

وتغطى هـــذه الملاحظات أربعة محاور رئيسية يمكن ايجازها على النحـــو التـــالى :

المحـــور الأول :

ويتضمن الفترات أو المراحل الأربعة التى مرت بها الصحافة المصرية فى اطارة ثورة يوليو سعيا لاستخلاص الملامح الأساسية التى تميزت بهـــا علاقة الصحافة بالنظام السياسى خـــلال كل حقبة .

ويشمل أيضا أبرز التغيرات التشريعية التى طرأت على الهيكل المهنى والادارى والتنظيمى للصحافة المصرية عبر المراحل الأربعة السابقة بهدف استخلاص السمات العامة للاطار التشريعى والقانونى الذى تعمل فى ظـــله الصحافة المصرية وذلك للتعرف على القـــوى السياسية والاجتماعية التى تعـــبر عنهـــا .

المحــور الثانى :

ويتضمن ابراز المواقف التى تبنتها الصحافة ازاء القضــايا السياسية والاجتماعية الهــامة التى طرحت خلال المراحل الأربعـــة على صفحات الصحف المصرية بهــدف استخلاص الأدوار والوظائف التى قامت بهـــا الصحافة وذلك سعيا للتعرف على القوى الاجتماعية التى تتوجه اليها وتؤثر فى تشكيل وعيها وتحــديد الموقــع الفعلى الذى تشغله الصحافة المصرية فى اطار الخريطة السياسية المعاصرة .

المحــور الثالث :

ويشمل المواقف والأدوار التى قام بها الصحفيون المصريون وخصوصا رؤساء التحرير كقائمين بالاتصال وحراس للبوابات الصحفية خلال تلك المراحل الأربعة وذلك سعيا للتعرف على العنصر الذاتى فى الصـــحافة المصرية أى (الكوادر البشرية) ونوعيـــة ومستوى آدائهم لمسئولياتهم المهنية والاجتماعية فى اطار علاقاتهم بالنظام السياسى وممارساته ومواقفه من المهنــة والمشتغلين بهــا .

فيما يتعلق بالمحــور الأول (الفترات والمراحــل) :

لوحظ ان الفترة الأولى (١٩٥٢ — ١٩٥٤) تمثل نهاية المرحلة الليبرالية فى التاريخ السياسى المعاصر التى عاشتها مصر منذ ثورة ١٩١٩ حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وتميزت بنشوب صراعات حادة بين النخبة العســكرية الحاكمة والقيادات السياسية التقليدية وفى مقــدمتهم رؤساء تحرير وأصحاب الصحف الحزبية وحسمتها أحــداث مارس ١٩٥٤ لصالح النخبة العسكرية وتوجهاتها . وقــد شهدت هــذه المرحلة اختفاء كافــة الصحف الحزبية التى عرفتها مصر فى مرحلة ما قبل الثورة وبروز خريطة جــديدة للصحافة المصرية تتصــدرها مجموعة الصحف الناطقة باسم الثورة والتى توالى صدورها بعــد قيام الثورة بأســابيع وهى مجلة التحرير (سبتمبر ١٩٥٢) والجمهورية (ديسمبر ١٩٥٣) والثــورة (يناير ١٩٥٤) .

وقــد برز لأول مرة فى تاريخ الصحافة المصرية دور الضباط فى العمل الصحفى حيث تولوا الاشراف على تحرير وادارة الصحف الناطقــة باسم

الـثورة وكانوا فى الاغلب يفتقرون الى الثقـافة السياسية بمعناها الشامل ويغلب عليهم الطـابع العسكرى الفـج .

اما المرحـلة الثانية (الفترة الناصرية) :

ويعتبر قانون تنظيم الصحافة (مايو ١٩٦٠) أبرز حـدث فى الفترة الناصرية لانه يمثل البداية الفعلية لتقنين العلاقة بين النظام السياسى لثورة يوليو والصحافة المصرية . وتوضح المذكرة التفسيرية للقانون الكيفية التى تم بهـا استيعاب الصحافة لصالح النظام السياسى الحاكم سواء من ناحية الملكية أو التبعية السياسية والفكرية للتنظيم الحزبى المعبر عن ثورة يوليو آنذاك أى الاتحـاد القـومى .

واذا كانت الفترة الناصرية قـد شهدت ذروة السيطرة على الصحافة واستيعابها لصالح سلطة رئيس الجمهورية بمقتضى هـذا القانون مثلما تم استيعاب السلطة التشريعية والتنفيذية من خلال الدستور . فان الميثاق الوطنى (١٩٦٢) قـد حـدد المضمون الاجتماعى لحرية الصحافة وقصر ممارساتها على القـوى الاجتماعية التى يتشكل منها تحالف قـوى الشعب العاملة من خـلال تنظيمها السياسى الواحـد أى الاتحـاد الاشـتراكى الذى أوكلت اليه مهام الملكية والتوجيه والاشراف السياسى والتنظيمى على الصحافة المصرية . وهنا يلاحظ أن الكتاب والصحفيين المؤيدين للنظـام السياسى لثورة يوليو قـد استلهموا على حـد قولهم مقـولة أن الاتحـاد القـومى ثم الاتحاد الاشتراكى هما الكفيلان بضمانة حـق الشعب فى متابعة الأحـداث وابداء الرأى فيها وتوجيهها فيما يحقق ارادته ومصـالحه . والواقع ان هـذا لم يحـدث لأن هـذا الرأى انطلق من فرضية خاطئة أصـلا فالاتحاد القـومى وكذلك الاتحاد الاشتراكى لم يكـونا سـوى تنظيمات سلطوية تم اختيارها من أعلى رغم الانتخابات الظاهرية التى كانت تجرى لكل منهما ولذلك كانت هـذه التنظيمات تدين بالولاء للسلطة السياسية التى اختارتها وعينتها ولم يكن ولائها للشعب الذى لم يسمح له بانتخابها بصورة حرة ونزيهة فى ظـل التدخلات العـديدة من جانب السلطة التنفيذية سواء فى استبعاد بعض التيارات السياسية وتجريمها أحيانا أو بالتزوير فى نتائج الانتخابات . ورغم الاطار المحكم الذى خضعت له الصحافة المصرية آنذاك

فان القيادة الناصرية قد تركت هامشا محسوبا للتيارات الراديكالية تمثلت فى وجود الطليعة والكاتب والفكر المعاصر والمجلة والثقافة مما سمح للرأى الآخر بأن يطرح كاملا فيما عدا التيار الاسلامى المتمثل فى الاخوان المسلمين .

وفى ظل القيادة الناصرية أصبحت الأهرام الناطق شبه الرسمى لهذه القيادة تليها صحيفة الأخبار وأصبحت الجمهورية موئلا للكتاب الذين ينتمون بدرجات متفاوتة الى قوى اليسار المصرى ويختلفون عن توجهات كتاب الأهرام بالاضافه الى مجلتى الطليعه والكاتب كأصوات لليسار . والواقع أن المنبر اليسارى فى الصحافة المصرية قد بدأ بظهور المساء (أكتوبر ١٩٥٦) واستمر حتى ١٩٥٩ وانتهى بنشوب الأزمة بين عبد الناصر ومحرريها اثناء تصاعد الأزمة مع النظام العراقى حيث تم اعتقال أغلبهم وتقرر ضمها الى حظيرة الصحف الناطقة باسم ثورة يوليو .

فترة السادات :

ويلاحظ أن القيادات والكوادر الصحفية ظلت كما هى نفس القيادات التى سيطرت فى الفترة الناصرية وكذلك التشريعات التى تنظم علاقة الصحافة بالسلطة السياسية ممثلة فى قوانين المطبوعات القديمة وقوانين الفترة الناصرية (قانون تنظيم الصحافة ١٩٦٠) والقرارات الادارية والتنظيمية التى أضيفت كقيود تنظيمية خاصة تعيين رؤساء مجالس الادارات والتحرير بالاضافة الى ما جاء فى الميثاق الوطنى .

وقد أضيف اليها فى فترة السادات على المستوى التشريعى مجموعة قيود عامة تمثلت فى القوانين المتتالية مثل قانون حماية الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى وقيود تنظيمية تمثلت فى انشاء المجلس الأعلى للصحافة وميثاق الشرف الصحفى علاوة على سلسلة المشروعات التى كانت تهدف الى اعداد قانون جديد للصحافة أبرزها مشروع عبد المنعم الصاوى واخرها قانون سلطة الصحافة ١٤٨ لعام ١٩٨٠ .

أما على مستوى الممارسة فلم يكف السادات عن توجيه اللوم والتهديد للصحافة والصحفيين واتخاذ مجموعة اجراءات معادية للصحافة والصحفيين

مثل نقـــل الصحفيين والتهديد بتحويل النقابة الى نادى وتصاعدت التهديدات حتى وصلت الى حـــد اعتقال الكثير من الصحفيين المعارضين بالاضافة الى تجربة الاهالى المصادرة ، ثم الشعب وكل ذلك تم فى اطار الصيغة التعددية .

ان الصحف القومية تحولت الى أبواق دعائية أكثر منها اجهزة اعلامية وسخرت كل امكانياتها للدفاع عن وجهة نظر النظام السياسى ومهاجمـــة خصومه ومعارضيه والترويج لسياساته وتخلت عن وظائفها فى التوعيـــة والتثقيف وأصبحت أدوات شبه دعائية ورغم ذلك الشد والجذب بين السلطة والصحافة فقـــد أتيح للرأى الآخر ان يعبر عن نفسه على صفحات الصحف الحزبية المعارضة وقـــد انتزع هـــذا الحق رغم كل الصعوبات التى أحاطت به فى هـــذه الفترة وقـــد تم ذلك حتى على صفحات الصحف القومية ذاتها حيث نشب صراعا عنيفا بين بعض الأقـــــلام التى اختلفت توجهاتها عن اتجاهات رؤساء التحرير التابعين للسلطة والحريصين على تنفيذ تعليماتها بدقـــة مثال الأخبار (جـــلال الحمامصى) ، الجمهورية (كامل زهيرى) وبعض الأقـــلام الشـــابة .

هـــذا وقـــد طرحت الرؤية اليسارية على صفحات الأهالى والرؤية الاسلامية فى الدعوة ــ المختار الاسلامى والرؤية اليسارية المعتدلة فى الشعب .

فـــترة مبـــارك :

رغم أن هـــذه المرحلة تعـــد امتدادا لحقبـــة السادات غير أن تفاقم الأزمة الاقتصادية ومجىء مبارك عقب الأزمة الشاملة لنظام السادات التى انتهت بمقتله لم تتح للنظام فرصة التضييق أو فرض مزيد من القيود على حرية التعبير لذلك سمح النظام السياسى بهامش أكثر اتساعا برز من خلاله حزب الوفـــد وصحيفته وارتفع صوت القوى الليبرالية التقليدية المتحالفة مـــع بعض العناصر الانفتاحية التى ازدهرت خلال الفترة الساداتية كما عادت الصحف الحزبية التى صودرت أثناء فترة السادات الى الظهـــور (الأهالى والشعب) كذلك أتيح للناصريين اصـــدار صحيفتهم (صـــوت العرب) وشهدت الصحافة فترة استقرار نسبى فرضتها مصلحة النظـــام وحرصه على عـــدم تكرار تجاوزات الفترة الساداتية التى تمثلت فى العديد

من المعـــارك والمهاترات بين النظام السياسى والمعارضة بصفة عامة وعلى الأخص صحيفتى الأهـــالى والشـــعب وبعض الأقـــلام والكتـــاب الذين ينتمـــون للصـــحف القـــومية .

هـــذا ويلاحظ قصر الفترات التى تمتعت خلالها الصحافة المصرية بمـــا يسمى الانفراجة حيث كان يسمح للأقـــلام المختلفـــــة أن تعبر عن اتجاهاتها المعارضة للنظام السياسى وتوجـــه انتقاداتها دون خـــوف الى بعض مفردات الواقع السياسى والاجتماعى والاقتصادى ويمكن رصــــــد هـــذه الفترات بأنها تتمثل فيما يلى :

الانفراجـــة الأولى :

اثناء ازمة مارس ١٩٥٤ وهى تبدأ من ٥ مارس ـــ ٢٥ مارس حيث ازدهر الجـــدل والنقـــاش حول قضية الديموقراطية وظهر العـــديد من الكتابات التى طالبت بضررة النص فى الدستور الجـــديد على حـــق الانسان المصرى فى الحرية والسلامة والمساواة وتعـــددت الكتابات التى تناولت حقـــوق المواطنين والانتخابات وطالبت بحـــق العمـــل السياسى للاخـــوان المسلمين والشيوعيين . وترجع هـــذه الانفراجـــة الى رفع الرقابة عن الصحف لأول مرة فى مصر بعـــد قيام الثورة وقـــد أسفر ذلك عن ظهـــور التعـــددية فى الآراء والاتجاهات التى وجـــدت طريقها على صفحات صحف الثـــورة نفسها .

وقـــد انتهت هـــذه الانفراجـــة بعـــد أن حسمت الأحـــداث لصالح النخبـــة العسكرية وتوجهاتها وصـــحافتها .

الانفراجـــة الثانية :

شـهدت الصحافة المصرية الانفراجـــة الثانية بعـــد وقـــوع هزيمة يونيـــو ١٩٦٧ وقـــد كان لهـــا آثارها المباشرة على المثقفين بصـــورة عامة وعلى الأخص الصحافة والصحفيين حيث فتحت الأبواب واسعة لطـــرح العـــديد من التساؤلات الجـــوهرية حـــول أسباب الهزيمة وطبيعة الصراع العربى الاسرائيلى والدور الحقيقى لوسائل الاعلام وخاصة الصحف وهل

هى أداة للتنوير والتوعية أم اداة للتضليل وتزييف الحقائق ؟ وترجع أسباب هــذه الانفراجــة الى الصــدمة العنيفة التى أحــدثتها الهزيمة لدى الرأى العام المصرى ممـــا أجبر السلطة على السماح بهامش اكبر من حرية التعبير لامتصاص موجات السخط الجارفة التى اجتاحت الرأى العـــام المصرى وتصاعدت بعــد صــدور الأحكام على المسئولين عن الهزيمة واتخـــذت شكل مظاهرات شـــارك فيها الطلبة والعمال (فبراير ١٩٦٨) .

أما الانفراجـــة الثالثة :

فقــد بدأت بقرار الرئيس السادات برفـــع الرقابة على الصـــحف وتخويل رؤساء التحرير المسئولية الكاملة عما تنشره الصحف أى تم الغاء الرقابة بصورتها الرسمية وتقرر نقلها الى داخل الصحف والصحفيين كى تصبح رقابة ذاتية وذلك فى فبراير ١٩٧٤ . ولكن لم يمض اقـــل من شـهر حتى بدات السلطة السياسية تضيق بهـــذا الهامش المحـــدود من الحرية وأبدى الرئيس السادات تبرمه مما أسماه سوء استغلال حرية الصحافة ثم أعقب ذلك حــدوث بعض التغيرات الأساسية التى شـهدتها الخريطـــة الصحفية فى مصر والتى تمثلت فى ظهور الصحف الحزبية تعبيرا عن الاحزاب الجــديدة التى سمح بقيامها بموجب القـــانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٧٧ الخاص بنظـــام الأحزاب السياسية .

المحـــور الثانى ــ اتجاهات الصحافة المصرية ازاء قضايا المراحل الأربعة :

اختطت صحف الثورة تقليدا فريدا فى تاريخ الصحافة المصرية المعاصرة وهـــو أسلوب التبرير والتفسير والتأييد لكافـــة ما تقوم به الحكومة من اجراءات سواء كانت صائبة أم خاطئة وقــد اقتصرهـــذا السلوك على الصحف الناطقة باسم قيادة الثورة فى المرحلة الأولى (١٩٥٢ ــ ١٩٥٤) ثم أصبح سمة بارزة فى الصحافة المصرية فى المراحل التالية . وقــد كانت البداية فى يوليو ١٩٥٢ عندما ظهرت الدعـــوة الى تطهير الأحزاب ثم المطالبة بالغائها اذ بدى الاختلاف واضحا بين معالجات مجلة التحرير (سبتمبر ١٩٥٢) أولى الصحف الناطقة باسم الثورة ثم صحيفة الجمهورية (ديسمبر ١٩٥٣) وبين معالجات الصحف التقليدية لهـــذه القضية .

ثم تكرس هـذا التقليد (أسلوب التبرير وتأييد السلطة الحاكمة) بصورة ملحوظة فى المرحلة الثانية أى الفترة الناصرية وخصوصا بعد صدور قانون تنظيم الصحافة (مايو ١٩٦٠) وانتقـال ملكية الصحف والاشراف السياسى والادارى عليها للاتحاد القـومى ثم الاتحاد الاشتراكى . ويلاحظ أن مواقف الصحف ومعالجاتها للقضايا التى طرحت فى الفترة السابقة على صـدور قانون تنظيم الصحافة كانت تتسم بالطابع الرسمى بوجـه عام مـع وجود بعض التباينات مثل انتخابات ١٩٥٧ حيث كانت تعبر الصحف عن وجهة نظر الحكومة أكثر من تعبيرها عن وجهات نظر الأعضـاء داخل البرلمـان ولكن لوحظ أن هناك بعض التباينات تمثلت فى بعض الآراء الجادة التى طالبت بوضـع قانون للانتخـابات ضمانا لتشـكيل برلمـان سـليم وحماية حقوق الناخبين من التزوير كذلك قامت جريدة المساء بدور بارز فى توعية القراء بحقوقهم الانتخابية والربـط بين الانتخابات ومعركة التحرير الوطنى .

وفيما يتعلق بالمراحل التالية لوحظ أن المعالجات الصحفية للقضـايا المطروحة محليا وعربيا تلتزم بوجهة نظر السلطة السياسية التزاما مطلقـا مثال موقف الصحف المصرية من المقاومة الفلسطينية فى الستينيات حيث ساد الاتجاه القومى الراديكالى فى معالجات الصحف لنشاط المقاومة الفلسطينية وذلك تأكيدا للالتزام الوطنى والقومى الذى عبرت عنه الممارسات الناصرية منذ حرب السويس ١٩٥٦ وبلغ ذروته بتحقيق الوحـدة المصرية ــ السورية ١٩٥٨ . وكانت الصحف المصرية تلتزم بشعار عبد الناصر الذى كان يدعو الى وحـدة القـوى الثورية فى مواجهة القـوى الرجعية ثم اختلفت مواقفها باختلاف موقف القيادة السياسية بعـد هزيمة يونيو ١٩٦٧ حيث برزت على صفحاتها الدعوة لوحـدة الصحف وذلك تمشيا مـع الصـيغة التوفيقية الجـديدة التى طرحها عبد الناصر بعـد الهزيمة والتى تجمع بين وحـدة الصف ووحـدة الهـدف . كذلك لوحظ أن المتابعة الصحفية للمقـاومة الفلسطينية كانت تهتز أثناء الخلافات مع المنظمات الفلسطينية (مثال فترة قبول مبادرة روجز) وبعـد زوال الخلاف تعـود الصحف المصرية الى سابق اهتمامها بالمقاومة . هـذا وقـد برز الرأى الآخر متمثلا فى الموقف الذى كانت تتبناه مجلة الطليعة من المقاومة الفلسطينية حيث كانت تحاول

التمسك بالمواقف المبدأية بعيدا عن تذبذبات السلطة السياسية وانعكاساتها على الصحف اليومية . كذلك لم يخلو الأمر من بعض التباينات داخل هــذه الصحف ذاتها . فاذا كانت الأهرام قــد حملت لواء التعبير عن الاتجــاه الرسمى لثورة يوليــو ازاء تطورات القضية الفلسطينية وخصوصا الكفاح الفلسطينى المسلح ودوره فى استعادة فلسطين فقد كانت الجمهورية تهتم بالتعبير عن الاتجــاه الشعبى ازاء هــذه القضــية .

أما صحيفة الأخبــار فقد تأرجح موقفها اذ كانت فى البداية تتبنى الاتجــاه الأمريكى ثم تغيرت مواقفها بتغير قياداتها الصحفية فبدأت تتبنى شعار الكفاح المسلح وتدافع عن الثورة الفلسطينية المسلحة طــوال النصف الثانى من مرحلة الستينيات ويلاحظ أن الأهرام رغم مساندتها للمقــاومة الفلسطينية الا أنها كانت تعبر عن موقف السلطة السياسية ى تفضيلهــا للحرب الوطنية النظامية .

أما موقف الصحافة المصرية من المقاومة الفلسطينية خلال الحقبــة الساداتية فقــد تعرض للتذبذب والتناقض الذى سيطر على موقف السلطة السياسية ذاتها خلال تلك المرحلة . فقــد اتخــذ هــذا الموقف طــابع التأييد الكامل قبل مبادرة السادات نوفمبر ١٩٧٧ ثم كان التجاهــل هــو الطابع الغالب على معالجات الصحافة المصرية للأعمال الفــدائية الفلسطينية التى حــدثت بعــد المبادرة . وقــد تواكب هــذا مع سياسة النظــام المصرى الحاكم تجاه المقاومة الفلسطينية وهنا يجــدر الاشارة الى مواقف رؤساء تحرير الصحف اليومية من قضية الصراع العربى الاسرائيلى حيث كانوا يدينون الحل السلمى ويحثون الرأى العام المصرى على تأييد ومساندة الكفاح المسلح ويرفعــون شعار تحــويل الجبهة الداخلية الى خلايا ثورية لتحرير الوطن ولمواجهة العــدو الاسرائيلى . وقــد كان ذلك خلال الحقبة الناصرية ثم تحول هؤلاء الكتاب والقيادات الصحفية الى النقيض خــلال الحقبة الساداتية حيث جندوا أقلامهم للدفاع عن مبادرة السادات ومعاهدة الصلح المصرى الاسرائيلى والترحيب بتطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل متجــاهلين آرائهم ومواقفهم فى الستينات ومستندين الى احتمالات ضــعف الذاكرة القــومية لدى الشعب المصرى . ولكن من الواضح أن الصــيغة

التى بلورتها ثورة يوليـــو وحـــددت أبعادها القيادة الناصرية للعلاقة بين الصحافة المصرية والنظام السياسى هى المسئولة الى حـــد كبير عن تحول الصحف المصرية والصحفيين الى أدوات تنفيذية فى أيدى النظام السياسى يقومون بتعبئة الراى العام المصرى لمساندة مواقف الحكومة السلبية والايجابية ازاء القضايا الجوهرية التى يواجهها الشعب المصرى محليا وعربيا دون مراعاة لمسئولياتهم المهنية والفكرية كقـــادة للرأى وصنا أمنـــاء للوعى الوطنى والاجتمـــــاعى .

هـــذا وقـــد اتاحت الصيغة التعـــددية التى تميزت بها الخريطـــة الصحفية أثناء الحقبـــة الساداتية الفرصـــة لظهـــور الرأى الآخر المخالف للاتجاهات الرسمية التى تبنتها وروجت لهـــا الصحف القـــومية وصحيفة مايو لسـان حال الحزب الحاكم . وقـــد برز هـــذا بصورة جلية فى مواقف كل من صحيفتى الأهالى والشعب حيث خصصوا صفحاتهم وأقلام كتابهم للدفاع عن المقاومة الفلسطينية ورموزها ومتابعة نشاط المقاومة الفلسطينية داخـــل الأراضى المحتلة عـــلاوة على فضـــح كافـــة أشـــكال الغزو الثقافى والاقتصادى الاسرائيلى لمصر ومهاجمة التطبيع المصرى الاسرائيلى وتعبئة الرأى العام المصرى ضـــد السياسات الحكومية المتعاونة مـــع اسرائيل والمطالبة بالغاء معاهـــدة الصلح المصرى الاسرائيلى وتحرير الوطن المصرى من مختلف صـــور الغزو الصهيونى والاسرائيلى .

ويلاحظ استمرار انقسام الخريطة الصحفية فى مصر فى المرحلة الرابعة للثورة الى صحف رسمية وهى الصحف المسماة بالقومية تتلقى اشارة البدء من النظام السياسى كى تبادر بطرح القضايا التى يتبناها وتبدأ فى الترويج لوجهة النظر الحكـــومية وتبريرها ودعمهـــا بشتى الأســـانيد وتخصيص صفحاتها للدعاية السافرة لسياسة الحزب الوطنى الحاكم والهجوم على صحف المعارضة وقـــد بدى ذلك واضحا من خلال استقرائنا لمواقف الصحف القومية والحزبية من قضيتى الانتخابات ١٩٨٧ والدعم وقـــد تبادلت كل من الصحف القومية والحزبية الاتهامات أثنـــــاء الانتخابات الأخيرة وتمسكت الصحف القومية بموقفها المنحاز للحزب الحاكم الى حـــد تخصيص افتتاحات صحفها للدعاية المباشر له . وتبنت الصحف الحزبية المعارضة موقفا شبه موحـــد تجاه الانتخابات وموقف الصحف القومية منها . فقد أجمعت الصحف

الحزبية على الطعن فى دستورية القـــانون الجـــديد للانتخابات وتأكيـــد خصـــومتها السياسية للحزب الوطنى والتحـــذير من التزوير والاهتمـــام بالبرامج الانتخابية للأحزاب واثارة قضية التغيير على صفحاتها . وقـــد أجمعت الصحف الحزبية على حاجة مصر الى تغيير جـــذرى يتناول كافـــة المواقع والمجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

أما قضية الدعم فقد اتفقت كل الصحف القومية والحزبية فى تزامن معالجتها مـــع الفترات التى اثارت فيهـــا الحكومة هـــذه القضـــية . ولكن الاختلاف فى التناول كان هـــو السمة البارزة فقـــد التزمت الصحف القومية بالرؤية الرسمية ممـــا أدى الى وقوعها فى العـــديد من التناقضات انسياقا مع موقف الحكومة . فاذا تبنت الحكومة فكرة الكوبونات أو الكارت سارعت الصحف القومية الى عرض وتناول هـــذه الفكرة وتأييدها والترويج لهـــا ولا بأس من اتخاذ الموقف النقيض فى اليوم التالى تمشيا مع رؤية السلطة .

أما الصحف الحزبية فقد اتخـــذت موقع رد الفعل وكانت معالجتهـــا لقضية الدعم مرتبطـــة باثارة القضية على صفحات الصحف القومية ولذلك اتسمت معالجاتها بالموسمية وان كانت قـــد طرحت رؤى مخالفة جـــذريا للاتجاه الحكومى . كما حاولت كشف وفضح نوايا الحكومة فى حرصها على الغاء الدعم للفقراء والابقاء على أشكال الدعم الخفية التى تمنحها للأغنياء .

المحـــور الثالث (الصحفيون المصريون) :

رغم أن نقـــابة الصحفيين المصريين تضم حـــوالى ٢٨٠٠ عضوا غير أن القوى العاملة فى المجال الصحفى لا تزيد عن ثلث هـــذا العـــدد فضـــلا عن أن القيادات الصحفية ويمثلها رؤساء التحرير ومعاونيهم من مديرى التحريرى ورؤساء الأقسام لا يتجاوز عـــددهم بحال ٢٥٪ من الـــكوادر الصحفية الفـــاعله . وتتفـــاوت التخصصات المهنيـــة داخـــل المؤسسات الصحفية وتتوزع المسئوليات ما بين أغلبية تنهض بالأعباء التقنية للمهنة بدءا بجمع الأخبار والمعلومات وتحريرها واعـــدادها للنشر سواء كانت هـــذه المواد ذات طابع خبرى أو مواد للرأى كذلك يدخل فى نطاق هـــذه المهـــام عبء اخراج الصحيفة وطباعتها . أما الأقلية فهى تتمثل فى القيادات الصحفية

العليا والوسطى الذين يقومون بدور حراس البوابات وهم يحـــددون ما ينشر وما لا ينشر ويقومون فى الغالب بكتابة الافتتاحيات . ويدخل فى نطـــاقهم كتاب المقالات والاعمدة وسائر مواد الرأى الهامة التى تحملها صفحات الصحف اليومية والأسبوعية . والصحفيون المصريون لا يشكلون طبقة ولكنهم يشكلون فئة متميزة فى اطار شريحة المثقفين المصريين وينتمى الصحفيون المصريون الى الشرائح الوسطى والدنيا من الطبقة الوسطى وجميعهم مؤهلين تأهيلا جامعيا . ويشكل المتخصصون فى الدراسات الصحفية والاعلامية نسـبة مرتفعة منهم . (تزيد عن ٦٠٪) . وتضم الصحف القومية القاعدة العريضة من الصحفيين المصريين وخصوصا الكوادر الشابة . كما تعتمد الصـــحف الحزبية على نفس الكوادر الصحفية التى تعمل بالصحف القومية . وقـــد بدأت قيادة ثورة يوليو علاقتها المباشرة بالصحافة والصحفيين منذ الأسابيع الأولى للثورة حيث بدأ غزو النخبة العسكرية للوسط الصحفى متمثلا فى اسناد مناصب رئاسة التحرير للعـــديد من الضباط فى الصحف الناطقة باسم الثورة وقـــد تزايد نفوذهم تدريجيا حتى يمكن القول بأن حقبة جـــديدة بدأت فى تاريخ الصحافة المصرية يمكن تسميتها الحقبة العسكرية .

وقـــد ازداد تعـــدد الضباط داخل مهنة الصحافة خصوصا بعـــد اسناد مهمـــة الاشراف السياسى والادارى على الصحافة للاتحاد القـــومى بمقتضى قانون تنظيم الصحافة (مايو ١٩٦٠) . واذا كان كان هـــذا القانون يستهدف تحرير الصحافة المصرية من سيطرة رأس المـــال وسيطرة الأفراد فانه يمكن القول بأن الهـــدف الأول قـــد تحقق بتحـــويل ملكية الصحف الى الاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى فمجلس الشورى . ولكن الهـــدف الثانى لم يتحقق بالصورة التى أشار اليها هـــذا القانون لأنه قام بنقـــل السلطة من رؤساء التحرير الحزبيين الى النخبة العسكرية .

والمعروف أن العسكر أو الضباط يشكلون شريحة ذات نوعية تتميز بالانضباط والصرامة ومعاداة الثقافة ورغم انتمائهم الى الشرائح الدنيـــا والوسطى من الطبقة الوسطى ولكنهم لا يملكون الوعى الطبقى فضلا عن أن أغلبهم غير مسيس وذلك بحكم تبريتهم العسكرية وطبيعة الأعباء الوظيفية التى يلتزمون بهـــا . ولذلك فهم ينتمون الى مهنتهم بصورة أعمق من سائر

المثقفين وقد انعكس ذلك على ممارستهم الاعلامية اذ ترتب على اقتحامهم لحقل الصحافة الكثير من الآثار السلبية التى انعكست على الأداء المهنى والأدوار التى يقوم بها هؤلاء الذين ينتمون الى المهنة الصحفية .

فقد نجح هؤلاء العسكريون فى احكام الحصار حول مهنة الصحافة وتحويل الصحفى والصحفيين الى أدوات تنفيذية محضة تردد ما تراه السلطة صوابا وتتمادى فى التأييد والتبرير دون ابراز الجوانب السلبية والايجابية فى السياسات المطروحة . واذا كانت الصحافة كمهنة لاتزدهر الا فى مناخ يسوده الجدل والنقاش وجو الاختلاف وهذه شروط لا تتوافر لدى العسكريين بحكم الأسباب التى أسلفناها لذلك أصبحت الصحافة المصرية (بفضل المشاركة المتزايدة من جانب العسكر فى شئونها) أداة لخدمة النظام السياسى وتنبثق منه وتصب فى قنواته وتتوجه رأسا الى الرأى العام الذى يتلقى المواد الاعلامية المنشورة سواء كانت اخبارا أم آراء وكأنهـا تعليمات عسكرية غير قابلة للنقاش أو الاختلاف حولها وبذلك يمكن القول أن الصحافة المصرية فى مجملها عدا بعض الاستثناءات المحدودة أصبحت صحافة تعبئة بالمعنى العسكرى وليس بالمعنى الأيديولوجى المتعدد المنابع اى أصبحت مهمتها الأولى تنفيذ الأوامر دون محاولة تفنيدها فضلا عن نقدها أو استثمار ذلك فى بناء رأى عام حقيقى قادر على المناقشة والنقد واتخاذ المواقف .

واذا كان هذا القول ينطبق بصورة أساسية على الصحف الناطقة باسم الثورة ثم الصحف القومية طوال مراحل الثورة الأبعة فان الصحف الحزبية لم تمتلك بعد كامل حريتها بسبب القيود القانونية والتنظيمية العديدة التى تكبل حركتها وان كانت قد نجحت الى حد بعيد فى توسيع هامش الحرية الممنوح لها من جانب النظام السياسى والذى يعد ضرورة أمنية للنظام حتمتها الظروف الراهنة التى يمر بها المجتمع المصرى .

المصادر الأساسية للدراسة ومراجعها

الصحف والمجلات (١٩٥٢ ــ ١٩٨٧) :

١ ــ مجموعة الأهرام ١٩٥٢ ــ ١٩٨٧ .
٢ ــ مجموعة الأخبار وأخبار اليوم ١٩٥٢ ــ ١٩٨٧ .
٣ ــ مجموعة الجمهورية ١٩٥٣ ــ ١٩٨٧ .
٤ ــ مجموعة المساء ١٩٥٦ ــ ١٩٨٧ .
٥ ــ مجموعة آخر ساعة ١٩٥٢ ــ ١٩٨٧ .
٦ ــ مجموعة روز اليوسف ١٩٥٢ ــ ١٩٨٧ .
٧ ــ مجموعة المصور .
٨ ــ مجلة الطليعة ١٩٦٥ ــ ١٩٧٧ .

الصحف الحزبية (١٩٧٧ ــ ١٩٨٧) :

١ ــ الأحرار ١٩٧٧ ــ ١٩٨٧ .
٢ ــ الأهالى ١٩٧٨ ، ١٩٨٢ ــ ١٩٨٧ .
٣ ــ الشعب ١٩٧٩ ــ ١٩٨١ ، ١٩٨٢ ــ ١٩٨٧ .
٤ ــ مايو ١٩٨١ ــ ١٩٨٧ .
٥ ــ الوفد ١٩٨٤ ــ ١٩٨٧ .

الوثائق :

١ ــ نص قانون تنظيم الصحافة (مايو ١٩٦٠) . الهيئة العامة للاستعلامات .

٢ ــ الميثاق الوطنى مايو ١٩٦٢ ــ الهيئة العامة للاستعلامات .
٣ ــ برنامج ٣٠ مارس ١٩٦٨ ــ الهيئة العامة للاستعلامات .
٤ ــ نص قانون نقابة الصحفيين سبتمبر ١٩٧٠ ــ الهيئة العامة للاستعلامات .

٥ ــ قانون سلطة الصحافة رقم ١٤٨ لسنة ١٩٨٠ ــ الهيئة العامة للاستعلامات .

٦ ــ ميثاق الشرف الصحفى مارس ١٩٨٣ ــ المجلس الأعلى للصحافة .

المراجع :

١ ــ أحمد حمروش : قصة ثورة يوليو ــ الجزء الأول . (مصر والعسكريون) ١٩٧٤ ، **الجزء الثانى** (مجتمع جمال عبد الناصر) المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت ١٩٧٨ .

٢ ــ طارق البشرى : الديموقراطية والناصرية ــ دار الثقافة الجديدة ــ القاهرة ١٩٧٥ .

٣ ــ عبد العظيم رمضان : عبد الناصر وازمة مارس ١٩٥٤ ــ سلسلة الكتاب الذهبى (٢١٨) ــ روز اليوسف ــ القاهرة ١٩٧٧ .

٤ ــ عواطف عبد الرحمن : دراسات فى الصحافة المصرية المعاصرة ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ١٩٨٦ .

٥ ــ فاروق ابو زيد : أزمة الديموقراطية فى الصحافة المصرية ــ مكتبة مدبولى ــ القاهرة ١٩٧٦ .

٦ ــ على الدين هلال : تجربة الديموقراطية فى مصر ــ المركز العربى للبحث والنشر ــ القاهرة ١٩٨٢ .

٧ ــ كرم شلبى : صحافة الثورة وقضية الديموقراطية فى مصر ــ مركز الدراسات الصحفية بمؤسسة التعاون ــ القاهرة ــ ١٩٨٢ .

٨ ــ ليلى عبد المجيد : حرية الصحافة فى مصر بين التشريع والتطبيق ١٩٥٢ ــ ١٩٧٤ ــ دار العربى ــ القاهرة ١٩٨٣ .

هــوامش الدراســة

※ انظر : روز اليوسف : ١١ مايو ١٩٥٣ ٠

١ ـ انظر : هجوم صلاح سالم على جريدة المصرى وتأكيده أن الرقابة على الصــحف ستظل قــوية تضع سيفا فــوق كل رأس مخربة فى المؤتمر الشعبى ١٥ سبتمبر ١٩٥٣ ـ (الأهرام : ١٩٥٣/٩/١٦) ٠

٢ ـ انظر : أخبار اليوم : ١٩٥٢/١٠/٢٥ (محمد التابعى) ، وآخر ساعة : أبريل ١٩٥٣ (محمــد حسنين هيكل) ٠

※ انظر : ليلى عبد المجيد : السياسه الاعلامية فى مصر ١٩٥٢ ـ ١٩٧١ رســـالة دكتوراه غير منشورة ـ كلية الاعلام ـ جامعة القاهرة ١٩٨٢ ٠ ص ٣١٣ ٠

٣ ـ انظر : مجلة التحرير : ١٥ نوفمبر ١٩٥٢ ، اول اكتوبر ١٩٥٢ مقـــال لكامل الشناوى : هــل يعود الجيش الى ثكناته ٠

٤ ـ انظر : التحرير : ١٥ نوفمبر ١٩٥٢ ، ٢٨ يناير ١٩٥٣ (نحن والديمقراطية) ة لثروت عكاشــة ، الجمهورية : ٧ ديسمبر ١٩٥٣ ٠

٥ ـ انظر : الجمهورية : ٢٨ ديسمبر ١٩٥٣ مقال لجمال عبد الناصر بعنوان : رأى الجمهورية : ١٠ أبريل ١٩٥٤ ، ٢٩ ، ٣١ يناير ١٩٥٥ مقالات أنور السادات ٠

٦ ـ انظر : المصور : ٣٠ اكتوبر ١٩٥٥ نقلا عن كرم شلبى : صحافة الثورة وقضية الديموقراطية فى مصر ـ مركز الدراسات الصحفية بمؤسسة التعاون ـ القاهرة ـ ١٩٨٢ ٠

٧ ـ انظر : عبد العظيم رمضان : عبد الناصر وأزمة مارس ـ روز اليوسف ١٩٧٧ ص ١٦٩ ـ ١٧٦ ٠

٨ ـ انظر : الجمهورية : ١٤ ، ١٥ ، ٢١ مارس ١٩٥٤ : مقالات لويس عوض عن (دســتور الشــعب) ٠

٩ ـ انظر اللجمهورية : ٢٢ ، ٢٤ مارس ١٩٥٤ مقــالات محمــد منــدور عن الجمهورية الاشــتراكية ٠

١٠ ـ انظر : الجمهورية : ٢٠ مارس ١٩٥٤ خالد محمد خالد (الاخوان والشيوعيون والثــورة) ٠

١١ ـ انظر : الأخبار : ٨ مارس ١٩٥٤ ، ٩ مارس ١٩٥٤ ٠

١٢ ـ انظر : روز اليوسف : ١ ، ٨ ، ١٥ ، ٢٢ ٢٩ مارس ١٩٥٤ ٠

١٣ ـ أنظر : مجلة التحرير : أول مارس ١٩٥٤ ، الجمهورية : ٧ مارس ١٩٥٤ نقلا عن كرم شلبى ـ مصدر سابق ـ ص ١٠١ ـ ١٠٣ ٠

١٤ ـ الجمهورية : ٣١ مايو ١٩٥٦ ٠

١٥ ـ أنظر : أحمد حمروش : قصة ثورة يوليو ـ مجتمع جمال عبد الناصر ـ المؤسسة العربية للدراسات ـ بيروت ـ ١٩٧٨ ـ ص ١٥٨ ٠

١٦ ـ الشعب : ٢ نوفمبر ١٩٥٧ ٠

١٧ ـ أنظر : عواطف عبد الرحمن : دراسات فى الصحافة المصرية المعاصرة ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٨٦ ـ ص ٥٥ ٠

١٨ ـ أنظر : كرم شلبى ص ١٦٢ ، ليلى عبد المجيد ، ص ٢٢٨ ـ مصدران سابقان ٠

١٩ ـ ادارة المطبوعات ـ الهيئة العامة للاستعلامات ـ القاهرة ١٩٦١ ٠

٢٠ ـ نص قانون تنظيم الصحافة ـ الهيئة العامة للاستعلامات ـ ١٩٦١ ٠

٢١ ـ أنظر : الأهرام : ٢٦ مايو ، ١ ، ٣ يونيو ١٩٦٠ رأى الأهرام مقالات محمد حسنين هيكل ، الاخبار : ٢٧ ، ٢٨ مايو ، روز اليوسف : ٣٠ مايو ، المصور : ٣ يونيو ١٩٦٠ ٠

٢٢ ـ الجمهورية : ٢ يوليو ١٩٥٧ ٠

٢٣ ـ الجمهورية : ١١ يوليو ١٩٥٧ ، نقلا عن كرم شلبى ـ مصدر سابق ـ ص ١٤٣ ٠

٢٤ ـ مجلة الثورة : ٢ فبراير ١٩٥٧ ٠

الجمهورية : ١١ مارس ١٩٥٧ ٠

٢٥ ـ أنظر : الثورة : ٩ يونيو ١٩٥٥ ، ٢٣ فبراير ١٩٥٦ ٠

٢٦ ـ أنظر : المساء ٥ مايو ، ٢٠ مايو ، ٥ يونيو ، ١٨ مايو ١٩٥٧

٢٧ ـ برنامج ٣٠ مارس ١٩٦٨ ـ الهيئة العامة للاستعلامات ـ ص ٨٦ ٠

٢٨ ـ نص قانون نقابة الصحفيين ـ الجريدة الرسمية ـ ١٧ سبتمبر ١٩٧٠ ٠ العدد ٣٨ ـ ص ٦٤٣ نقلا عن ليلى عبد المجيد ـ مصدر سابق ـ ص ١٠٦ ٠

٢٩ ـ على الدين هلال : تجربة الديمقراطية فى مصر ـ المركز العربى للبحث والنشر ـ القاهرة ١٩٨٢ ـ ص ١٧٢ ـ ١٧٧ ٠

٣٠ ـ انظر : الأهرام ٢٦ يوليو ١٩٦٧ ٠

٣١ ـ أنظر : الأهرام ٧ ، ١٠ أغسطس ١٩٦٧ ٠ الأخبار ١٢ ، ١٩ أغسطس ١٩٦٧ ٠

٣٢ ـ أنظر : الأهرام ١٢ سبتمبر ١٩٦٥ ، ٤ أكتوبر ١٩٦٥ ، الجمهورية ٦ يونيو ١٩٦٦ ٠

٣٣ ـ أنظر : الأهرام ٢٧ مايو ١٩٦٦ ، اخبار اليوم ٢٣ يوليو ١٩٦٦ ، الأخبار ١١ فبراير ١٩٦٧ .

٣٤ ـ انظر : عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ـ الطبعة الثانية ـ سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت ـ يونيو ١٩٨٥ ـ ص ٣١٨ .

٣٥ ـ الأخبار ـ ٢ يوليو ١٩٦٧ ، ٥ نوفمبر ١٩٦٧ .
٣٦ ـ الأخبار ـ ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ .
٣٧ ـ الأخبار ـ ١٨ ديسمبر ١٩٧٧ .
٣٨ ـ الأخبار ـ ٢١ نوفمبر ١٩٧٧ .
٣٩ ـ الأخبار ـ ديسمبر ١٩٧٧ .
٤٠ ـ الأهرام ـ ٢٧ ديسمبر ١٩٧٧ .
٤١ ـ الأهرام ـ ١٦ نوفمبر ١٩٧٧ .
٤٢ ـ الأهرام ـ ١٦ نوفمبر ١٩٧٨ .
٤٣ ـ الأهرام ـ ١٨ مايو ١٩٧٨ .
٤٤ ـ الجمهورية ـ عمود من القلب ـ ١٩٧٧/١٢/٢٨ .
٤٥ ـ الجمهورية ـ عمود من القلب ـ ١٩٧٧/١٢/٣٠ .
٤٦ ـ الأخبار ـ ٣٠ أغسطس ١٩٦٦ .
٤٧ ـ الأخبار ـ ١٧ يوليو ١٩٧٤ .
٤٨ ـ الأخبار ـ ٢٨ يوليو ١٩٦١ .
٤٩ ـ الأخبار ـ ٢٥ أغسطس ١٩٧٤ .
٥٠ ـ أنظر حديث حسنى مبارك لجريدة مايو ١٩٨٤/١٠/١٥ .

٥١ ـ أنظر انتخابات مجلس الشعب ١٩٨٤ ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ـ مؤسسة الأهرام ـ القاهرة ـ ١٩٨٦ ـ ص ١٣٢ ـ ١٥٠ .
٥٢ ـ أنظر انتخابات مجلس الشعب ـ مصدر سابق .
٥٣ ـ أنظر الاهرام ٩ مارس ١٩٨٧ ـ الأخبار ١٠ ، ١٢ مارس ١٩٨٧ .
٥٤ ـ انظر آخر ساعة ١٨ مارس ١٩٨٧ .
٥٥ ـ أنظر الأهرام ٢٢ مارس ١٩٨٧ .
٥٦ ـ أنظر المصور ٣٠ مارس ١٩٨٧ .
٥٧ ـ انظر الأخبار ١٣ مارس ١٩٨٧ .
٥٨ ـ أنظر الأخبار ٥ ، ٩ مارس ١٩٨٧ .
٥٩ ـ انظر الأهرام ١٧ ، ١٨ مارس ١٩٨٧ .
٦٠ ـ أنظر الأهرام ٢٩ مارس ١٩٨٧ .
٦١ ـ أنظر الأهرام ٨ أبريل ١٩٨٧ .

٦٢ ـ انظر الأهرام ١٠ ابريل ١٩٨٧ ٠

٦٣ ـ أنظر الأهالى ٢٥ فبراير ، أول أبريل ١٩٨٧ ، الوفـد ١٢ فبراير ٠ ٩ ابريل ١٩٨٧ ٠

٦٣ ـ الشعب ٣ ، ١٧ ، ٢٤ فبراير ، ٦ أبريل ١٩٨٧ ٠

٦٤ ـ أنظر الشعب ٣١ مارس ١٩٨٧ ، الأهالى ١٨ مارس ، أول أبريل ١٩٨٧ ، الوفـد ٢ أبريل ، الأحرار ١٦ فبراير ، ٩ مارس ١٩٨٧ ٠

٦٥ ـ انظر الأهالى أول أبريل ١٩٨٧ ، الشعب ٣١ مارس ١٩٨٧ والأحرار ٣٠ مارس ١٩٨٧ ، الوفـد ١٤ مارس ١٩٨٧ ٠

٦٦ ـ أنظر الأهالى ١١ مارس ، أول أبريل ١٩٨٧ ، الشعب ١٧ فبراير ، ٣١ مارس ، الوفـد ١٩ فبراير ، ٥ مارس ١٩٨٧ ، الأحرار ٩ ، ١٦ ، ٢٣ مارس ١٩٨٧ ٠

٦٧ ـ أنظر : الأهالى ١١ ، ٢٥ مارس ، أول أبريل ١٩٨٧ ، الشعب ٣١ مارس ، والأحرار ٢ مارس ، الوفـد ٢٦ فبراير ، ١٠ مارس ١٩٨٧ ٠

٦٨ ـ أنظر : الشعب ١٧ فبراير ، ٣١ مارس ١٩٨٧ ٠

٦٩ ـ أنظر : الأهالى ٨ ، ٥ أبريل ، الشعب ٦ أبريل ، الوفـد ١٠ أبريل ١٩٨٧ ٠

٧٠ ـ أنظر : الأهالى ١٥ أبريل ١٩٨٧ ٠

٧١ ـ أنظر : الأهرام ٢ ، ٥ يناير ١٩٧٦ ٠

٧٢ ـ أنظر : الأهرام ١٧ ابريل ١٩٨١ ٠

٧٣ ـ أنظر : الجمهورية ٢٥ أغسطس ١٩٨١ ، الأهرام ١١ مايو ١٩٨١ ٠

٧٤ ـ انظر : الأهرام ١١ سبتمبر ١٩٨٢ (ملف الدعم) ٠

٧٥ ـ أنظر : الأخبار ١٧ أبريل ١٩٨٤ ٠

٧٦ ـ أنظر : الأهرام ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٦ ، سبتمبر ١٩٨٤ ، الأخبار ١٩ ، ٢١ سبتمبر ، أخبار اليوم ٢٤ سبتمبر ١٩٨٤ ، الجمهورية ٣٠ أكتوبر ، ١٣ نوفمبر ١٩٨٤ ، ٢٥ ينـاير ١٩٨٥ ٠

٧٧ ـ أنظر : الجمهورية ٢٧ سبتمبر ١٩٨٤ ٠

٧٨ ـ أنظر : الأهرام ١٢ نوفمبر ١٩٨٥ ٠

٧٩ ـ أنظر : الأهرام ٢١ سبتمبر ١٩٨٤ ٠

٨٠ ـ انظر : مايو ١٥ أكتوبر ١٩٨٤ ، ٣١ مارس ١٩٨٦ ٠

٨١ ـ أنظر : مايو ٢ ، ١٦ يونيو ، ٧ ، ٢١ يوليو ١٩٨٦ ٠

٨٢ ـ أنظر : الوفـد ١٣ أبريل ١٩٨٦ ، ٢٤ أبريل ١٩٨٦ ٠

٨٣ ـ أنظر : الوفـد ٢٤ ابريل ١٩٨٦ ٠

٨٤ ـ أنظر : الأهرام ٢٦ مايو ، ١٦ يونيو ١٩٨٦ ، ١٥ ديسمبر ، ٢٤ نوفمبر ، ١٢ يناير ، ١٦ يناير ١٩٨٧ ، ٣٠ مارس ، ٢٧ ، أبريل ، ١٨ مايو ١٩٨٧ ٠

٨٥ ـ أنظر : الشعب ١٤ فبراير ، ٢٧ مايو ، ٢٢ يوليو ، ٢١ أكتوبر ١٩٨٦ ٠

٨٦ ـ أنظر : الأهالى ١٥ فبراير ١٩٨٤ ، ٢٨ مايو ، ١٨ يونيو ، ٢٣ يوليو ، ٢٢ أكتـــوبر ١٩٨٦ ٠

٨٧ ـ انظر : الأهالى ١٧ يوليو ١٩٨٦ ، ١٥ يناير ، ٣٠ أبريل ١٩٨٧ ٠

٨٨ ـ أنظر : محمد منحور ـ الثورة ٩ يونيو ١٩٥٥ ، ٢٣ فبراير ١٩٥٦ ٠

٨٩ ـ أنظر : المساء ٥ مايو ، ٥ يوليو ١٩٥٧

الصـــحافة المصرية والعـــدوان الثلاثى ١٩٥٦

بقـــدر تنوع وتعـــدد الاجتهـــادات والمحاولات التى بذلها الكثيرون (مصريون واجانب) من أجـــل تفسير وتأصيل فهم ابعاد ونتائج هـــــذا الحـــدث التاريخى المتميز واعنى به تأميم قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦ ثم الحـــدث التالى له والمترتب عليه وهو العدوان الثلاثى (أكتوبر ١٩٥٦) . الا أن كل ما كتب وما قيل لم يزل يدور فى دائرة المعالجات الجزئية التى لم تف الحـــدث حقـــه من الرصـــد الأمين المتكامل أو التحليل العـــلمى الـــذى تدعمه الوثائق وتسنده الأدلة الموضوعية . واذا كانت معظم الدراســات التى اجريت فى هـــذا الصدد قـــد أقتصرت على توضيح أبعاد الدور الغربى والاسرائيلى فان الدور الوطنى وعلى الأخص الدور الشعبى داخل مصر لم تتح له حتى الآن فرصـــة الرصد أو التحليل أو ما يستحقه من اهتـــمام الدارسين والمفكرين المصريين والعرب على السواء . ولعل الصحافة المصرية والدور الذى قامت به فى تعبئة الجماهير ومساندة القيادة الوطنية أثنـــاء العـــدوان الثلاثى ما زالت تشغل صفحة مجهولة من صفحات تلك الحقبة الهامة بكل ملابساتها وهزائمها وانتصاراتها بل ودروسها الوطنية .

ولذلك سأحاول فى هـــذا التقرير التاريخى الموجز أن الخص الملامح العامة لمعالجات الصحافة المصرية للعـــدوان الثلاثى من ناحية الأســباب والوقائع والنتائج وذلك من خلال تحليل كافـــة اشـــكال التغطية الخبرية والمقالات والتعليقات التى قامت بها بعض الصحف المصرية اليومية (الصباحية والمسائية) وهى :

١ ــ صــحيفة الأهرام .

٢ ــ صــحيفة الجمهورية .

٣ ــ صــحيفة المساء .

وذلك بهــدف ان نتبين شيئين ضروريين أولهما يتعلق بالدور الذى تقوم به الصحافة فى المشاركة فى صنع بعض أحــداث التاريخ ثم تسجيلها وخصوصا فى الفترات الاستثنائية فى حياة الشعوب وأعنى بها الثورات أو الانتفاضات أو المعارك الوطنية وثانيهما التعرف على صفحة مضيئة من تاريخ الصحافة المصرية حيث سجلت أحــداث العــدوان الثلاثى وشاركت فى تعبئة الطاقات الشعبية والرأى العام المحلى والعربى وحاولت ان تثبت وتؤكد صحة المقولة بأن النصر والهزيمة لا يتحققان فقط فى ميدان القتــال وان الاعلام الوطنى الملتزم له دور فى المعركة لا تقل بحال عن دور البندقية والعمل السياسى المباشر .

سأتناول فى هــذا التقرير ما يلى :

(أ) الخريطة الصحفية فى مصر أثناء العــدوان الثلاثى .

(ب) الملامح العامة لمعالجات الصحافة المصرية للعدوان الثلاثى وتشمل :

١ ــ المعالجات الصحفية للقضــايا التالية :

(أ) أسباب العــدوان الثلاثى وأطرافه .

(ب) الوقائع والأحــداث من ٢٩ أكتوبر ــ ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ .

(جـ) نتــائج العــدوان .

٢ ــ المعلجات الفكرية وتتضمن أهم قضــايا المرحلة وهى :

(أ) المقــاومة الشــعبية .

(ب) الاســتعمار الثقــافى .

(جـ) الاســتعمار الاقتصــادى .

(د) التضــامن العــربى .

مع مراعاة التركيز بشكل خاص على صحيفة المساء التى صدرت قبل وقوع العـــدوان بثلاثة أسابيع (٦ أكتوبر ١٩٥٦) كأول منبر علنى لليسار المصرى سمحت به القيادة السياسية لثورة يوليـــو وكان يرأس تحريرها خالـــد محيى الدين عضـــو مجلس قيـــادة الثورة .

الخريطة الصحفية فى مصر أثناء العـــدوان الثلاثى :

لقـــد تحـــددت الملامح العامة للخريطة الصحفية فى مصر خلال الفترة الاولى من الثورة (١٩٥٢ ــ ١٩٥٤) على النحو التالى :

١ ــ كانت الصحافة تدور فى دائرة يرسمها لهـــا النظام تتسع وتضيق كيفما يشاء هـــذا النظـــام .

٢ ــ كان التوجيه فى الصحافة يتم من خلال .

(أ) الرقابة بأشـــكالها المختلفة .
(ب) الاعتماد على الصلات والعلاقات الشخصية مع بعض الصحفيين ثم اصـــدار صحف جـــديدة ناطقة باسم الثورة .

وعندما انتهت أزمة مارس ١٩٥٤ وتم اعلان حل الأحزاب وتصـــفية القوى السياسية السائدة أعلنت قياة الثورة حل نقابة الصحفيين وادانة بعض الصحفيين بسبب علاقتهم المريبة بالأحزاب مـــــع استمرار الرقابة على الصـــحف .

اما الاطار التشريعى الذى كان ينظم علاقـــة الصـــحافة بالســـلطة السياسية فى تلك الفترة وحتى صـــدور قانون تنظيم الصحافة (مايو ١٩٦٠) فهو يتمثل فى دستور ١٩٢٣ الذى أعلنت ثورة يوليـــو التزامها به حتى يناير ١٩٥٦ عقب جـــلاء القوات البريطـــانية عن مصر أوقف العمل باقلـــانون وقـــد نص الدستور المؤقت فى المـــادة ٤٥ منه على كفالة حرية الصحافة والطباعة وفقا لمصالح الشعب وفى حـــدود القانون وى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٦ . عقب جلاء القوات البريطانية عن مصر أوقف العمل بالقـــانون العسكرى والغيت الرقابة التى ظلت مفروضة عى الصحف المحرية منذ قيام

الثوره وبدأت البلاد تستعد للانتخابات الجـديدة وأعلن عبد الناصر فى خطابه فى المؤتمر الشعبى بمناسبة الجلاء (انهــــاء الأحكام العرفية وأن تستخدم حرية الصحافة فى سبيل المحافظة على سيادة الشعب وتحقيق أهـــــدافه) .

وعندما وقـــع العـــدوان الثلاثى فى أكتوبر سنة ١٩٥٦ أعلنت حالة الطوارىء وعادت الرقابة من جـــديد كما صـــدر قرار من رئيس الجمهورية رقم ٣١٢ (سنة ١٩٥٦) فى ١٨ أغسطس بحظر نشر أية أخبار عن القوات المسلحة وتشكيلاتها وتحركاتها وعتادها وأفرادها بأى طريقة من طرق النشر الا بعـــد الحصول مقـــدما على موافقة كتابية من القيادة العسكرية للقوات المســـــلحة .

وقـــد استمرت الرقابة حتى ٤ يناير ١٩٥٧ حيث تقرر الغاؤها وأن ظلت مفروضة على نشر التحركات العسكرية وبعض المسائل المتصـــلة بالأمن القـــومى(١) .

الصـــحف الناطقة باسم الثـــورة :

أصدرت قيادة ثورة يوليو مجموعة من الصحف الجـــديدة كى تعبر عن اتجاهاتها فصدرت مجلة التحرير (ديسمبر ١٩٥٢) كمجلة نصف شهرية عن ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة وتوقفت عن الصـــدور ١٩٥٩ بعـــد أن توالى عليها العـــديد من رؤساء التحرير مثل حلمى سلام وقاسم جودة وعبد العزيز صادق وأحمد حمروش ، أما جريدة الجمهورية فقد صدرت عن هيئة التحرير (ديسمبر ١٩٥٣) وكان يرأس تحريرها حسين فهمى وفى يناير ١٩٥٤ صدرت مجلة الثورة عن منظمات الشباب وكان شعارها (لا شرقية ولا غربية) وتوقفت سنة ١٩٥٦ . وفى يوليو ١٩٥٨ صدرت مجلة بناء الوطن الشهرية وكانت تدعو الى الاقتصاد الحر ونشر الثقافة الغربية وقـــد توقفت نهائيا فى عام ١٩٦٦ ، وقـــد استمرت الثورة فى سياسة اصـــدار صـــحف خاصة بها فأصدرت صحيفة الشعب فى يونيو ١٩٥٦ ثم ادمجتها فى صحيفة الجمهورية عام ١٩٥٩ وفى أكتوبر ١٩٥٦ أصـــدرت صحيفة المساء لتكون منبرا لليسار المصرى وكان يرأس تحريرها خالد محيى الدين .

ومما يجــدر ذكره أن عبد الناصر كان حريصا على متابعة الصحف بدقــة وتوجيهها فى بعض الأحيان وكان يعــد نفسه مسئولا عن هــــذه الصحف مسئولية كاملة من حيث تحريرها ، ادارتها وتعيين رؤساء تحريرها والمسئولين الاداريين فيها وكان تعيين رؤســـاء التحرير أو المسئولين عن الصحف من الضباط يخضع اساسا لعامل الثقـــة مع مراعاة الخبرة السابقة فى العمل الصحفى ولكنها لم تكن شرطا أساسيا . ومن هنا فقد بدت صحافة الثورة فى مظهرها العام وكأنها صحافة المؤسســة العسكرية(٢) .

أســباب العــدوان الـثلاثى :

حرصت المساء على توضيح أسباب هــذا العــدوان الحقيقية وعكست مقالاتها وتحليلاتها استبصارا وادراكا لأبعاد وخفايا هــذا العــدوان فكتب « خالد محيى الدين » يقول أن سبب العــدوان ليس قناة السويس ولا حرية الملاحة ولا تدويل القناة وحــدد جــذور ودوافع هــذا العــدوان بأنه قوة مصر العسكرية المتزايدة التى تؤهلها لدفع أى عــدوان من جانب اسرائيل ممــا يفقد الاستعمار سلاح هام فى الشرق كذلك فأن تحرر مصر من الضغط العسكرى لاسرائيل أو بالاحرى الضغط الاستعمارى مكنها من الخروج من دائرة النفــوذ الغربى الاستعمارى كما أن الخــوف من أن تحــذو الدول العربية حــذو مصر وقد حــدث ذلك فعلا فى سوريا ثم بدأ فى الاردن وهناك خــوف من أن يمتد ذلك الوعى الى حقــول البترول فى الشرق وخلص خالد محيى الدين الى أن العــدوان الذى شن على مصر هــو صراع بين القومية العربية النامية التى تمثلها مصر وبين الاستعمار(٣) وقــد ارجعت المساء الأسباب(٤) الحقيقية لهــذا العــدوان على مصر الى سنوات ١٩٤٧ — ١٩٤٩ وذلك بعــد انهيار أعمدة الاستعمار فى الشرق الأقصى وتطلع الاستعمار لتعويض خسارته فى المنطقة التى تمتد من أعلى النيل الى شواطىء بحــر قزوين والتى تضم ٨٠ مليونا من العرب والايرانيين . وهى التى يجب أن تكون مركز الثقل فى الامبراطورية البريطانية . كما ان الاحتكاريين راوا فى منطقة الشرق الأوسط أنها أغنى مناطق العالم فى البترول وايضا أرادوا تحقيق أكبر ربح ممكن من وراء البترول .. ولذلك حرص الاستعمار على فرض سيطرتهم السياسية والعسكرية المطلقة على منطقة الشرق الأوسط كلهــا ظنا منهم أن بامكانهم اتخاذ المنطقة نقطة وثوب لاستعادة بعض النفوذ على

الأقل فى الهند وبورما وأفغانستان وذلك كى يسهل عليهم اخمـــاد اية حركة تحررية فى المستعمرات البريطانية الأفريقية وبدأت الخطط الاستعمارية تنجلى فى مشروع سوريا الكبرى الا أنه سقط من حساب الاستعماريين أن العمال والفلاحين والبدو والتجار والطبقة الوسطى بين العرب اليوم لم يعـــودوا كما كانوا قبـــل الحرب العالمية الأولى .

ورأت المساء ان الأسباب الحقيقية الى بروز عبد الناصر فى مؤتمـــر باندونج وظهور ٢٩ دولة أفريقية وآسيوية كقوة عالميـــــة تؤثر فى مجرى الأحـــداث ثم مؤتمر بريونى وصفقة السلاح التشيكى ممـــا أبرز دور مصر كقوة فى العالم يعمل حسابها الى ان جاء تأميم القناة ضربة قاصمة لكافـــة المشاريع الاستعمارية التى انهارت معها أحلام انجلترا وخططها التى بنتها فى بطء من ١٩٤٣ وجن جنون انجلترا وكان العـــدوان(٥) .

وفى اطار معالجة (المساء) لأسباب العـــدوان الثلاثى على مصر . تناولت قضية الصراع العالمى مع الاستعمار من زاوية أن هـــذا الصراع ليس مقصورا على مصر وانما هى معركة كل الشعوب وأن لعنة الشعوب تطارد الاستعمار فى كل مكان منذ أن انتهت الحرب العالمية الثانية حيث يعانى الاستعمار من أزمات متتالية .. كوريا تليها الهند الصينية وانتهت المعركتان بانتصار الشعوب ثم كينيا ... وكلما ادعى الاستعمار انه قضى على حركة « ماو ماو » ظهرت قوات جـــديدة تطاردهم لتطردهم من أفريقيا والملايو والجزائر وقبرص .

كذلك ابرزت المساء فى معالجتها الدور التاريخى الذى تقوم به مصر فى مقاومة الاستعمار ذلك الدور الذى يتعلق به انتماؤها العربى به والاسيوى الأفريقى هـــذ الدور الذى أقلق مضاجع الاستعمار فقاموا بعدوانهم الثلاثى على مصر .. ذلك العـــدوان الذى ابرز حقيقتين احـــداهما داخلية والثانية خارجية ومع ذلك فهما حقيقتان متصلتان لأنهما نتيجتان لسبب واحـــد أما الحقيقة الأولى فهى أن الحملة البريطانية الفرنسية الاسرائيلية كان الهـــدف الأساسى لهـــا هـــو القضاء على النظام الموجود فى مصر ذلك أن الحكومات الاستعمارية أدركت أنها لن تستطيع أن تقف فى وجـــه التطـــور السريع

الزاحف الذى شمل المحيط العربى الا اذا قضى على الزعامة التى تعبر عن هــذا التطــور والتى تؤكده .

أما الحقيقة الثانية وهى حقيقة دولية .. اذ أن الأمم المتحدة كانت تصول فيها دول الغرب وتجول حتى كانت قضية مصر واصرارها على ان ينفــذ حكم القانون الدولى ولولا وقفة مصر لبقيت الأمم المتحدة على حالهــا القــديم وهــذا النصر الذى كسبته مصر للأمم المتحدة وللانسانية جمعــاء سيجعل الأمم المتحدة مصدرا للقوة التى تمنت الشعوب والأمم أن توجــد كى يحل حكم القانون محل حكم القوة(٦) .

أطراف العــدوان الثلاثى :

يلاحظ أن التغطية الاخبارية عن العــدوان الثلاثى فى صحيفة المساء كانت تتشكك فى أطراف العــدوان وهل هى اسرائيل فقط ؟ وهذا يتضح ممــا كتبه المساء يوم ١٩٥٦/١١/٢ اى بعــد أربعة أيام من المعركة أصبح ثابتا أن عــدوان اسرائيل على الحــدود المصرية وتسربها الى شبه جزيرة سيناء جزء من مؤامرة عامة مدبرة القصــد منها أن تشترك اسرائيل وبريطانيا وفرنسا فى محاولة كسر شوكة القضية المصرية أو ذلك البعث الوطنى المصرى الذى انتفض انتفاضة كبرى منذ يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأنه حين تنكسر هذه الشوكة وحين تنتكس مصر تنتكس معها كل الحركات القومية فى البــــلاد العربية .. وأضافت أن مصر تدافع الآن عن كيانها ازاء عــدوان ثلاث دول)(٧) .

كما أشارت المساء الى تصريح وزارة الدفاع الاسرائيلية والذى أعتبرته اعترافا خطيرا بالمؤامرة الثلاثية والذى جاء به انه (لو لم نشترك مع بعض الدول التى لهــا مصلحة فى تدمير قــوة مصر لمــا أستطعنا أن ننجو من مخالب القــوة المصرية الهائلة)(٨) هــذا كما أشارت المساء الى انه لأول مرة تتهم أمريكا اسرائيل بانها هى البادئة بالعــدوان وأنها تهــدد السلام فى الشرق العربى ولأول مرة تطالب أمريكا مجلس الأمن بأن يأمر القوات الاسرائيلية بالرجوع الى خط الهــدنة وأن يتخــذ المجلس كافــة الاجراءات

لينفــذ ذلك ولأول مرة تقف أمريكا مع الاتحاد السوفيتى ضـــد اسرائيل وعلنا فى مجلس الأمن ضـــد بريطانيا وفرنسا .

أما عن مبررات هـــذه المواقف فكتب على الشلقانى يقول (أن الهجوم الاسرائيلى قـــد قلب الأوضاع السياسية فى الشرق العربى ان موقف الاتحاد السوفيتى لا يدعـــو الى الدهشة وأنه قـــد اعتدنا أن نراه يقف بجـــانب مصر وبجانب جميع الشعوب التى تكافح من أجل الحرية والاستقلال أما موقف أمريكا فهو يدعـــو الى التفسير وكذا موقف اسرائيل والمتمثل ببساطة فى مخالفة أمريكا ولفت الكاتب النظر الى أن أمريكا لا تستطيع أن تقبل رجوع القوات البريطانية الفرنسية الى الشرق العربى لأن فى عـــودة الجيـــوش تدعيما للنفـــوذ البريطانى والفرنسى وشركات البترول فى الشرق العربى تعتبر النفوذ البريطانى أخطر منافس لهـــا فى هـــذه المنطقة .

فالحقيقة أن أمريكا وبريطانيا بالذات حلفاء الداء .. ثم أن ضـــغط الرأى العام الأمريكى ومصالح البترول الأمريكية من جانب آخر ضغطت على بريطانيا وفرنسا لكى تمنع التدخل عسكريا فى مصر وهكذا اتفقت مصلحة أمريكا فى هـــذه المسألة مـــع مصلحة مصر(٩) .

التغطية الصحفية لوقائع العـــدوان الثلاثى :

اهتمت الصحف الثلاث (الأهرام ــ الجمهورية ــ المساء) منذ يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ بتغطية أحـــداث العـــدوان الثلاثى على مصر ، ذلك العـــدوان الذى لم يكن مفاجئا للحكومة المصرية وانما سبقته عـــدة مقدمات تشير الى قرب وقوعـــه . وقـــد بلغت تلك المقـــدمات ذروتها فى ٢٨ ، ٢٩ أكتوبر عندما أصدرت الولايات المتحدة أمرا الى رعاياها بالعودة الى بلادهم .

ومن خـــلال اســـتقراء المتابعـــات الصحفية لوقـــائع العـــدوان يمكن استخلاص الملاحظـــات التاليـــة :

أولا : لوحظ أن التغطية الخبرية لأنباء المعـــارك كانت تتم بالنسبة لصحيفتى الأهرام والجمهورية من خـــلال البيانات العسكرية التى كانت تصدرها وزارة الحربية المصرية بينما كانت صحيفة المساء تحاول عـــدم

الاقتصار على هـــذه المصادر الرسمية بل استعانت بمراسليها (رغم قلتهم) فى منطقة القنـــــاة (السويس ــ الاسماعيلية ــ بور سعيد) وفى الدول العربية . هـــذا مـــع حرصها على التعليق على الأحـــداث بابراز خلفياتها الاجتماعية والسياسية . وهذا لم يكن متوفراً بالنسبة للصحيفتين الأخريين .

ثانيا : لوحظ غياب المراسلين العسكريين الذين يوافـــــون الصحف اليومية بأنباء المعارك من ميدان القتال ممـــا كان له مردوده السلبى على تغطية هـــذا الجانب . فقـــد اعتمدت الصحف المصرية على وكالات الانباء الغربية فى موافتها بأخبـــار المعركة فى بور ســـعيد ممـــا ترتب عليه عـــدم تزويد القارىء بالكثير من تفاصيل الأحـــداث التى وقعت فى ميدان القتـــال وخصوصا أنباء المقاومة الشعبية والبطولات التى قـــدمها أبناء بور سعيد فى تصـــديهم لقـــوات العـــدوان .

ثالثا : ركز المساء على البعـــد الشعبى منذ اللحظة الأولى لاعـــلان التعبئة العامة وقـــد تجلى ذلك فى العـــديد من الاستطلاعات والتحقيقات التى نشرتها عن جيش التحرير الشعبى والمقاومة الشعبية . كما أجرت العـــديد من التحقيقات فى مراكز التطوع للقتال وابرزت الكثير من البطولات الفردية . هـــذا بينما ركزت كل من صحيفتى الأهرام والجمهورية على البيانات الرسمية واجتماعات مجلس الأمن وردود الفعل فى الدول الغربية(١٠) .

رابعا : لوحظ غلبة الطابع الانشائى والحماسى فى صياغة أخبار المعارك وكذلك فى التعليقات والمقالات الافتتاحية والأعمدة وينطبق هـــذا على جميع الصحف المصرية مثل (قال لنـــا الرئيس سنقاتل سنقاتل سنقاتل .. وهذا شعارنا حتى الآن) (لن تكون مصر لقمة سائغة للمعتدين ..) .(العـــدوان العسكرى الغاشم ... الخ) .

خامسا : أجمعت الصحف الثلاث على ابراز ردود الفعـــــل العربية والدولية مع التركيز على العالم الثالث والكتلة الأفروآسيوية وقـــد اهتمت المساء باجراء الأحاديث واللقاءات مع السفراء والوزراء المفوضين العرب والأجانب فى القاهرة لاستطلاع آرائهم فى تطورات أحـــداث العـــدوان .

سادسا : خفضت جميع الصحف المصرية عدد صفحاتها ابان العدوان لمواجهة احتمالات نقص المخزون من ورق الصحف والأحبار . وقد اختفت الاعلانات وخصصت جميع الصفحات لمتابعة أنباء المعارك والتعليق عليها . وصارت الصحف اليومية تصدر فى ٤ صفحات فقط . وقد صدرت المساء فى عدة طبعات متتالية (كل ثلاث ساعات) لتغطية أخبار المعركة التى اتخذت شكل البلاغات العسكرية المقتضبة . وقد كان لقرار الجمعية العامة بضرورة وقف القتال اثره فى تغطية المساء لأحداث العدوان حيث بدأت تصدر ابتداء من ١٩٥٦/١١/٣ فى ٤ صفحات خصصت جميعها لمتابعة ردود فعل هذا القرار وتطورات المعركة وبلغت المسألة ذروتها فى ١٠ نوفمبر حيث أصبحت المساء تصدر فى صفحتين فقط حتى يمكن القول بأن المساء كانت فى هذه الفترة (صحيفة المعركة) بالمعنى الكامل لهذه الكلمة .

سابعا : اهتمت كل من الأهرام والجمهورية بالتركيز على قوى المعارضة داخل دول العدوان وأصبحت تنقل عن صحف اليسار الأوروبى بصورة دائمة خصوصا الصحف الناطقة بأسم الأحزاب الشيوعية فى كل من انجلترا وفرنسا وتشير الى تأييد ومساندة الأحزاب الشيوعية الأوروبية لمصر سواء فى اقدامها على تأميم قناة السويس أو بسالتها فى التصدى شعبا وحكومة للعدوان الثلاثى .

ثامنا : لوحظ تركيز صحيفتى الأهرام والجمهورية على التغطية الاخبارية وقلة اللجوء الى الأنماط الصحفية الأخرى مثل التحقيقات والأحاديث والتعليقات . بينما اهتمت المساء بتحقيق التوازن بين الغطية الخبرية من ناحية والمقالات والتحقيقات والتعليقات من ناحية أخرى كما استعانت المساء التكتيكات الدعائية الملائمة لطبيعة المعركة باعتبارها معركة تحرر وطنى ولذلك لجأت الى استخدام الشعارات والاقتباسات وتوزيعها على الصفحات والأبواب مع مراعاة الربط بين مضمون الشعار وتخصص كل باب . ومن أبرز هذه الاقتباسات الآية القرآنية التى تكررت طوال فترة العدوان (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) أو (انها معركة الحياة أو الموت) وفى باب الاذاعة مثلا كان الشعار المتكرر (لا تسمعوا لاذاعات العدو) وكانت تنشر هذه الشعارات على شكل سلبى معكوس

وهــو (شكل تظهر فيه الحروف بيضاء بلون الورق على أرضية سوداء بلون الحبر المستخدم فى الطبع) . كذلك حرصت صحيفة المساء على معالجة الأبعــاد المتعــددة للقضية من زواياها العسكرية والسياسية والاقتصادية من خلال كتابات عبد العظيم أنيس وطاهر عبد الحكيم وفوزى منصور .

تاسا : لوحظ أن الأبواب الثابتة فى صحيفة المساء قــد شاركت فى تغطية احــداث العــدوان حيث عالج كل باب تطورات المعــارك من زاوية تخصصه مثل أبواب (الطبقة العاملة) و (الشباب) و (مــع الفلاحين) و (الأسرة) و (العلم) فقد ركزت كل هــذه الأبواب على متابعة الأحداث من ناحيــة ردود فعــل القراء ومحاولة اشراكهم فى التصــدى لمخططات العــدوان الثلاثى من الناحية الأخرى .

عاشرا : اهتمت صحيفتا الجمهورية والأهرام بالتركيز على ضرورة وقف اطلاق النار بينما اهتمت المساء بابراز حقيقة هامة هى ان وقف اطلاق النــار ليس غاية فى ذاته بل ان انسحاب القــوات المعتدية وعودة الوضع الى ما قبل ٢٩ أكتوبر هو الهــدف الرئيسى الذى يستحق الاهتمام . كما ابدت المساء من خلال افتتاحياتها مخاوفها من احتمال ان تتحول قوة البوليس الدولى الى قوة احتلال يرفض لاخروج بعــد اجلاء القوا تالمعتدية)(١١) .

ويلاحظ ممــا سبق ان صحيفتى الأهرام والجمهورية كانتا تركزان بصورة أساسية على متابعة تطورات العــدوان الثلاثى من خلال الموقف الرسمى للحكومة المصرية مع عــدم تجاهل ردود الفعل الشعبية التى تمثلت فى تدفق الشباب للتطوع والمشاركة فى المعركة . ســواء التحرك الدولى داخــل هيئة الأمم المتحــدة أو التصريحات الرسمية لرؤســاء الحكومات وخصوصا الولايات المتحدة الأمريكية . أما صحيفة المساء فقد تفاعلت مع أحــداث العــدوان سواء من حيث تخفيض عــدد صفحاتها وزيادة عــدد طبعاتها وتوظيف كافــة امكانياتها لخــدمة المعركة من حيث التغطيــة الاخبارية والتعليقات وابراز القوى الكامنة لدى الشــعب المصرى والتى اظهرتها المعارك المباشرة مع العــدو . وقــد انفردت المساء فى تغطيتها لأحــداث العــدوان الثلاثى بما يلى :

١ ـــ ابراز البعد الشعبى للمعارك فى الداخـــل والدعوة الى التعبئة الشــــعبية .

٢ ـــ التركيز على ردود الفعل الشعبية على المستوى العربى والاسيوى والأفريقى مثل (المظاهرات واقبـــال الشباب على مراكز التطوع الى جانب مصر) .

٣ ـــ عـــدم التغافل عن حقيقة الدور الذى لعبته الولايات المتحـــدة اثناء العـــدوان والعمل على ابراز المصلحة الأمريكية فى ازاحة الاســتعمار القـــديم المتمثل فى فرنســا وانجلترا من منطقة الشرق الأوسط كى تحل محله .

٤ ـــ كانت المساء الصحيفة المصرية الوحيدة التى أبدت مخاوفها من احتمال تحول القوات الدولية الى قوات احتلال دائم .

هـــذا ولم تغفل المساء الجوانب الأخرى للعـــدوان التى ركزت عليها الصحف المصرية مثل متابعة البيانات الرسمية العسكرية والسياسية والتحرك المصرى على المستوى الدولى وردود الفعل الرسمية والانذار السوفيتى . ويبدو الاختلاف واضحا بين موقف صحيفة المساء وكل من الصـــباحيتين (الأهرام ـــ الجمهورية) فى تقييم الموقف الأمريكى وتصريحات المسئولين الأمريكيين فقـــد اهتمت كل من الجمهورية والأهرام بابراز حيـــاد أمريكا وجهودها من أجل تسوية الأزمة وحرصها على اعلان وتأكيد استقلالها عن المخططات الاستعمارية التى تقوم بها كل من انجلترا وفرنسا وحرصها على تحييـــد الاتحـــاد السوفيتى وخشيتها من أن تبعـــث روسيا قواتها الى الشرق(١٢) .

وقـــد اهتمت الأهرام بصفة خاصة بالتركيز على القلق الشديد الذى اجتـــــاح الدوائر الأمريكية بسبب الانذار السوفيتى والتحـــذير الأمريكى لروسيا من استخدام قواتها فى الشرق الأوسط(١٣) وبلغ اهتمام الأهرام بالموقف الأمريكى الى حـــد تخصيص احـــدى افتتاحياتها للاشادة بالولايات المتحدة واستقلالها عن كل من بريطانيا وفرنسا فى معالجة مشكلات الشرق الأوسط وضغطها الدائم على دول العـــدوان من أجل الانسحاب(١٤) .

كذلك كانت صحيفة الجمهورية تحـــاول ابراز الفروق بين الولايات المتحدة وبين كل من انجلترا وفرنسا وانها دولة لا تسعى للتوسع وليس لديها اطماع فى الشرق الأوسط وانها دولة صديقة ومحبة للسلام(١٥) هذا بينما اختلف تماما موقف صحيفة المساء من الولايات المتحدة الأمريكية عن سائر الصحف المصرية حيث لم تتوان عـــن ابراز حقيقة الموقف الأمريكى بالتذكير دوما بأن الولايات المتحدة احـــدى الدول الغربية الثلاث التى خلقت اسرائيل وان الاستعمار الغربى قـــد فشل فى التدخـــل المباشر ضـــد مصر فى أزمة القناة وذلك بسبب صلابة مصر وتأييـــــد الاتحــــــاد السوفيتى والديموقراطيات الشعبية والرأى العام العالمى(١٦) .

كما اكدت المساء اثناء انسحاب المعتدين وبدء دخول قوات البوليس المصرى الى بور سعيد لاستلام مسئولية الأمن بها (٢١ ديسمبر ١٩٥٦) ان الانسحاب يعنى زوال النفوذ الاستعمارى وان هناك دلائل قوية على ان فرنسا وبريطانيا قـــد فقدا الى حـــد كبير قـــدرتهما على التآمر ضـــد مصالح شعوب الشرق الأوسط وانهما تتركان المسألة لأمريكا(١٧) .

الانذار السوفيتى :

ابرزت الصحف المصرية من خلال التغطية الخبرية صـــدى الانذار السوفيتى للدول المعتدية بوقف القتال فورا بعـــد تجاهلهـــا لقرار الأمم المتحدة الصادر فى ٢ نوفمبر ١٩٥٦ . وحرصت على التركيز على حالة الفزع التى سببها الانذار السوفيتى لـــدى الدوائر الغربيـــة جميعها وخصـــوصا انجلترا وفرنسا . كما دأبت هـــذه الصحف على الاشادة بالموقف الايجابى للاتحاد السوفيتى من خلال ابراز ردود الفعل المختلفة للانذار السوفيتى واستعداد روسيا لاستخدام قواتها ضـــد المعتدين وسحب السفير السوفيتى من تل أبيب احتجاجا على العـــدوان(١٨) .

وقـــد تميزت صحيفة المساء فى تعليقها على الانذار السوفيتى وذلك بالكشف عن بعض الجوانب التى لم تشر اليها الصحف المصرية الأخرى وهى تحـــذير الاتحاد السوفيتى للولايات المتحدة بأنه سوف يعمل منفردا محتفظا لنفسه بالحق فى اتخاذ كافـــة الاجراءات التى يراها لصـــد العـــدوان عن

مصر خصوصا بعـــد أن رفضت الولايات المتحدة الطلب الذى تقـــدم به ليبيا فى مشاركته عمليا بقواتها العسكرية فى سبيل تحقيق هـــذا الهـــدف وازاء هـــذا الرفض قـــدم الاتحاد السوفيتى مشروع قرار لمجلس الامن بتوجيه انذار عاجل الى كل من بريطانيا وفرنسا بسحب قواتهما من مصر(١٩) .

وبعـــد أن أعلن الاتحاد السوفيتى استعداده للمساهمة الفعالة فى تصفية الغزو الثلاثى لمصر كتبت المساء تقول (قبل أيدن وقف اطلاق النار مضطرا ولم يقبله اطاعة لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بل قبله بعـــد أن توالت الأحـــداث وكلها ليست فى صالح العدوان على مصر)(٢٠) .

المقـــاومة الشعبية فى بور سعيد :

كان لازدياد حركة المقاومة الشعبية فى بور سعيد أثره فى معالجـــات الصحف المصرية لهـــذا الجانب . اذ تبارت هـــذه الصحف فى محاولة اختراق المدينة الباســـلة بكافـــة الأساليب وذلك بهـــدف متابعة اشكال المقـــاومة وتسجيل بطولات أهالى بور سعيد ونشرها على صورة تحقيقات وتقـــارير وأحاديث وتعليقات . وقـــد أفردت الصحف معظم صفحاتها لتغطية هـــذا الجانب الهـــام . ويمكن القول أن معارك بور سعيد وتصميم شعبها على سحق العـــدوان من خلال حرب الشوارع قـــد تم تسجيلها بصور مختلفة فى كافـــة الصحف المصرية وان تباينت المستويات والزوايا التى ركزت عليها كل صحيفة على حـــدة(٢١) وقـــد أبرزت صحيفة المساء من خلال التقارير اليومية التى كان يزودها بهـــا مراسلها (شفيق خالـــد) الحيـــاة داخـــل بور سعيد .و من المعروف ان الصحف المصرية لم تتمكن من اختراق المدينة ومتابعة ما يدور بداخلها قبل مرور شهر من العـــدوان حيث تسابق مندوبوها فى تغطية جوانب المقاومة والحياة اليومية فى المدينة . وقـــد تبنت صحيفة المساء حملة لاعادة تعمير بور سعيد وانتاج فيلم عن المقاومة الشعبية فى بور سعيد . كما أبرزت شعارات واقتباسات صحيفة المساء خلال فترة العـــدوان دور شـــعب بور سعيد فى المقاومة مثل (بور سعيد رمز الفخر والبطولة) ـــ (شعب لقن الاستعمار درسا لن ينساه)(٢٢) . وقـــد اهتمت الأهرام باجراء العـــديد من الأحاديث والتحقيقات الصحفية تناولت فيها البطولات المصرية من خلال الحوار مع الفـــدائيين داخل بور سعيد .

وقــد ظهرت هــذه التحقيقات تحت عنوان (الأهرام فى بور سعيد الباسلة صور حية من البطولات ..)(٢٣) . كما احتفلت الصحافة المصرية بعودة بور سعيد لمصر .. وقامت بتغطية المظاهرات التى قامت فى بور ســعيد لتخليد ذكرى الشهداء .

نتــائج العــدوان :

بعــد أن هــددت مصر بأنه يجب على الأمم المتحدة اخراج المعتدين بالقوة اذا لم ينسحبوا فــورا بدأت تتوارد الأخبار عن التعجيل الفجائى بالانسحاب . وقــد أجمعت الصحف المصرية الصباحية على أن الانسحاب من الأراضى المصرية لا يعنى أبدا انتهــاء العــدوان فالانسحاب فى ذاته ليس غاية لكى يستقر هــذا العالم المضطرب(٢٤) . وقــد نقلت صحيفة المساء عن صحف الصباح هــذا القول واضافت اليه التحــذير الذى سبق أن نشرته عندما صــدر قرار وقف القتال اذ كتبت تقول (ان وقف القتال لا يعنى نهاية المعركة ولنحــذر من مؤامرات الاستعمار والصهيونية ولكن دائما فى يقظة تامة لمواجهة هــذه المؤامرات ولنواصل تعبئة قواتنا وحشد جهودنا وتنظيم صفوفنا ولنستمر فى المقاومة لأن المعركة لا تزال مستمرة وربما يكون وقف اطلاق النار يمثل مرحلة أخرى من مراحل سياسة العدوان ضــد بلادنا)(٢٥) .

ومنذ ١٥ ديسمبر بدأت تتوالى برقيات مراسلى المساء وسائر الصحف الصباحية من داخل بور سعيد وخصصت صفحاتها لتلقى برقيات التهــانى التى كانت تتدفق على رئاســة الجمهورية .

وكتب خالد محيى الدين فى افتتاحية المساء يقول (لقــد تم انسحاب القوات المعتدية من بور سعيد ولا شــك ان ذلك انتصار كبير لمصر فى معركتها الأخيرة ضــد الاستعمار . تلك المعركة التى أظهرت لنا القــوى التى مهدت لنا طريق النصر)(٢٦) . وقــد أرجع خالد محيى الدين أسباب نصر مصر فى المعركة الى ما يلى(٢٧) :

أولا : جبهة داخلية متماسكة مع قواتها المسلحة .

ثانيا : الجبهة العربية الواحدة وراء مصر (اذ لم يتحد العرب فى التاريخ الحديث مثل هذا الاتحاد لأنهم ايقنوا أن معركة مصر العربية هى معركتهم وان مستقبلهم مرتبط بمصر) .

ثالثا : حزام قوى من تأييد الدول الآسيوية والأفريقية .

رابعا : تأييد الاتحاد السوفيتى والصين والكتلة الشرقية .

خامسا : تأييد الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة فقد أثبتت حيويتها وأعطت املا للشعوب الضعيفة فى العدالة الدولية .

سادسا : المتناقضات داخل المعسكر الاستعمارى وهو ما يجب أن يراقب ويستثمر لصالح الدول النامية .

سابعا : تأييد الأحرار فى كل مكان . فقد أصبح الرأى العام العالمى عملاقا له دور فى السياسة العالمية .

ثامنا : تأييد الأحرار فى انجلترا وفرنسا .

هذا وقد حرصت صحيفة المساء على توضيح الحقائق العالمية الجديدة بعد العدوان الثلاثى على مصر واظهار الاختلاف ما بين عالم ما قبل العدوان حيث شاعت النظريات السياسية التى روج لها أذناب الاستعمار والتى تدعى بأننا لا نستطيع الا الارتباط بالمعسكر الغربى وذلك لأن الدول الصغيرة لابد لها من حماية الدول الكبرى وما بين عالم ما بعد العدوان حيث ان وجود الاتحاد السوفيتى والمجموعة الاشتراكية وقيامهم بدور فعال فى مجال السياسة الدولية وفى مساعدة الدول الصغيرة ما يمثل حقيقة عالمية جوهرية بدونها لا يمكن فهم أى موقف فى العالم كما أن الشعوب الصغيرة قوة يعتد بها ويحسب لها حساب فى المجال الدولى(٢٨) .

قضايا المرحلة :

لقد حرصت جريدة المساء على ابراز قضايا الوعى الوطنى والاجتماعى والتحرر الثقافى من القيود الاستعمارية والدور الهام الذى تقوم

به فى معركة التحرر الوطنى المتعـددة المراحل . وظهر هـذا الحرص فى أبوابها الثقافية خاصة فى الصفحة الأخيرة حيث اهتمت صفحة الأدب والسينما والمسرح والفنون التشكيلية بابراز دور الثقافة والفن فى المعركة .. وعرضت لأدب المعركة لذى الشعوب من خلال عرض الكتب والدراسات . كما ارخت للعـديد من المواقف الوطنية فى حياة الشعب المصرى واستعانت فى ذلك بكبار الكتاب مثل د. محمد أنيس وأحمد حمروش ولطفى الخولى .

كما تبنت المساء مشروعا قوميا باقتراح انتـاج فيلم سينمائى يبرز بطولات المقاومة لأهالى بور سعيد وشغل هـذا الموضوع مساحات كبيرة من صفحات جريدة المساء . تداول فيها كبار الفنانين والنقاد آراءهم حول هـذا المشروع .. ونشرت عـدة تحقيقات عن معرض الفنون الشـعبية الذى طاف بأحياء القاهرة وأيضا عرضت لرسـوم عـدة فنانين منهم « مصطفى حسين » تصور رحى المعركة الدائرة فى بور سعيد بل وزعت هدية مجانية تصور أحـداث هـذه المعركة للفنان كامل مصطفى .

ومن ابرز القضايا التى ركزت عليها جريدة المساء أثناء فترة العدوان الثـلاثى هى :

١ ــ المقاومة الشعبية (الدور الشعبى فى المعركة) .
٢ ــ الاسـتعمار الثقـافى .
٣ ــ تصـفية الاستعمار الاقتصـادى .
٤ ــ التضـامن العـربى .

اولا ــ المقـاومة الشـعبية :

وظفت المساء العـديد من أبوابها ومقالاتها لحث المواطنين على الاسهام فى المقـاومة الشعبية .

وتتجسـد ملامح اهتمام جريدة المساء بالدور الشعبى فى المعركة فيما يلى :

١ ــابرزت بطولات الجـنود والأهالى من خـلال باب ثابت هـو يوميـات الشـعب :.

٢ ـ اجرت العـديد من الاستطلاعات والتحقيقات وخاصـة ابان تصاعـد المعركة خصوصا فى الجبهة الأمامية فى مدن القنـاة والشرقية وبور سعيد وسيناء قام بها الصحفى شفيق خالد وجلال فكرى .

٣ ـ قامت بحملة توعية للمواطنين تحت عنوان « كيف ندافع عـن وطنك » كتبها وجيه عباس وجلال فكرى وكتب أحمـد حمروش سلسلة مقالات عن حرب العصابات .

٤ ـ خصصت باب آراء وأفكار لنشر مقالات المواطنين والجمهور .

٥ ـ اهتمت بتغطية الاقبال على مراكز التطوع وأظهرت دور رجال جيش التحرير الشعبى والمقاومة الشعبية .

٦ ـ نشرت فى باب « الشعب فى ساحة الشرف » برقيات التأييـد وقوائم تبرعات المواطنين لأهالى بور سعيد ورجال الجيش .

٧ ـ وظفت البابين المصورين « صور من حياة الشعوب » و « صور اليوم » لتوضيح طرق التدريب وابراز بطولات الجنود فى المعركة . كمـا تضمنت التعليقات على الصور فى هـذين البابين تشجيع المواطنين على المشاركة الايجابية فى المقاومة .

٨ ـ حرصت جريدة المساء على تغطية كافة الاجراءات الوطنية ضد الممتلكات الاستعمارية من اقامة الحراسة على مؤسسات المعتـدين الى الاستيلاء على بعض الشركات الانجليزية مثل شركة شـل وسخرت أبوابها الصغيرة « أخبار سريعة » لنشر هـذه الأعمال وباب « رأى وخبر » للتعليق على هـذه الأعمال وتشجيعها .

٩ ـ اهتمت المساء بكتابة الشعارات أو الاشارات للمواطنين فى شكل اقوال مقتبسة ونجحت فى توزيع الاقتباسات على أبوابها بما يتفق مـع تخصص كل باب فمثلا فى باب الاذاعة حرصت على تكرار الشعارات التالية « كل على اتصـال دائم بأخبار معركتكم » « اسمع الى ذاعتـك دائمـا » « احـذر أكاذيب العـدو » .

١٠ ــ بلغ اهتمام المساء بهــذا الجانب (دور المواطنين) ان باب « الاعلانات » فى اعــداد غير قليلة كانت عبارة عن تقــارير للمراسلين من الأقاليم يبدأ بكلمة من المراسل يؤيد فيها القيادة على تصــديها للمعتدين . وقــد عكست نصوص المــادة الاعلانية مدى التلاحم بين المواطنين والجنود من خلال الاشارة الى تبرعات المواطنين من سجائر وبرتقال للجنود .

١١ ــ حرصت المساء على توضيح صور(٢٩) التأييد للقضية المصرية . وقامت بحملة للتعريف بــ « أعــداؤنا وأصــدقاؤنا » ابرزت فيها القــوى والدول التى تقف مع القضية المصرية وتلك التى تعاديها وكان هــدف الحملة ابراز أن مصر ليست الوحيدة التى تتصــدى للاستعمار . ونشرت أسماء الدول التى تؤيد مصر وتلك التى تعاديها أثناء عرض قضية العــدوان الثلاثى فى هيئة الأمم المتحدة وكررت هــذا النشر ..

١٢ ــ أكدت المساء دوما وقوف الشعب بجوار الجنود فى المعركة وقد أبرزت ملامح هــذا الدور وأكدت أن ثبات الشعب المصرى ازاء هــذه المحنة كان هــو الظاهرة الواضحة هــذه الأيام .. وأن قــوة الوعى فى مصر أصبحت السلاح الأول أو الصف الأول من صفوف الدفاع المصرية ضــد الغزو البريطانى الفرنسى الاسرائيلى .. وأن الشعب قــد أنصهر وأصبح قــوة لن يهزمها الاستعمار(٣٠) .

ثانيا ــ الاســتعمار الثقــافى :

لقــد تميزت جريدة المساء عن سائر الصحف المصرية فى الاهتمام بابراز المكاسب الثقافية التى عادت على الشعب المصرى بفضل عــدم انهيــاره أمام العــدوان الاستعمارى وبفضــل صموده ومقاومته الرائعــة وخصوصا فى بور سعيد . فأشارت فى العــديد من المقالات الى المغــزى الوطنى لاقامة الحراســـة على المنشآت البريطانيــة والفرنسية فى مصر وخصوصا المراكز التعليمية المتمثلة فى المدارس الأجنبية كما أوضحت أن المصالح الاستعمارية التى تجسدها الشركات الاحتكارية مثل شركة القناة أو شركات البترول والبنوك ما كان لهــا أن تستقر الا لاستنادها الى دعامات ثقافية معينة الى جانب دعاماتها الأخرى الاجتماعية والعسكرية

وغيرها . كما أشارت الى أن الأوكار الثقافية فى عهود الاستعمار كانت تمتد كالاخطبوط من بعض المدارس الأجنبية الى الصحافة وبعض دور النشر الكبرى والسينما وبعض الأفراد الدعاة المتأثرين بهذه الثقافات ان هذا النوع من الثقافات آخذ فى الانهيار بعد أن تحددت مبادىء سياستنا القومية فى التحرر الوطنى وتحققت للثقافة القومية فرحة التحرر من التبعية المطلقة لثقافات بعينها وهذه السياسة وحدها كفيلة بتصفية البقية الباقية من الجيوب الاستعمارية(٣١) .

هذا وقد طالبت جريدة المساء بضرورة وجود منهج منظم تقترن فيه التعبئة العسكرية بتعبئة قومية حقيقية ، يدرس فى لجان المقاومة الشعبية وحددت دروسه فى الأول لنعرف شعبنا والثانى لنعرف اصدقاءنا والثالث لنعرف عدونا والرابع لنعرف كفاح الشعوب فى كل مكان والخامس لنعرف استراتيجية الاستعمار واستراتيجية التحرير وأيضا أن اسرائيل قاعدة الاستعمار والتعريف بالقومية العربية ومعاركنا القادمة فى تصفية الاستعمار وطرق حماية الجبهة الداخلية وطرق حرب الميدان ودور العلم فى المعركة ولتقضى على التخلف الفكرى ثم نعرف ماذا نريد لمصر الغد ولأى شىء نهدف .

ثالثا — قضية تصفية الاستعمار الاقتصادى :

أبرزت صحيفة المساء أن الاعتداء الذى أقدمت عليه بريطانيا وفرنسا لم يكن وليد تصرف مفاجىء من جانب هاتين الدولتين ، ولم يكن كذلك نتيجة لتأميم قناة السويس وانما مرحلة من مراحل الصراع بين المصالح الاستعمارية من جهة وحركة التحرر الوطنى التى حققت معظم اهدافها فى مصر والتى تسعى الى تحقيق هذه الأهداف فى بقية أجزاء العالم العربى فى الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية وفى اطار معالجتها لهذه القضية حرصت المساء على تحديد الجيوب التى يمكن أن يتركها الاستعمار بعد انسحابه لاشاعة الاضطراب من جهة ولتكون عينا له ثم عونا بعد ذلك من جهة أخرى ، فى العدد الكبير من المؤسسات الاقتصادية التى تخضع للمصالح الانجليزية والفرنسية والتى تعتبر ثغرات فى خطوطنا الدفاعية ، وطالب بتصفية هذه الجيوب والقضاء عليها ودراسة اثرها على جهازنا الانتاجى(٣٢) .

وأوضحت المساء ما ترمى اليه من تصفية الاستعمار الاقتصادى بأنه (لا يعنى تصفية المرافق التى كان يديرها الاستعمار وانمـــا ان يستمر استغلالها ليس لصالح الاستعمار ولكن لصالح شعب هـــذا البلد الحريص على حريته العامل على رفع مستوى معيشته) وبررت ذلك بأن راس المـــال الوطنى لقى الأمرين من رأس المـــال الأجنبى الذى يرتكز على قواعـــد كثيرة منتشرة فى الكثير من بقاع العالم وكان عليه فى كثير من الأحوال ان يقبـــل مشاركته اياه فى عمليات الاستثمار وقال (الآن ها هى ذى الفرصـــة بين أيدينا ومعاقل الاستعمار فى ديارنا افهـل نتردد ولدينا من ابنائنا من لـــه الخبرة والكفاية لادارة هـــذه المشروعات .. واضاف بأن هناك اكثر من وسيلة تؤمن بها خطوطنا ومستقبلنا اذا قمنا بتصفية مراكز الاستعمار ممـــا يمكننا من رسم السياسة التى نريدها للوصول الى المستوى الرفيـــع الذى نريده لبلـــدنا)(٣٣) .

وتناول د. فـــوزى منصور الأسباب التى تدعو الى مواجهة راس المـــال الأجنبى الاستعمارى الموجود فى مصر بحلول حاسمة ، فقال أن أولها ناشىء عن حـــق مصر فى الحصول على تعويض كامل عن الاضرار التى لحقتهـــا من جراء العـــدوان والثانى يتصـــل بالأصـــل المشروع الذى تمكنت هـــذه الأموال فى ظله من التغلغل فى الاقتصاد المصرى والسيطرة عليه والسبب ـــ هـــو الاستجابة الى الضرورات التى تعرضها على مصر اتجاهات فى بناء اقتصادها .. وطالب الحكومة بتحـــديد هـــذه الاتجاهات من بين التمصير أو التأميم أو التصفية(٣٤) .

رابعا ـــ التضـــامن العـــربى :

أظهرت التغطية الخبرية التى قامت بهـــا المساء خلال فترة الدراسة كذلك ما نشرته من تقارير وكالة أنباء الشرق الأوسط ووكالات الأنباء العالمية وتقارير مراسلها فى دمشق « محمد عودة » وتحليلات كتابها مدى تضامن ومؤازرة الشعوب العربية لمصر فى تصـــديها للعـــدوان الثلاثى فكتب « محمد عودة » (أن الشعور السائد هنا فى شوارع بيروت أو ازقـــة دمشق أو مخيمات البـــدو فى أقاصى عمان شعور واحـــد لا يتغير هـــو النصر أو الموت ، أن هـــذه هى معركة مصر هى معركة العرب وهى معركة آســـيا

وهى أيضا معركة من معارك الحرية .. ان الشعور السائد هنا أن الحروب التحررية العادلة هى مدرسة الشعوب .. أن سوريا كلها شعبا وحكومة وجيشا تنتظر اشارة مصر والاردن كذلك .. أن الجماهير لم تتجاوب منــذ ألف عام مــع قائد مثلما تجاوبت مــع عبد الناصر)(٣٥) .

وكتب خالد محيى الدين يقول (منذ أن بدأ العــدوان الثلاثى على مصر هبت الدول العربية جميعها تؤيد مصر فى موقفها وقطعوا علاقاتهم مــع فرنسا وبريطانيا ثم قامت الشعوب العربية جميعها بدون استثناء بالتعاون الفعال المثمر مع مصر فمن تقــديم طلبات التطوع الى جمع التبرعات لمصر ثم القيام بتخريب منشآت العــدو فى بلادها . وكان أبرز هــذه الأعمــال نسف أنابيب البترول التى توصله الى البحــر الأبيض ورأى « خالــد محيى الدين » أن تضامن الشعوب العربية قــوة لا تقهر فان الاستعمار كان يوجــه ضربته للبلاد العربية كلها حين هاجم مصر ولقــد خرجت القومية العربية اكثر تضامنا وقــوة وكان هــدف الاستعمار القضاء على معركة مصر كدولة قــوية ذات جيش قــوى وفصلها عن باقى الأمم العربية ولكن يقظة وتضامن الشعوب العربية أوقفت هــذه المؤامرة . وأكد أنه بقــدر تضامن الشعوب العربية فى المستقبل سينال العرب جميع مطالبهم وعقبت المساء على اجتماعات ملوك ورؤساء الدول العربية وما جاء فى البيان الذى أصــدوره من انهم سيعتبرون تلكؤ المعتدين فى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بوجوب الانسحاب من الأراضى المصرية وأنه فى حالة استئناف الأعمــال العسكرية فأنهم سيطبقون المــادة الثانية من الميثاق الدفاعى المشترك المعقود بين الدول العربية والتى يوجب تدخلهم الى جانب مصر لاتخاذ كل الاجراءات اللازمة لمؤازرتها . فكتبت تقول (أن هــذا يؤكد أن مصر لا تقف وحــدها وأن كل شيء قــد تم باتفاق قادتها مع اخوانهم رؤساء الدول العربية الأخرى وأنه لا تقاعس ولا تردد بل حماسة فى معركة التحرير)(٣٦) .

صحافة مصرية : القسم الأول
الصحافة المصرية والعـدوان الثلاثى ١٩٥٦

هـــوامش

١ ـ أنظر : جمال العطيفى ، محاضرات فى التشريعات الاعلامية ، كلية الاعلام ١٩٧٨ ·

٢ ـ أنظر : عـواطف عبد الرحمن ، دراسات فى الصحافة المصرية المعاصرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٦ ، ص ٥٣ ـ ٥٤ ، نقلا عن ليلى عبد المجيد ، السياسة الاعلامية فى مصر ١٩٥٢ ـ ١٩٧١ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاعلام ، ١٩٨٢ ·

٣ ـ المساء ، ١٩٥٦/١١/١٥ ، التضامن العربى قـوة لا تقهر ·

٤ ـ المساء ، ١٩٥٦/١١/١٤ ، الأسباب الحقيقية للعـدوان على مصر ·

٥ ـ المساء ، ١٩٥٦/١١/١٩ ، « خالـد محى الدين » ·

٦ ـ المساء ، ١٩٥٦/١١/١٣ ، حقيقتـان بارزتان فى الموقف الحاضر (فتحى رضوان) ·

٧ ـ المساء ، ١٩٥٦/١١/٢ ·

٨ ـ المساء ، ١٩٥٦/١١/١٤ ·

٩ ـ المساء ، أول نوفمبر ١٩٥٦ (الصراع العالمى فى الشرق الأوسط) ·

١٠ ـ أنظر : المساء ، الجمهورية ، الأهرام خلال ٢٩ ٣٠ ، ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ ·

١١ ـ أنظر : المساء فى ١١ ، ١٢ ، ١٩٥٦/١١/١٤ ، الافتتاحيات (خالد محيى الدين) والمقـالات (عبد العزيز فهمى) ·

١٢ ـ أنظر : الأهرام ، ١١/٧ ، ١١/٨ ، ١١/١٠ ، ١٩٥٦/١١/١٥ ·

١٣ ـ أنظر : الأهرام ، ١٩٥٦/١١/٦ ·

١٤ ـ الأهرام ١١/١٧ ، ١١/٢٢ حتى ١٩٥٦/١١/٣٠ ·

١٥ ـ أنظر الجمهورية ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ أكتوبر ١٩٥٦ ·

١٦ ـ المساء ، ١٩٥٦/١٠/٣٠ نحن والعالم (على الشلقانى) ·

١٧ ـ المساء ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ ·

١٨ ـ وأنظر : الأهرام والجمهورية ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ نوفمبر ١٩٥٦ ·

١٩ ـ أنظر : المساء ، ٦ : ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ·

٢٠ ـ المساء ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ٠
٢١ ـ انظر الأهرام ـ الجمهورية ـ المساء من ١٥ ديسمبر ـ ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ ٠
٢٢ ـ المساء ٦ ـ ٨ ـ ٢٠ نوفمبر ١٩٥٦ ٠
٢٣ ـ الأهرام ١٤ ، ١٥ نوفمبر ١٩٥٦ ٠
٢٤ ـ انظر : الأهرام ـ الجمهورية ـ المساء ، ١ ، ٣ ، ٤ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ديسمبر ١٩٥٦ ٠

٢٥ ـ أنظر المساء ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ، ١١ ديسمبر ١٩٥٦ ٠
٢٦ ـ المساء : ١٩٥٦/١٢/٢٣ ٠
٢٧ ـ أنظر المساء ١٩٥٦/١٢/١٩ ٠
٢٨ ـ المساء ، ١٩٥٦/١١/٢٢ ، « حقيقة عالية جديدة » (عبد العظيم انيس) ٠
٢٩ ـ المساء ١٩٥٦/١١/٢ ٠
٣٠ ـ المساء ، ١٩٥٦/١١/٣ ٠
٣١ ـ المساء ، ١٩٥٦/١١/١١ ـ تربية قومية (اديب ديمترى) ٠
٣٢ ـ أنظر : المساء ، ١٥ نوفمبر ١٩٥٦ (دعموا الجبهة الداخلية) د٠ راشد البراوى ٠
٣٣ ـ المساء ، ١٧ نوفمبر ١٩٥٦ (تصفية الاستعمار فى مصر) تقييم اقتصادى ٠
٣٤ ـ المساء ، ٨ ديسمبر ١٩٥٦ ٠
٣٥ ـ المساء ، ١٩٥٦/١١/١٣ (التضامن العربى قوة لا تقهر) ٠
٣٦ ـ المساء ، ١٩٥٦/١١/١٥ ٠

صحافة عربية

الدراسة الأولى

القسم الثانى

الاعلام العربى وحقوق الانسان فى الثمانينات

تحتفل أجهزة الاعلام العربية فى شهر ديسمبر من كل عام بذكرى صدور الاعلان العالمى لحقوق الانسان وتشاركها هذا الاحتفال الهيئات والأحزاب ولجان حقوق الانسان . ويتمخض هذا الاحتفال فى أغلب الأحيان عن صدور مجموعة من البيانات التى تندد بالانتهاكات الصهيونية لحقوق الانسان العربى فى الأراضى المحتلة وتتجنب الاشارة ولو بكلمة واحدة الى حقوق المواطن العربى المهدرة وأن بنسب متفاوته فى ظل كافة الأنظمة العربية .

واذا كان هناك ثمة ضرورة توجب الاشارة الى تلك المبادىء التى ينص عليها الميثاق العالمى لحقوق الانسان الذى تحتفل بذكرى صدوره جميع أجهزة الاعلام العربية كل عام . فان هناك ضرورة مماثلة تستلزم العودة الى الجذور التاريخية لقضية حقوق الانسان على الأرض العربية منذ بدء ظهورها كجزء لا يتجزأ من تراث الحضارات القديمة فى مصر والهند وبلاد النهرين وفى الصين واليابان ثم فى الجزيرة العربية منذ ظهور الاسلام فى القرن السابع الميلادى حيث أرسيت أسس اجتماعية وفكرية جديدة رسخت لدى الغالبية العظمى من البسطاء قيم المساواة والعدالة المكملان لقيم العمل والاجتهاد واحترام العقائد الأخرى وصيانة حقوق معظم المواطنين ضمن المجتمع . كما أتاح الاسلام لكافة المواطنين حق الوصول الى قمة السلطة فى المجتمع شريطة أن تتوافر فيهم صفات الايمان والحكمة والقدرة على تحمل المسئولية فضلا عن ثقة الناس ومحبتهم . كذلك أرسى الاسلام أسس المشاركة فى شئون الحكم حيث أوصى الناس بضرورة توجيه النقد للحكام والعمل على تقويم اعوجاجهم فى حالة وقوعه وأعطاهم شرعية التغيير عندما يتوقف النظام الحاكم عن التعبير عن مصالحهم وحمايتها(١) .

ولا شك أن تلك الممارسات التى شهدتها الأرض العربية قبل أربعة عشر قرنا كانت تمثل تجربة متقدمة بمقاييس عصرها بل سابقة لكتابات

جان جاك روسو ومونتسيكيو وجون لوك وغيرهم حـول الحرية والمساواة والعـدل الاجتماعى وأحقيـة الشعب فى السلطة .

ولذلك لا يمكن اعتبار كتابات الرواد الأوربيين وخصوصا الذين مهدوا للثورتين الفرنسية والأمريكية هـذا الأساس النظرى الوحيد لقضية حقوق الانسان . فالحضارات القـديمة والأديان تقـدم رؤى واضحة لهـذه القضية قـد لا تكون مطابقة للرؤية التى صـدر عنها الاعلان العـالمى لحقوق الانسـان ولكنها تطرح جـوهر القضية واصولها الأولى وان اختلفت الأطر والسياق العام . ومن هنا وانطلاقا من اعتبارات الخصوصية العربية لابد أن نضع فى اعتبارنا الملامح المميزة للفكر العربى الاسلامى ومفاهيمـه الخاصة بحقوق الانسان مـع عـدم اغفال المبادىء المنصوص عليها فى الاعـلان العالمى وسـائر المواثيق الدولية التى تعـد تجسيدا شاملا للتراث الانسانى فى مجمله وليست تراث لحضارة بذاتها .

وتأكيدنا على محـور الخصوصية فى قضية حقوق الانسان لا يأتى بأى حال على حساب البعـد العالمى لهـذه القضية التى تتسع وتضيق أطرها النظرية طبقا لتعـدد واختلاف منابعها الحضارية والفلسفية كذلك تتفاوت تطبيقاتها باختلاف نظم الحكم وانتماءاتها السياسية والاجتماعية . والواقع أن البعـد المحلى لقضية حقوق الانسان لا يمكن ان يتناقض مـع ما حققته من مكاسب على المستوى العالمى سـواء فيما تمثل فى ميثـاق انشاء منظمة الأمم المتحدة أو الاعلان العالمى لحقوق الانسان الصـادر عام ١٩٤٨ أو سائر المواثيق الدولية التالية له .

ولا شك أن هناك اسس مشتركة لقضية حقوق الانسان تتمثل فى مجموعة القيم والمعانى الانسانية سواء تلك المستمدة من الأصول الدينية أو الوضعية ولذلك فان محـور الخصوصية أو الجانب القـومى لحقـوق الانسان لا يبرز بصورة واضحة الا فى الاطار التطبيقى . ورغم ان الهيئات الدولية التى تعمل فى مجال حقوق الانسان قـد حققت بعض النجـاحات المحـدودة باعتبارها تمثل عناصر ضغط دولية تحـول دون التمـادى فى تصعيد الانتهاكات التى تمارسها الحكومات المختلفة ضـد حقوق الانسان . غير أن الواقع يطرح سلسلة لا تنتهى من الانتهاكات التى لا يخلو منها أى

مجتمع فى العالم . فالحقيقة أن دول العالم بكافة انظمتها السياسية انما تنتهك حقوق الانسان المنصوص عليها فى المواثيق الدولية والقوانين المحلية بدرجات متفاوتة فى الظروف المختلفة(٢) .

واذا كان هناك ثمة فارق أو اختلاف فى مجال الانتهاكات بين اكثر الدول ديموقراطية واشدها استبدادا فهو اختلاف فى نوع الحقوق المنتهكة . ولكن الجميع يتساوون فى ممارسة الانتهاك .

ولعل مرجع ذلك أن لكل نظام حاكم خصومه وأعدائه الأيديولوجين والطبقيين ومن أولى مهامه الحفاظ على بقائه بكل الأساليب المشروعة وغير المشروعة سواء على المستوى المحلى او الدولى . ولذلك لا يمكن اتهام حكومات معينة بالتخصص فى انتهاك حقوق الانسان واعفاء غيرها من هذا الاتهام . فهناك دول تبرز فيها شتى صور القمع السياسى والاجتماعى والاقتصادى وهى تشكل اغلب دول الجزء الجنوبى من العالم أو ما يسمى بدول العالم الثالث حيث تسود الأنظمة الاستبدادية وتتسع رقعة الفقر والأمية فتضم معظم مواطنى هذه الدول . وتمارس الحكومات أساليب قمعية ضد معارضيها تتراوح بين القتل والتعذيب . وهناك الدول الغربية ذات التوجه الرأسمالى التى تمارس القمع تحت أقنعة متعددة رغم ما تنص عليه دساتيرها ومواثيقها من احترام لحقوق الانسان وحرياته فهى لا تلجأ لحماية أنظمتها السياسية الى الصور الفجة من القمع المباشر خصوصا وأنها قد حققت مستويات عالية فى مجال التقدم الاقتصادى والتكنولوجى لأسباب تاريخية تتعلق بفترة سيطرتها الاستعمارية على العالم الثالث واستنزافها لموارده وثرواته البشرية والطبيعية التى لا تزال لها امتداداتها المعاصرة . وقد ساعدها ذلك على بلوغ مرحلة من الاستقرار السياسى القادر على استيعاب حركات الرفض الاجتماعى والفكرى من خلال بعض التنازلات الجزئية التى تتمثل فى الاعانات الاجتماعية للمتعطلين وتعدد المنابر السياسية والاعلامية والسماح بما يسمى بحق الصراخ من خلال ممارسة كافة أشكال الاحتجاج السلمى .

اما الدول التى تتبنى الاشتراكية فكرا وممارسة فهى وأن كانت تمنح الأولوية لقضية العدل الاجتماعى أى ما يعرف بالحقوق الاقتصادية

والاجتماعية ، الا أنها لم تتوصل بسبب قصور ابنيتها الحزبية الراهنـــة وجمودها الأيديولوجى وسوء تطبيقها للمركزية الديموقراطية الى الصيغة الملائمة لحـل التناقضات السياسية والأيديولوجية التى تزخر بها مجتمعاتها وقـد ترتب على ذلك لجوء تلك الحكومات الاشتراكية الى انتهاج أساليب ضـد معارضيها تمثل انتهاكات صريحة بل وصارخة أحيانا لحقوق الانسان وتتمثل هـذه الأساليب فى العزل السياسى والسجن عـدا التضييق على حرية المواطنين فى السفر والتنقل وحـق الاضراب والتظاهر واسـتخدام وسائل الاعلام للتعبير عن احتجاجهم أو اختلافاتهم مع السلطة الحاكمة .

الديموقراطية الضرورة الغائبة فى الوطن العربى

لقد طرحت قضية الديموقراطية فى الوطن العربى منذ نهاية القرن التاسع عشر وبقيت مطروحة ولا زالت خلال كل العقود التالية فى القرن العشرين . وعندما نتحدث عن هذه القضية الهامة فى اطار الوطن العربى فاننا لا يمكن أن نغفل خريطة القوى الاجتماعية فى المجتمعات العربية كما لا يمكن أن نتجاهل حصيلة التطور التاريخى الذى مرت به وما نتج عن ذلك من تراث وقيم . كذلك لا نستطيع أن نغفل معطيات العصر وتجارب الشعوب الأخرى .

ان الخريطة الاجتماعية فى الوطن العربى تشير بوضوح الى أن الطبقات الشعبية التى تشمل العمال والفلاحين والشرائح الدنيا من الطبقة الوسطى تمثل الغالبية العظمى من السكان فى حين انها لا تشغل فى الخريطة السياسية الا هامشا ضيئلا ، ولا تستطيع أى حركة سياسية عربية أن تزعم أنها تحتكر تمثيل هذه القوى الاجتماعية الضخمة بالكامل . كما يلاحظ أن التيارات الفكرية الرئيسية الثلاثة التى يتوزع عليها ولاء هذه لجماهير وهى الفكر القومى والطرح الاشتراكى والاتجاه الدينى ما هى الا وجوه لحقيقة مركبة متكاملة هى حقيقة الوجود القومى العربى بأبعاده الاجتماعية والحضارية .

وعندما نتأمل الخريطة الراهنة للوطن العربى بكل ما يزخر به من تراث حضارى وثقافى ودينى يتميز بالتنوع واثراء وبكل ما يتضمنه من تناقضات اجتماعية وصراعات سياسية وأيديولوجية وبكل ما ينطوى عليه من امكانيات بشرية وموارد طبيعية وأهمية استراتيجية متميزة عندما نتأمل هذه الخريطة تطالعنا المعطيات الموضوعية التالية :

اولا : التنوع الثقافى والحضارى الذى تفاعل فى وعاء عربى اسلامى مسيحى خلال ما يقرب من ١٤ قرنا وأفرز هذا الكيان التاريخى الذى يتميز بوحدة اللغة والتراث والأرض والتكوين النفسى والمصالح المشتركة .

ثانيا : التجزئة التى فرضت على الوطن العربى فأدت الى انقسامه الى دول ذات نظم سياسية متباينة تتراوح بين نظم المشيخات والامارات والممالك المقيدة والمطلقة مرورا بأنظمة ليبرالية على النمط الغربى وانتهاء بنظام الحزب الواحد . وتتفاوت هذه الدول فى تحررها الاقتصادى والاجتماعى كما تتباين من حيث حجمها الجغرافى والبشرى .

ثالثا : علاقة التبعية التى تربط معظم الأنظمة العربية بالقوى الدولية الأجنبية وخصوصا الولايات المتحدة ودول اوربا الغربية والشركات المتعددة الجنسية التى تمارس هيمنتها خصوصا فى مجالات التكنولوجيا والثقافة وما يترتب على ذلك من اهدار للحقوق الوطنية والسياسية لشعوب المنطقة من خلال تصعيد أساليب القمع المادى والفكرى والأيديولوجى الذى تحتكر الحكومات العربية ادواته الرئيسية وتتمثل فى الجيوش وقوات الأمن الداخلى ووسائل الاعلام ومؤسسات التعليم .

رابعا : ظاهرة الاستعمار الاستيطانى العنصرى المتمثل فى اغتصاب الوطن الفلسطينى واقامة الدولة الصهيونية فوق ترابه وما ترتب على ذلك من تشريد واقتلاع للشعب العربى فى فلسطين وهذه الظاهرة لا تشكل امتدادا عضويا للاستعمار العالمى فحسب وانما تمثل تحدى اجنبى من نوع خاص يهدد الأرض والتراث القومى ككل . فضلا عن استناده الى قوة عسكرية وتكنولوجية وركائز مادية أتاحت له امكانية التغلغل الثقافى والاعلامى داخل الوطن العربى خصوصا بعد توقيع ما يعرف بمعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ١٩٧٨ — ١٩٧٩ والغزو الاسرائيلى للبنان فى ١٩٨٢ . وقد ترتب على استمرار الظاهرة الصهيونية المزيد من التشرذم العربى نتيجة افتقاد وغياب المنظور القومى الموحد للمواجهة العربية — الاسرائيلية .

خامسا : انتشار الأمية لدى الجماهير العربية (تتوارح ما بين ٦٥٪ الى ٧٥٪ فى الدول العربية) علاوة على سيادة التخلف الثقافى والاجتماعى وخصوصا لدى الطبقات الشعبية . ويرجع ذلك الى قصور النظام التعليمى وهبوط الأداء الاعلامى وسيادة الثقافة التجارية وانحسار الابداع القومى

والاستسلام أمام ما يسمى بالغزو الثقافى الأجنبى وخصوصا الغزو الأمريكى . وقد استثمرت الحكومات العربية حالة التدنى التعليمى والثقافى المتفشية بين الجماهير العربية فى تكريس هامشية هذه الجماهير فى كافة الأنشطة الثقافية والسياسية(٣) .

سادسا : أزمة النخبة المثقفة والتى تتمثل فى حالة الانفصام المتنامى بينهم وبين الطبقات الشعبية وبينهم وبين تراث الأمة وتاريخها وخصوصا هؤلاء (وهم يمثلون الأغلبية) الذين ارتبطوا بالثقافة الغربية . فضلا عما شهدته سنوات ما بعد الاستقلال من انصراف أغلب المثقفين العرب عن القضايا العامة وانغماسهم فى الأخذ بنمط الحياة الاستهلاكية واعتكافهم على العمل الأكاديمى البحت او تحولهم الى ادوات للأنظمة العربية القائمة . وقد ترتب على ذلك غياب الطلائع العربية المثقفة وتخليها عن القيام بدورها القيادى فى توعية القطاعات الشعبية وتعبئتها لمواجهة اشكال القهر السياسى والاجتماعى أو التصدى لمحاولات الابادة والتشريد . التى تمارسها الحكومات المحلية والقوى الأجنبية .

واذا كانت المعطيات السابقة تجسد فى مجملها الأسباب الذاتية والموضوعية التى ادت الى غياب الديموقراطية فى الوطن العربى مضافا اليها عنصر تاريخى هام هو انتفاء وجود تراث ديموقراطى فى الأبنية الاجتماعية والثقافية المختلفة فى الوطن العربى بدءا بالأسرة والقبيلة ومرورا بالمؤسسات التعليمية وانتهاء بالأحزاب السياسية وتنظيمات المثقفين انفسهم مما يجعل غياب الديموقراطية السياسية لا يبدو شيئا شاذا فى اطار السياق الراهن للواقع العربى(٤) والواقع أن الديموقراطية قد طرحت على المستوى العربى من خلال منطق المفاضلة بين مفهومين للحياة السياسية فى المجتمع المفهوم الليبرالى الذى تأثر به قطاع كبير من المثقفين العرب والمفهوم الآخر الذى يرى أن من الضرورى قبل اعطاء الحريات للشعب مرور فترة من سيطرة حزب او نخبة طليعية تصهر الأمة فى بوتقة واحدة وتحقق التحرر السياسى الشامل وتقوى اسس الدولة المركزية . ويعتمد هذا المفهوم على فكرة المستبد العادل التى طورها تيار الاصلاح الدينى على يد جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وفكرة الحزب الطليعى الذى

بقـــود الأمة والدولة . وقـــد ارتبط الصراع العربى من أجل الديموقراطية تاريخيا بالصراع ضـــد الاستعمار ولم يتوقف هـــذا الصراع عند حـــدود انتزاع الاستقلال الوطنى بل استمر فى المرحلة الثانية التى أعقبت الاستقلال حيث برزت قضية التنمية الاقتصادية والتصنيع والوحـــدة القومية الضرورية للتصـــدى للأجنبى .

سابعا : تميز وضـــع الدولة فى العالم العربى بخصوصية تاريخيـــة ترجـــع الى سيادة نظام الانتاج الآسيوى فى هـــذا الجزء من العـــالم وما يستلزمه من مركزية نظام الرى والزراعة ممـــا فرض مركزية دور الحكومات كضرورة مجتمعية وقـــد استمر هـــذا الدور أثناء فترتى الحكم العثمانى والسيطرة الأوربية . كما اكتسب هـــذا الدور أبعادا عصرية بعـــد حصول الدول العربية على استقلالها اذ أصبحت الحكومات تعقد الأمال لتحقيق الوحـــدة القـــومية والتنمية الاقتصادية وانهاء الصراع العربى الاسرائيلى وقـــد كان لهـــذه الخصوصية سلبياتها الملحوظة التى تمثلت فى تعاظم دور جهاز الدولة فى المجتمعات العربية فى مقابل تهميش دور المواطنين ممـــا اسهم فى اضافة مزيد من التعقيدات فى علاقة المواطن بالدولة واهـــدار لحصيلته الايجابية لتراث النضال الوطنى على مدى قرن كامل . اذ أسفرت مسيرة التحرر الوطنى فى الوطن العربى عن عصور قاتمة تبرز فيها قـــلة ثرية تسيطر على مصادر الثروة الاقتصادية والنفوذ السياسى والثقـــافى واغلبية محرومة من الحـــد الأدنى لمقـــومات الحياة الآدمية الكريمة ســـواء على المستوى الاقتصادى أو السياسى أو الثقافى(٥).

واذا كانت المعطيات السابقة تجسد فى مجملها الأسباب الذاتيـــة والموضوعية التى ادت الى غيـــاب الديموقراطية فى الوطن العربى مضـــافا اليها عنصر تاريخى ذى طـــابع اجتماعى يتمثل فى انتقاء وجـــود تراثا ديموقراطى فى الأبنية الاجتماعية والثقافية المختلفة فى الوطن العربى بدءا بالأسرة والقبيلة ومرورا بالمؤسسات التعليمية وانتهاء بالأحزاب السياسية وتنظيمات المثقفين أنفسهم . ممـــا يجعل غياب الديموقراطية السياســـية لا يبدو أمرا شـــاذا فى سياق الواقـــع العربى الراهن .

ولقـــد طرحت قضية الديموقراطية وهى الاطار الأوسع لقضية حقوق

الانسان فى الوطن العربى طرحا مثاليا اتخـذ شكلا اخـلاقيا يستند الى مفهوم الحرية بصورة عامة ورغم أهمية الدور الذى لعبه هـذا الشعار أثنـاء فترة الكفـاح الوطنى ضـد الاستعمار غـير أن سـلبياته بدت تظهر فى فترة الاستقلال حيث سارعت جميـع نظم الحكم العربية الى استخدامه مستفيدة من عموميته متغافلة عن حقيقة أولية هامة أن قضـية الديموقراطية ليست قضية فكرية مجردة كما أن الديموقراطية ليست شعارا سياسيا فارغ المحتوى بل هى مفهوم سياسى ذو مضمون اجتماعى واقتصادى وتتحـدى صـور أشكال ممارستها طبقا لطبيعة السلطة السياسية وفى اطار خريطة القوى والصراعات الاجتماعية السائدة مضافا اليها السـياق التاريخى أى مقتضيات المرحلة التاريخية .

وفى اطار قضية حقوق الانسان لا يمكن فصل شعارى الديموقراطية والحرية عن بعضهما بسبب الطبيعة المركبة لقضية حقـوق الانسان اذ لا تقتصر هـذه القضية على الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية فحسب بل تتناول جانبا أساسيا يسبق هـذه الحقوق الا وهى الحقـوق الطبيعية مثل حـق الانسـان فى الحياة وفى عـدم تعرضـه للاستعباد والعبودية والسخره ومن هنا فان الدفاع عن الديموقراطية سيرتبط دوما فى الوطن العربى بالدفاع عن الحرية(٦) .

هـذا وقـد ترتب على سيادة الأوضاع اللاديموقراطية التى تنشر مظلتها على كافـة أنحـاء الوطن العربى بلا استثناء مـع اختلاف الدرجات بروز حقيقة أساسية هى حرمان الانسان العربى من أغلب حقوقه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . فهو محروم من المشاركة فى صنع القرارات التى تمس وطنه ومصيره ومحروم من حقـه فى ابداء الرأى والتعبير فى قضـايا وطنه وشئون مجتمعه وهـذا الحرمان لا يقتصر على ابداء الرأى فحسب بل يشمل حرمان المواطن العربى من المعلومات التى تتعلق بشئون وطنـه وما يدور حـوله وطنيا وعالميا ممـا لا يتيح لـه فرصة تكوين رأى سليم ومتكامل فهـو لا يرى ولا يسمع الا ما يسمح به النظـام الحاكم ولا يقرأ الا ما تسمح به الرقابة وهـو يتعرض بصورة منظمة لكافـة اشـكال القمع والغزو الفكرى والأيديولوجى المحلى من جانب الحكومات والأجنبى

ولا يستطيع مقاومة هـذا الطوفان من القهر المعنوى لأنه لم يتوصل بعـد الى خلق أدواته البديلة التى تكفل لـه صيانة حقوقه فى الوعى والمعرفة فضلا عن حقوقه المـادية التى تتمثل فى ضمان حياة آدمية كريمة وآمنة من الخـوف والحاجـة .

حقــوق الانســان وازمة الاعــلاميين العرب

تضم الأنشطة الاعلامية والاتصالية فى الوطن العربى بضعة آلاف من الاعلاميين الذين تستوعبهم المجــالات المختلفــة فى الصــحف والاذاعات والتليفزيون ووكالات الأنباء . ويشكل الصحفيون والكتاب القوة المؤثرة داخل هــذه الفئة بسبب تميزهم عن ســائر الاعلاميين الذين يعملــون كموظفين فى اجهزة الاعلام مثال ذلك (اعــداد البرامج وتقــديمها ــ قراءة النشرات الأخبارية ــ الاعلانات ــ التوثيق ــ تكنولوجيا الاتصــال ــ الادارة والتــوزيع) .

ولقــد شهد العقدان المــاضيان اشكال وصور عــديدة من الضغوط والاجراءات التى مارستها الحكومات العربية من اجل احتواء الأعــداد الهائلة من المثقفين العرب وفى مقــدمتهم رجال الاعــلام . واذا كانت هذه الحكومات قــد نجحت فى استقطاب الكثيرين من هؤلاء الاعلاميين الذين تحــولوا الى ابواق للأنظمة العربية القائمة وسخروا اقلامهم لتبرير كافــة الممارسات اللاديموقراطية بل والمعادية لحقوق الانسان فى أبسط صورها التى اقترفتها هــذه الحكومات ضــد شعوبها ومواطنيها . غير ان هنــاك العــديد من الصحفيين والكتاب العرب الذين قاوموا الاغراءات الحكومية وانضموا الى صفوف المعارضة وتعرضوا بسبب مواقفهم لكافــة اشكال الاطــاردة والتشريد والسجن ممــا دفــع اغلبهم الىالهجــرة وترك الوطن والاستقرار فى العواصم الغربية والاشتراكية ولكن يبرز امامنا فى المرحــلة الراهنة ذلك الدور الذى يقوم به الكثير من قادة الراى الاعلاميين وخصوصا رؤساء التحرير وكبار الكتاب العــرب فى الدفاع المستميت عن مواقف الحكومات واعلان الخصومة شبه المطلقة للجماهير العربية وحقوقها المدنية والسياسية والاجتماعية مضافا الى ذلك اصرارهم على تشويه المعلومات وتزييف الحقائق وتضليل الراى العام العربى وتشويه مساره لخــدمة مصالح الحكام وحلفائهم من القــوى الأجنبية وذلك دون مراعاة للحــد الأدنى من الأصوليات التى تنص عليها مواثيق الشرف الصحفى وســائر

المواثيق الاعلامية المحلية والعالمية فضــــلا عن مقتضيات الصالح الوطنى والقومى . وهناك اشكال أخرى من القوانين التى تنظم نقابات الصحفيين ومواثيق الشرف التى يلتزم بها الاعلاميون فى الوطن العربى .

ويضاف الى العوامل السابقة عامل آخر يتسم بأهمية خاصة ويتعلق بالبنية الداخلية للمؤسسات الاعلامية فى الوطن العربى أى الكوادر الاعلامية ومدى كفاءتها وتجانسها الفكرى والمهنى وأسلوب تنظيم المؤسسات وطبيعة العلاقات التى تحكم العاملين فيها ســواء العلاقات الرأسية بين الرؤساء والمرءوسين أو الأفقية بين العاملين انفسهم وكذلك الهيكل التنظيمى العــام للمؤسسات الاعلامية ويشمل العلاقات بين الوحــدات المختلفة مثل الادارة والتحرير والاعــلانات والتوزيع والاشتراكات داخــل المؤسسات الصحفية وبين رؤساء القطاعات والبرامج المختلفة داخــل المؤسسات الاذاعيـــة والتليفزيونية وكذلك بين أقسام الترجمة العربية والأجنبية داخــل وكالات الأنباء العربية . كما يتضمن هــذا الجانب اللوائح التنظيمية للعمل داخل المؤسسات الاعلامية المختلفة وهــل تعتمد على تقاليد مهنية مدونة أم تستند الى السلطات التقــديرية لرؤساء مجالس الادارات ورؤساء التحرير . كذلك مدى سيادة روح التعاون أم التنافس بين الاعلاميين داخل مؤسساتهم ومدى تأثير العوامل الأخرى مثل اختلاف المؤهلات والأجيال والجنسيات وتأثير ذلك على علاقات العمل وسائر المسئوليات المهنية والتنظيمية .

وممـــا يؤسف له أن جميع هــذه الجوانب لم تنل بعــد ما تستحقه من دراسات استطلاعية أو وصفية بل ويمكن القــول أن تناولها فى أغلب الأحيان يأخــذ صــورة التعميم الانطباعى قياسا على ما قــدمته لنــــا الدراسات الأمريكية والأوروبية فى هــذا المجال ممـــا لا يمكن الاستناد اليه الا فى اضــيق الحــدود .

حــق الاتصال فى ضــوء الممارسات الاعلامية فى الوطن العربى :

يسيطر الطابع المركزى على الممارسات الاعلامية فى الدول العــربية المختلفة سواء بالنسبة للتوزيع الجغرافى لوسائل الاعلام أو بالنسبة للادارة فالارسال الاذاعى والتليفزيونى ينبع دائمـــا من العاصمة الرسمية للدولة أو احــدى المدن الرئيسية . وكذلك الانتاج الاعلامى يتم معظمه فى العواصم

ونادرا ما يتم فى مراكز انتاج اقليمية خصوصا فى الدول العربية التى تسمح رقعتها الجغرافية ومواردها الطبيعية والبشرية بانشاء هذه المراكز وينطبق هذا القول على الصحف والاذاعات والتليفزيون ووكالات الانباء والمطابع والانتاج السينمائى ان وجدت .

أما الناحية الادارية فان القرارات الرئيسية تتخذ دائما من جانب السلطات الرئاسية فى المواقع الاعلامية المختلفة . وقد ترتب على هذا الوضع اقتصار الخدمات الاعلامية على سكان المدن بل والاتجاه الى اشباع احتياجاتهم الاعلامية وتجاهل القطاعات العظمى من سكان الريف فى العالم العربى . اذ أصبحت الشرائح العليا والمتوسطة من سكان المدن يسيطرون بثقافتهم وتطلعاتهم وقيمهم على اتجاهات الصحف والبرامج الاذاعية والتليفزيونية فى شتى أنحاء العالم العربى . مما أدى فى النهاية الى عزلة سكان الريف واغترابهم فضلا عن حرمانهم من حقوقهم الاتصالية التى نصت عليها المواثيق العالمية والمحلية .

ومما يلاحظ على الممارسات الاعلامية فى الوطن العربى تركيزها على الجوانب السياسية والدعائية والتحرك فى دائرة الحكام والرؤساء وتسليطها الأضواء على أنشطتهم وخطبهم السياسية وتنقلاتهم مما يؤدى الى اهمال الوظائف الأساسية للاعلام وهى احاطة المواطنين بمعلومات كاملة وأمينة عن كافة ما يدور حولهم محليا وعالميا فضلا عن تجاهل التثقيف والتوعية القومية والاجتماعية .

يلاحظ أنه رغم الدور البارز الذى قامت به الصحافة العربية اثناء مرحلة النضال الوطنى والذى يشكل ملمحا ساطعا من ملامح التراث الديموقراطى الحديث فى الوطن العربى ، فقد نجحت فى ارساء مجموعة من التقاليد الديموقراطية من خلال الممارسات العديدة التى قامت بها فى مواجهة السلطات الاستعمارية والحكومات المتواطئة معها . الا أن هذا الدور الذى قامت به الصحافة العربية اختفى تماما بعد الحصول على الاستقلال اذ التزمت معظم الصحف العربية بمواقف حكوماتها . مما ساعد على بروز مشكلة جديدة لم تكن مطروحة بوضوح أثناء مرحلة التحرر الوطنى وهى مشكلة علاقة الصحافة بالسلطة الوطنية والآثار السلبية

الناتجة عن ذلك فيما يتعلق بقضية الديموقراطية ورغم انه لا يوجد اجماع بين النخبة السياسية والثقافة فى الوطن العربى على تحديد دور مسئوليات وسائل الاعلام وفى مقدمتها الصحافة فى مرحلة ما بعد الاستقلال ، الا أن الممارسة العملية خلال ربع قرن قد طرحت موقفا موحدا فى مختلف الأقطار العربية رغم اختلاف المضمون الاجتماعى والأيديولوجى ويتلخص هذا الموقف فى استخدام وسائل الاعلام والاتصال العربية كأدوات فى يد السلطة وذلك للقيام بدور الشرح والتفسير والتأييد للقرارات الرسمية أكثر من كونها أداة لتوجيه النقد والاسهام فى اعادة تشكيل العقل العربى بصورة بناءة وايجابية(٧) .

ويلاحظ بوجه عام ان الحكام العرب يعتبرون اى نقد موجه للحكومات على أنه موجه دوما ضدهم ورغم أن الكثير من الدول العربية لم تنص فى دساتيرها على تحريم قيام حزب أو أحزاب معارضة ولكن يختلف الأمر من الناحية الواقعية . اذ أن أى محاولة لتشكيل معارضة حقيقية سرعان ما يقضى عليها ولو باستخدام العنف ويمكن الاستشهاد بالعديد من الأمثلة . والواقع أن العالم العربى لم يشهد صحافة تمثل مختلف القوى السياسية والاجتماعية الا فى الفترة التى سبقت الحصول على الاستقلال عندما حدث تحالف مقدس بين جميع فئات الشعب لمواجهة السلطات الاستعمارية . أما فى الوقت الحالى فالدول العربية تشهد أشكالا متعددة للقيود التى تفرض على الحريات العامة دفاعا عن النظام العام وأمن الحكومات وهما من المفاهيم المطاطة التى تستخدم بمهارة لحرمان القوى الاجتماعية المختلفة وتنظيماتها السياسية والثقافية من حرية التعبير والمشاركة فى تشكيل مصائر الوطن العربى(٨) .

وتمارس الحكومات العربية رقابة مشددة على وسائل الاعلام وخصوصا الصحافة وتتخذ الرقابة أشكالا متنوعة فقد تكون قاصرة فى بعض الأحيان على موضوعات معينة مثل الأمور الدينية أو المسائل الحساسة فى العلاقات الدولية والشخصيات الأجنبية البارزة ولكنها كثيرا ما تشمل الموضوعات التى تمس أمن وسلامة الحكومات العربية وغالبا ما تستند الرقابة على الصحف العربية الى قوانين مدونة ولكنها فى كثير من الأحيان

تستند الى السلطة التقديرية للحكومات وتتوافر لدى الدول العربية قوانين للرقابة تطبق اثناء فترات الطوارىء . ومن أبرز أنواع الرقابة التى تلجأ اليها الحكومات العربية الرقابة المسبقة حيث تقدم المادة الاعلامية للرقيب للموافقة عليها قبل نشرها أو اذاعتها وهناك أيضا الرقابة بعد التوزيع (بالنسبة للصحف فقط) حيث يتم مصادرة النسخ المعدة للتوزيع من هذه الصحف . ولكن اخطر اشكال الرقابة الشائعة اليوم فى وسائل الاعلام العربى هى الرقابة الذاتية التى يمارسها رؤساء التحرير والصحفيون والكتاب من تلقاء أنفسهم دون الحاجة الى رقيب رسمى(٩) .

والواقع ان اغلب وسائل الاعلام الرسمية وخصوصا الصحف ذات الملكية الحكومية لا تتسع الا لوجهات النظر الرسمية وتنطوى على اتجاه واحد لسريان الاعلام من السلطة الى الجماهير ولا يوجد اتصال متبادل فى اتجاهين فرسائل القراء نادرا ما تنشر فى صورتها الحقيقية وكذلك الآراء المخالفة لرأى الحكومات . وفى الحالات القليلة التى يسمح فيهما بالنشر تتعرض للعديد من التعديلات على أيدى حراس البوابات الاعلامية من رؤساء التحرير وأمثالهم وتمر المواد الاعلامية التى تنشر بالصحف العربية الموالية للحكومات بعدة مراحل تتعرض أثناءها للحذف والتعديل والتنقيح والتحرير والاضافة والتلفيق والاقتصار على مصادر اخبارية معينة دون سواها وذلك بهدف وصولها فى النهاية الى القراء فى صورة ترضى الحكومات العربية وتدعم سلطاتها الفكرية ونفوذها السياسى ، ونفس الشىء يحدث بالنسبة للاذاعات والتليفزيون فى الوطن العربى اذ نادرا ما يسمح باذاعة برامج خاصة بأحزاب المعارضة او تحمل رؤية نقدية للحكومات .

وهناك العديد من الدراسات الاعلامية التى اجريت فى مراكز البحوث والجامعات العربية خلال حقبة السبعينيات واهتمت بقياس اتجاهات ومواقف الصحف ووسائل الاعلام العربية ازاء القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية المعاصرة . وقد توصلت هذه الدراسات الى مجموعة من النتائج التى يجب ان نأخذها بعين الاعتبار عند تحليل أبعاد العلاقة بين وسائل الاعلام والحكومات العربية والتى يحكمها قانون السيطرة شبه

المطلقة من جانب الحكومات والتبعية من جانب وسائل الاعلام ممـــا يؤثر على المعالجات والمواقف التى تتبناها اجهزة الاعلام ازاء القضايا المعاصرة . ويكون فى الغالب على حساب الاعتبارات المهنية التى تستلزم تزويد الرأى العام باطار متكامل وصادق للمعلومات ويكون متضمنا شتى وجهات النظر السـائدة ».

ومن أبرز النتائج التى أسفرت عنها بعض هـــذه الدراسات ما يلى :

١ ــ تطرح الصحف العربية المواقف الرسمية فحسب ازاء القضايا القومية وقـــد ثبت صحة هـــذه النتيجة من خـــلال الدراسات التى أجريت عن (القـــدس فى الصحافة العربية) وشملت كل من الدستور الاردنيـــة والأهرام المصرية والقبس الكويتيـــة والمجاهـــد الجزائرية والصـــحافة السودانية . وكانت صحيفة الوطن الكويتية تمثل الاستثناء الوحيد اذ ثبتت اتجاها يمثل يسار الحكومة الكويتية(١٠) .

دراسة حالة الصحافة المصرية وحقوق الانسان فى الثمانينات :

تم اجراء دراسة استطلاعية اعتمدت على عينة بنائية شملت الصحف المصرية اليومية والصحف الحزبية الصادرة خــلال حقبة الثمانينات . وقد تم التركيز على رصـــد التغطية الخبرية والكتابات التى تناولت قضية حقوق الانسان وقـــد أسفرت هـــذه الدراسة عن مجموعة من النتائج الأولية التى يمكن اتخاذها كمؤشرات عامة لمعالجات الصحافة المصرية لقضية حقـــوق الانسان خــلال حقبة الثمانينات .

وفيما يلى تفاصـــيل الدراســـة :

تناولت الصحافة المصرية قضية حقوق الانسان اثناء حقبة الثمانينات من خـــلال المحاور التالية :

١ ـــ مصـــادر حقـــوق الانســـان .

٢ ـــ انتهـــاكات حقـــوق الانســـان .

٣ ـــ أسباب أزمة حركة الدفاع عن هـــذه الحقوق .

أولا ـــ مصـــادر حقـــوق الانســـان :

ـــ تراوحت رؤية الصحافة المصرية فى الثمانينات لمصادر حقـــــوق الانسان بين تيـــارين :

(أ) الشريعة الاســـلامية .

(ب) المواثيـــق الرسمية .

ـــ وأضافت الصحافة لهما ـــ فيما يتعلق بحقوق الانسان فى مصر ـــ مبادىء ثورة مايو ١٩٧١ ـــ ومواد الدستور .

ـــ هـــذا وقـــد حرصت الصحافة المصرية على على تأكيد اعتبار الشريعة الاسلامية المصـــدر الأصيل لحقوق الانسان ـــ وعقدت مقارنات بين ما نصت عليه الشريعة الاسلامية من حقوق ـــ وبين ما يقابلها فى مواثيق

حقوق الانسان(١١) حيث جاء « يطالب الاسلام بحرية المناقشات الدينية مع أهل الأديان الأخرى — وأن يكون عمادهم الاقتناع والحجة » وجادلهم بالتى هى أحسن » واذا كانت المادة ١٨ من الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق المدنية والسياسية تقرر فيفقرتها الأولى « أن لكل فرد الحق فى حرية الفكر والضمير والديانة » وجاء فى الفقرة الثانية انه لا يجوز اكراه أحد على الانتماء لأحد الأديان او العقائد ، فان الاسلام كان الأسبق فى الاعتراف بحرية العقيدة من كل النصوص الدولية » .

— ولم يتوقف الأمر عند ذلك بل تجاوزه الى رصد بعض التناقضات بين مبادىء الشريعة الاسلامية . وبنود مواثيق حقوق الانسان .. « ليس فى الاسلام نظام المعارضة ، فان المنهج واحد والمسلمين جميعا أمة واحدة ولكل فرد ان يعارض فى أى أمر يخالف المنهج والشريعة » .

— مع التأكيد على عدم جواز تطويع الشريعة الاسلامية لتلائم « الحزبية » بالاستدلال بفرق الخوارج ، والمعتزلة ، لأن ظهور هذه الفرق كان « بداية النخر فى جسم الأمة الاسلامية » .

— وجاء التأكيد على الشريعة الاسلامية كمصدر لحقوق الانسان لمواجهة الزعم القائل بأنها تراث غربى اذ أشارت كل من الأهرام ومايو الى « أن الاسلام كان الأسبق فى اعلان حقوق الانسان بمفاهيمها الواسعة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وبضماناتها الملائمة قبل صدور الاعلان العالمى لحقوق الانسان والانتفاقات الدولية اللاحقة ، ان حقوق الانسان ليست تراثا غربيا مستمدا من أفكار الفلاسفة البشرية فى أى عصر من العصور كما يحاول البعض ان يزعم »(١٢) .

— أما التأكيد على ميثاق حقوق الانسان ، كمصدر لهذه الحقوق ، فقد تم من خلال التراكم الكمى للأخبار التى تناولت ما تحقق من هذا الميثاق وما ينتظر تحقيقه وانشطة منظمة العفو الدولية ولجنة حقوق الانسان بالأمم المتحدة للدفاع عن هذه الحقوق وحمايتها .

— وفى اطار الحديث عن حقوق الانسان المصرى . جاء « ان ارجاع

الحقوق الأساسية فى حياتنا ، مثل حقوق الانسان والممارسة الديموقراطية بكافة صورها الى القانون والدستور انمــا هو تأكيد لمسار التصحيح الذى بدأ فى مايو ١٩٧١ »(١٣) .

ـ كما جاء « ومن الأهمية بمكان أن نذكر ان ثورة مايو المجيدة قــد حققت ممارسة فعلية لحقوق الانسان المصرى دون حاجة الى صياغتهــا أو اعــلان عنهــا »(١٤) .

ثانيا ـ انتهــاكات حقــوق الانســـان :

ـ أكدت الصحافة المصرية على مدخل رئيسى للحــديث عن انتهاكات حقوق الانسان هــو مدخل ابراز التناقض بين ما تعلنه مواثيــق حقــوق الانسان ، والممارسات الفعلية للحكومات ازاء هــذه الحقوق » .

ولا زالت حقوق الانسان تنتهك فى انحــاء كثيرة فى العالم ســواء على الصعيد الداخلى لكل بلد أو على الصعيد العالمى »(١٥) .

وبسبب اتساع الهوة بين الاعلان النظرى والممارسة الفعلية برزت حركة الدفاع عن حقوق الانسان فى العالم العربى»(١٦) .

ـ وقــد اتسم تنــاول الصحافة المصرية لانتهاكات حقوق الانسان فى الثمانينات بالطابع الخبرى الذى تمثل فى نشر الأخبار المتعلقة بادانات المنظمات الدولية ، ولجنة حقوق الانسان بالأمم المتحدة للممارسات اسرائيل فى الأرض المحتلة . وحكومة جنوب افريقيا العنصرية . والمعاملة السيئة للمسجونين فى سوريا وايران مــع نشر تقارير منظمة العفو الدولية حــول حقــوق الانســـان .

ـ وترى الصــحافة المصرية أن أهم قضــيتين تتعلقــان بانتهــاك الانســـان همــا :

* ممارسات اسرائيل فى الأرض المحتلة .
* التفرقة العنصرية فى جنــوب افريقيا .

ــ وتفسر هــذا بوجود ارتباط وثيــق بين الدولتين اذ . . « قامت كلتاهما على أساس عنصرى بغيض »(١٧) .

ــ وترى الصحافة المصرية ــ أيضا ــ أن المــأساة ليست فى انتهاك حقوق الانسان فحسب ، وانما فى السكوت عليها ، والصمت ازاءها خاصة من الدول التى تتشدق بالدفاع عن هذه الحقوق بينما تنتهك هذه الحقوق على أراضيها . « اذا كان الغرب يشعر بالقلق بسبب انتهاك حقوق الانسان فى الاتحــاد السوفيتى ، فان العكس صحيح أيضا ، فالاتحــاد السوفيتى كذلك يشعر بالقلق على انتهاك حقوق الانسان فى الغرب »(١٨) .

وتنفرد الصحافة « الحزبية » بتوجيه الادانة للموقف المتخاذل للولايات المتحدة الأمريكية والأمم المتحدة ازاء اسرائيل لانتهاكها حقوق الانسان فى الأرض العربية المحتلة فتشير صحيفة الشعب الى أن « الجمعية العــامة لا تدين اسرائيل الا خلال أسبوع حقوق الانسان بالذات . وتوافق على القرار ١١٥ دولة الا أمريكا الصديقة العزيزة لاسرائيل ، فتعارض قرار الجمعية العــامة رغم أنه لا يعــدو أن يكون مجرد صرخة ضــد وحشية اسرائيل ، حتى الصرخة مرفوضة من جانب أمريكا شريك السلام فى معسكر كامب ديفيــد »(١٩) .

ثالثا ــ أســباب أزمة حقــوق الانســان :

تغزو الصحافة المصرية أسباب أزمة حقوق الانسان الى العــوامل التاليــــة(٢٠) .

١ ــ حساسية الحكومات العربية ازاء مجرد الكلام فى موضوع حقوق الانسان بالاضافة الى المواطن العربى ، الذى يعيش حالة اللامبالاة الشديدة ازاء القضايا العامة بما فى ذلك قضية « الحقوق الانسانية » .

٢ ــ تنحصر حركة حقوق الانسان فى اطار الصفوة السياسية المثقفة المحــدودة الصلة بالجمهور الأوسع من المواطنين .

٣ــ تضم حركة الدفاع عن حقوق الانســان عــددا محــدودا من

العناصر النشيطة المحسوبة على الأنظمة والحكومات القائمة ، وللشعوب العربية تجربة مريرة في هذا الشأن حيث كثيرا ما تحول المدافعون عن الديموقراطية من موقع المعارضة الى ممارسين للقمع من موقع السلطة .

٤ ـــ هناك اختلال في تناول الحركة للجوانب المختلفة لقضية حقوق الانسان ، اذ أن التركيز ينصب على مواجهة القمع السياسي » .

ـــ وتضيف صحيفة الوفد لهذه العوامل « أن الأنظمة السياسية هي وحدها التي تحدد مدى هذه الحقوق التي تتمتع بها شعوبها . وفي سبيل ذلك تقوم هذه النظم باحتكار الرأي والسيطرة على وسائل الاعلام في بلادها »(٢١) .

رابعا ـــ أساليب تطبيق مواثيق حقوق الانسان :

ـــ ركزت الصحافة ـــ في الثمانينات ـــ على الوسائل التالية(٢٢) :

١ ـــ مبادرة الشعوب بالحركة للدفاع عن هذه الحقوق .

٢ ـــ غرس الاقتناع اللازم لدى الأفراد والحكومات وتنشئة الأطفال على احترام حقوق الانسان .

٣ ـــ تحول القرارات الدولية الى مواقف . للدفاع عن حقوق الانسان المهدورة .

٤ ـــ حفز الرأي العام للدفاع عن حقوق الانسان ، وشعور الحكومات بأن هناك رأيا عاما يراقب ويلاحظ ، وكذلك شعور المواطنين بأن لهم حقوقا أساسية من حقهم ممارستها » .

٥ ـــ أجهزة شعبية وقضائية للاشراف على التطبيق والفصل في الشكاوى .

ـــ ويواكب هذه الوسائل التأكيد على عدم كفاية تقارير ادانة انتهاكات حقوق الانسان ، ومواثيق الدفاع عن هذه الحقوق ، بل لابد أن يساند كل ذلك تيار شعبي بأهمية حقوق الانسان .

ـــ أما المعالجات الاعلامية من الناحية الاعلامية فقـــد اتسم تنـــاول الصحافة المصرية لقضية حقوق الانسان فى الثمانينات بالخصائص التالية :

أولا ـــ التنـــاول الخـــبرى :

يلاحظ أن اغلب المـــادة التى تناولت حقوق الانسان كانت أخبـــارا واردة من وكالات الأنباء ، حـــول تقارير المنظمات الدولية المعنية بحقوق الانسان . أو أخبار محلية حـــول احتفالات الهيئات المختلفة فى مصر باليوم العالمى لحقوق الانسان (١٠ ديسمبر من كل عام) وفى الأغلب كانت تتضمن اقتباسات من بيان وزارة الخارجية المصرية بهـــذه المناسبة ، التى تتركز ـــ غالبا ـــ حول ازدهار حقوق الانسان فى مصر(٢٣) .

ـــ وفيما يتعلق بمواد الرأى ، فقد اتسمت بالقلة قياسا الى الأخبار ، وكان أغلبها مقالات موقعة ، خاصة لكتاب مثل د. مفيد شهاب و د. زكريا عزمى أو كتاب الأعمـــدة أو كتابات الباحثين فى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الأهرام »(٢٤) .

ولم تتناول الصحف المصرية قضية حقوق الانسان فى افتتاحياتها سوى من خلال تكرار المقولات النمطية ، وهى أن حقوق الانسان فى مصر تحظى بالاهتمام فى مقابل انتهاك هذه الحقوق فى الدول العربية(٢٥) .

ثانيا ـــ التنـــاول الرســـمى :

ـــ ويقصـــد بالموسمية ، تكثيف التناول ، قبيل وأثناء وبعد الاحتفال باليوم العالمى لحقوق الانسان بفترة قليلة ، ثم يفتر التناول ، ليأتى على فترات متباعدة بصورة خبرية ، ليتكثف مرة اخرى فى شهر ديسمبر من كل عـــام .

ـــ كذلك فان « الموسمية » تعنى ارتباط التناول بمناسبات عقـــد الندوات والمؤتمرات الخاصة بقضية حقوق الانسان .

ثالثا ــ التنـــاول الرســـمى :

ويقصـــد بهالاقتصار على ما يلى :

(أ) تقارير المنظمات الرسمية ، وتصريحات المسئولين حول قضية حقوق الانسان ، خاصة بيانات وزارة الخارجية فى الاحتفال السنوى باليوم العالمى لحقوق الانسان .

(ب) توجهات القيادة السياسية ، وقـــد تأكد هـــذا فى تناول الصحافة لقضية حقوق الانسان المصرى ، اذ ارتبط ذلك بدعوة الرئيس السابق أنور السادات لصياغة ميثاق لحقوق الانسان المصرى حيث اندفعت الصحافة تقـــدم اقتراحاتها بشأن هذا الميثاق(٢٦) ولم يكن هـــذا الارتباط زمنيا فحسب ، وانما استنتجت الباحثة من مضمون المـــادة ذاتها ، فقـــد جاء مثلا .. « هنك عدة معان لهـــا أهميتها الحيوية فى هـــذه المرحلة التى نمر بهـــا . أبرزتها كلمة الرئيس أنور السادات فى الحوار السياسى مـــع قيادات الحزب الوطنى بالاسماعيلية والتى قال فيها ان حقوق الانسان المصرى سوف تستمد من الشريعة ومن تراب مصر »(٧٢) .

« لقـــد قال الرئيس بكل وضوح وجلاء : ان حقوق الانسان المصرى سوف تستمد من الشريعة ومن تراب مصر ، وهكذا تتحـــد الضوابط وتنسق المواقف فى تنـــاول القضـــايا » .

رابعا ــ التناول السطحى والجزئى :

ــ يلاحظ أن المـــادة المنشورة فى الصحافة المصرية عن حقوق الانسان لم تحاول الاقتراب من جـــوهر هـــذه القضية وجـــذورها ، وبدا التناول جزئيا وكأنما القضية، سياسية ، بحتة تتعلق بانتهاكات حقـــوق الانسان فى الدول العربية ، ودول أمريكا اللاتينية ... الخ . لذلك افتقـــد التناول الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للقضية فيما يتعلق بحق العمـــل وحقوق الأسرة ، وحقوق الوصول الى المعلومات والتبادل الثقافى الحر .

ــ ولم يتحقق التناول الأشمل للقضية سوى فى ثلاث مقالات ربـــط

الأولان بين الحق فى الديموقراطية ، والحق فى لقمة العيش(٢٨) « فواجب الدولة فى توفير لقمة العيش لا يعطى النظام أو الحاكم حق اهـــدار انسانية الانسان كقيمة اساسية فى حـــد ذاتهـــا » .. « فالهـــدف اذن أن تكون الديموقراطية حيـــاة حقيقيـــة لكل الجماهير بتعـــدد قـــواها الاجتماعيـــة والسياسية وليست مائدة منصوبة للمثقفين وحـــدهم »(٢٩) .

بينما نظر المقال الثالث الى الاهتمام بحقوق الانسان كارهاص للتقدم الحثيث على طريقاغناء الثقافة القومية »(٣٠) وكان منطلق المقال توصيف لأهم مظاهر الأزمة الثقافية فى العالم العربى وهـــو « التبعية الثقافية ، والعجز عن التكيف مع الظروف المـــادية الراهنة » .

ـــ ثم انتقل الكاتب الى الحـــديث عن أول مؤتمر علمى حول « ميثاق حقوق الانسان والشعوب الأفريقية » ممـــا يكشف عن « تعاظم الوعى لدى النخبة المثقفة بأهمية الدفاع عن فكرة وضمانات حقوق الانسان » .

ـــ واعتبر الكاتب أن المزيد من هـــذه المؤتمرات والحلقات الدراسية وهو احـــدى الوسائل الهامة للبحث الجماعى عن مخرج حقيقى وذى منطق نقـــدى لأزمة الثقافة العربية » .

ـــ هـــذا وتتضح « جزئية التناول » فى تركيز الصـــــحافة المصرية القومية على الجوانب المشرقة فى تقارير المنظمات الدولية ، خاصة منظمة العفـــو الدولية ، بشأن حقوق الانسان فى مصر ، فى مقابل اغفال الجوانب السلبية التى تظهر فى أصول هـــذه التقارير ، مـــع تضـــــخيم ما يتعلق بانتهاكات حقوق الانسان فى باقى الدول العربية .

ـــ وقـــد رصـــدت « الأهالى »(٣٥) هـــذه الظاهرة ـــ حيث قالت ان الصحف الحكومية هاجمت الأهالى لأنها نشرت تقريرا وافيا عن انتهاكات حقوق الانسان فى مصر ، عن منظمة العفو الدولية .

« فقـــد لجأت الصحف الحكومية لاختيار جزء واحـــد من الحقيقة التى احتوى عليها تقرير المنظمة الشامل لتستخدمه فى اذكاء خصومتها مـــع أعـــداء كامب ديفيد وتجاهلت الجزء الخاص بمصر » .

المؤتمــرات العــامة :

من خلال الرصــد السابق يمكن استخلاص المؤشرات التالية :

أولا : قصور نظرة الصحافة المصرية الى قضية حقوق الانســـان ويتمثل ذلك فى افتقارها الى روح المبادرة فى عرض القضية واثارة النقاش حولها ، اذ اقتصر تناولها لقضية حقوق الانسان على المناسبة الموسمية الرســمية .

ثانيا : غياب التنوع فى منطلقات معالجة قضية حقــوق الانسان فى الصحافة المصرية ، حيث تكاد هــذه المنطلقات تتركز حــول بعــد وحيد هــو استمرار اهــدار هــذه الحقوق رغم تأكيد المواثيق الرسمية على أهمية احترامها .

ثالثا : استخدمت الصحافة القومية هــذه القضية الهامة ، كمدخــل لتوظيف الدين لخــدمة توجهات صانع القرار . بتكريس مقولة « الشريعة الاسلامية مصــدر أساسى لحقوق الانسان » ؛ ورغم عــدم الشــك فى مصداقية المقولة ، الا أنها لم تظهر فى الصحافة القومية الا عندما أطلقهــا صانع القرار فى احــدى اجتماعات الحزب الوطنى بتاريخ ٢٣ أبريل عام ١٩٧٩ .. ممــا يؤكد تبعية الصحافة للقيادة السياسية بصورة تــكاد تكون مطلقــة .

أهم مراجـــع الدراســـة

مصـــادر أوليـــة :

١ ــ الصحف المصرية القومية (الأهرام ــ الأخبار ــ الجمهورية) .

٢ ــ الصحف الحزبية (الأهالى ــ الشعب ــ الوفـــد) الأعـــداد الصادرة خـــلال فترة الثمانينات .

الدراسات والمقالات والكتب العربية :

١ ــ أحمد عبد الله : حقوق الانسان فى النظرية والتطبيق ــ مجلة العرب ــ لنـــدن ــ نوفمبر ١٩٨٣ .

٢ ــ خالد الناصر : أزمة الديموقراطية فى الوطن العربى ــ مجلة المستقبل العربى ــ العـــدد ٥٥ ــ سبتمبر ١٩٨٣ .

٣ ــ مجموعة من المفكرين العرب : التجـــارب الديموقراطية فى الوطن العربى ــ منتدى الفكر والحـــوار ــ دار الحـــداثه ــ المغرب ــ ١٩٨١ .

٤ ــ عـــواطف عبد الرحمن : حـــق الاتصال واشكالية الديموقراطية فى الوطن العربى ــ ورقة مقـــدمة لمؤتمر المحامين العرب ــ تونس ــ ١٩٨٤ .

٥ ــ بعض المفكرين العرب : الديموقراطية وحقـــوق الانسان فى الوطن العربى (ندوة) ــ دار المستقبل العربى ــ القاهرة ــ ١٩٨٤ .

٦ ــ برهان غليون : ما وراء الديموقراطية والاستبداد ــ ملف المستقبلات العربية البديلة ــ العـــدد الثامن ــ منتدى العالم الثالث ــ القاهرة ١٩٨٦ .

٧ ــ عـــواطف عبد الرحمن : دراسات فى الصحافة المصرية والعربية ــ الجزء الأول ــ دار العربى ــ القاهرة ــ ١٩٨١ .

هـوامش الدراسـة الأولى

الاعلام العربى وحقوق الانسان فى الثمانينات

١ – محمد عمارة : الاسلام والسلطة الدينية ص ١٦ نقلا عن خالـد الناصر (ازمة الديمقراطية فى الوطـن العربى) المستقبل العـربى – العـدد ٥٥/ سـبتمبر ١٩٨٢ ص ٨٠ – ٨٢ ٠

٢ – احمد عبد الله : حقـوق الانسا ن فى النظرية والتطبيق – مجلة العربى – لنـدن – ١٩٨٣/١١/٢١ ٠

٣ – لطفى الخولى : اشكالية العـلاقة بين الثقافة والاعلام فى الوطن العربى – الطليعة القاهرية – فبراير ١٩٨٦ – ص ٦٢ – ٦٤ ٠

٤ – خالد الناصر : ازمة الديمقراطية فى الوطن العربى ، الطاهر لبيب : الديمقراطية وحقوق الانسان فى الوطن العربى (ندوة) فى الديمقراطية وحقوق الانسان فى الوطن العربى – دار المستقبل العربى – القاهرة ١٩٨٤ ٠ ص ٥٠ – ٥٣ ، ص ٣١٧ ، ٣٢٢ ٠

٥ – احمد عبد الله : مصـدر سـابق ٠

٦ – برهان عكيون : ماوراء الديمقراطية والاستبداد – ملف المستقبلات العربيـة البديلة – العـدد الثامن – منتدى العالم الثالث ، القاهرة ، احمد عبد الله : حقوق الانسان العربى – مجلة العربى – لنـدن – ١٩٨٤/٩/٢٥ ٠

٧ – عـواطف عبد الرحمن : الصحافة العربية من الاستقلال الى التبعية – مجلة شئون عربية – العـدد ٣٤ – تونس – ١٩٨٣ ٠

٨ – عواطف عبد الرحمن : قضايا التبعية الاعلامية والثقافية فى العـالم الثالث – سلسلة عالم المعرفة – الكويت – ١٩٨٤ – ص ١٣٢ ٠

٩ – عواطف عبد الرحمن : المصـدر السابق ٠

١٠ – عواطف عبد الرحمن : الصحافة المصرية والعربية – العربى – القاهرة – ١٩٨١ – ص ١٣١ – ١٤٧ ٠

١١ – الأهرام : ١١/٩ ، ١٩٨٤/١١/١٦ ، الأخبار ١٩٨٢/٣/٢٤ – ١٩٨٣/١٢/٩ الجمهورية ١٩٨٤/١٢/٨ ٠

١٢ ـ الأهرام : ١٩٨٤/١١/١٦ ، مايو : ١٩٨٤/١٢/٢٤ ، الجمهورية ١٩٨٤/١٢/٢٦ ٠

١٣ ـ الأهرام : ١٩٧٩/٤/٢ ، الأخبار : ١٩٨٠/٣/٢٠ ٠

١٤ ـ الأهرام : ١٩٧٩/٤/٢٨ ، الجمهورية : ١٩٧٩/٣/٢٧ ٠

١٥ ـ الأهرام : ١٩٨٥/١٢/٦ ٠

١٦ ـ الأهرام : ١٩٨٥/٦/٧ ـ الأهرام الاقتصادى : ١٩٨٥/١٢/٩ ٠

١٧ ـ الأهرام : ١٩٨٥/١٢/٧ ـ وكذلك رأى الأهرام : ١٩٨٥/١٢/١٠ ٠

١٨ ـ الأهرام : ١٩٧٤/٧/١٧ ـ عن الهيرالد تريبيون ٠

١٩ ـ الشعب : ١٩٨٤/١٢/٢٥ ٠

٢٠ ـ الأهرام : ١٩٨٥/٦/٧ ٠ الجمهورية : ١٩٨٦/١/١٢ ٠ المساء : ١٩٨٥/١٢/٦ ٠

٢١ ـ الوفد : عدد ١٩٨٥/١٢/١٢ ٠

٢٢ ـ الأهرام : ١٩٨٤/١/٢١ ، ١٩٨٥/١/٢ ـ الأخبار : ١٩٨٤/١٢/١٧ ـ الأهرام الاقتصادى : ١٩٨٥/١٢/٩ ـ الأخبار : ١٩٧٩/٤/٢٨ ٠

٢٣ ـ الجمهورية : ١٩٨٥/١٢/١١ ـ الأهرام : ١٩٨٤/١٢/١١ ٠

٢٤ ـ الأخبار : ١٩٧٩/٤/٢٧ ـ الأهرام : ١٩٨٥/٦/٧ ٠

٢٥ ـ الأهرام : ١٩٧٩/٤/٢٥ ، ١٩٨٥/١٢/١٠ ٠

٢٦ ـ الأهرام : ١٩٧٩/٤/٢٥ ـ الأخبار : ٤/٢٦ ، ١٩٧٩/٤/٢٨ ٠

٢٧ ـ الأهرام : ١٩٧٩/٤/٢٧ ٠

٢٨ ـ الأهرام : ١٩٨٥/٥/١ ـ لطفى الخولى ـ الديمقراطية قضية قومية أيضا ٠

٢٩ ـ الأهرام : ١٩٨٤/١٠/٢٢ ـ صندوق الدنيا ٠

٣٠ ـ الأهرام : ١٩٨٤/٥/١١ ـ د٠ محمد السيد سعيد ـ الفكر المصرى وحقوق الانسان الأفريقى ٠

هامش : اطلعت الباحثة على أحد هذه التقارير حول « أحدث تطورات حقوق الانسان فى مصر » ويتضمن المطالبة بالغاء بعض القوانين المقيدة للحريات ، والتحقيق فى الادعاءات المتعلقة بأدوار التعذيب فى السجون المصرية منذ أكتوبر ١٩٨١ ، التقرير مرفق بأرشيف « حقوق الانسان » بجريدة الأهرام ٠

٣١ ـ الأهالى : ١٩٨٣/١١/٢٣ ٠

الحـــق فى الاتصال وأشـــكالية الديمقراطية

فى الوطن العربى

الحـق فى الاتصال واشـكالية الديمقراطية
فى الوطن العربى

لقـد شـهد القرن العشرون العـديد من التغيرات النوعية فى وظائف الاعلام والاتصال فى المجتمعات المعاصرة .

وقـد ساعدت هـذه التغيرات على ابراز حـدة التناقض بين التأثير الضخم لوسائل الاعلام والاتصال من ناحية وبين النصوص الجامدة التى لا تتواكب مع هـذه التغيرات من ناحية أخرى . اذ بينما يقف الواقع الراهن فى مجالى الاعلام والاتصال على مشارف القرن الحادى والعشرين تنتمى النصوص والتشريعات التى تنظم هـذا المجال الحيوى الى القرن التاسع عشر . مما يستلزم اعادة النظر بصورة شاملة فى الاتصال كظـاهرة مجتمعية معاصرة وفى النصوص والتشريعات التى تتحكم فى هذه الظاهرة وتحـدد مساراتها وحركتها . وذلك سعيا لازالة التناقض بينهما وفتـح الطريق أمام مزيد من المشاركة الجماهيرية الواسعة فى مختلف العمليـات الاتصالية الفردية والجماعية .

واذا كان عصر الساحات العامة والمنابر عندما كان الاتصال مباشرا وبين الأشخاص قـد تمخض عن أبرز ثمار الحضارة الانسانية الحـديثة وهـو مفهوم حرية الرأى . فان ظهور الطباعة فى القرن الخامس عشر ثم نشأة الصحافة كأول وسيلة للاتصال الجماهيرى قـد أسفر عن نشوء مفهوم حرية التعبير كنتيجة طبيعية لذلك . وقـد شهد القرن التاسع عشر التطـور الهائل لمهنة الصحافة وتصاعد النضال من أجـل حريتها . ثم توالى ظهور وسائل الاتصال الجماهيرى الأخرى (الكهربائية والألكترونية) ، وهى السـينما والراديو والتليفزيون . ولقـد تفاعلت ظروف الصراع الاجتماعى والسياسى والحضارى طـوال القرن العشرين سواء داخـل المجتمعات أو بين الأنظمـة والحكومات وأدت فى النهـاية فى خـلال حربين

عالميتين وقيام الثورة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى وظهور حركة التحرر الوطنى فى العالم الثالث الى نشوء ما يعرف بالحرب الاعلامية التى استثمرت كافة أشكال الدعاية والاعلام لخدمة أهدافها . مما فرض ضرورة وجود تشريعا جديدا يتسم بالتحديد والشمول وهو (الحق فى استقاء الأنباء والأفكار وتلقيها واذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود بالقول أو الكتابة أو الطباعة أو الفن أو اى وسيلة أخرى يختارها المرء)(١) .

وتتقدم اليوم خطوة جديدة الى الأمام تتمثل فى الاعتراف بحق الانسان فى الاتصال وذلك انطلاقا من ادراكنا المتزايد لأهمية بل وضرورة النضال من أجل تحقيق مزيد من الديموقراطية والحرية فى مجال الاتصال اسوة بالمجالات الأخرى . خصوصا وكما سيتضح لنا فيما بعد أن هذا الحق اى الحق فى الاتصال لا يقتصر فحسب على ضمان الحريات التى سبق أن نصت عليها المواثيق الدولية بل يضيف اليها بالنسبة للأفراد والمجتمعات مفاهيم الانتفاع بالاعلام والمشاركة فيه وتدفق المعلومات فى اتجاهين مما يضفى بعدا نوعيا جديدا على الحرية التى حققتها الأجيال السابقة ويساعد على استشراف آفاق جديدة للديموقراطية .

ويرى البعض أن الحق فى الاتصال يشكل أبرز مقومات الجيل الثالث من الحقوق وهى تشمل على سبيل المثال الحق فى التنميه ـــ الحق فى المعرفة والحق فى التصويب والحق فى المطالبة برفع الظلم فى حالة رفض الاتصال أو التصويب والحق فى الحياة الخاصة . والمعروف أن المبادىء التى أعلنتها كل من الثورة الأمريكية (١٧٧٦) والثورة الفرنسية (١٧٨٩) قد صاغت الجيل الأول من حقوق الانسان وهى الحقوق المدنية والسياسية كما أن ثورة أكتوبر الاشتراكية (١٩١٧) قد أبرزت الحقوق الاقتصادية والاجتماعية التى عززتها ووسعت نطاقها حركات التحرر الوطنى فى العالم الثالث والتى تشكل منها الجيل الثانى من الحقوق .

ورغم أن مفهوم الحق فى الاتصال لم تتحدد بعد أبعاده النهائية اذ لا يزال فى مرحلة الدراسة بكل ما ينطوى عليه من مضامين ويتم اثراؤه تدريجيا من خلال الاجتهادات والاضافات التى يقدمها علماء الاتصال

والباحثون فى هـــذا المجال(٢) . غير أن هنالك عـــدة محاور تدور حـــولها المناقشات الخاصة بالحق فى الاتصال نوجزها على النحو التالى :

أولا : الأسباب التى أدت الى طرح هـــذه القضية فى الظروف الراهنة وذلك للاجابة على السؤال التالى :

لـــماذا نطالب بتطبيق الحـــق فى الاتصال ؟ ..

ثانيا : الاطار التطبيقى لمفهوم الحـــق فى الاتصال .

المحـــور الأول : الأســـباب :

تتلخص مجموعة الأسباب التى أدت الى تزايد الاهتمام بقضية الحـــق فى الاتصال واثارتها فىالمحافـــل الأكاديمية والمهنية فيما يلى :

١ ــ التطور التكنولوجى الملموس الذى حققته وسائل الاتصال فى السنوات الأخيرة ، والذى لم يقتصر على الجـــوانب الكميـــة أو الشكلية فحسب ، بل أصبح يمس مباشرة هياكل السلوك والأنشطة الانسانية فى مختلف مجالات الحياة الحـــديثة ، سواء فى أوقات العمل أو فترات الفراغ . ومن المعروف أن التطور التكنولوجى فى مجال الاتصال قـــد اضاف الى جانب أساليب الاتصال الشخصى قنوات جـــديدة للاتصال من خلال وسائل الاتصال الجماهيرى التى أتاحت مجالا واسعا للاختيار أمام الأفراد والجماعات معا . ولا يمكن النظر الى تلك التطورات الهائلة التى طرأت فى مجال الاتصال بمعزل عن سائر التحولات الكبرى فى الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية . كذلك لا يمكن اغفال التغيرات التى طرأت على الواقع الدولى وظهور حركة التحرر الوطنى فى العالم الثالث ومجموعة دول عـــدم الانحياز ، والمطالب العادلة التى تطرحها والتى تتمثل فى ضرورة اقرار نظام اقتصادى عالمى جـــديد ونظام اعلامى عالمى جـــديد .

٢ ــ عـــدم كفاية الأفكار والمفاهيم والنصوص التقليدية فى مجـــال الاتصـــــــال :

ومن المعروف أن الأحـــداث العالمية الراهنة قـــد تجاوزت المفـــاهيم

التقليدية التى استقرت فى مجالى الاعلام والاتصال مثل مفاهيم : حرية الرأى وحرية التعبير وحرية نشر المعرفة وتداولها ، كذلك أصبحت القواعد والتشريعات التى تنظمها متخلفة عن الثورة الاتصالية المعاصرة وعن التغيرات التى طرأت على النظام الدولى .

فالحقوق الاعلامية التى تنص عليها المادة ١٩ من الميثاق العالمى لحقوق الانسان (١٩٤٨) والمادتان ١٩ و ٢٠ من الاتفاقية الدولية للحقوق السياسية والمدنية (١٩٦٦) لم تعد هذه النصوص وحدها كافية لضمان ديمقراطية الاتصال فى ظل النظام الاعلامى العالمى الراهن الذى يتسم بالخلل وأوجه التفاوت الخطيرة سواء على المستويات القومية أو الدولية ، التى تتمثل فى الانسياب غير المتوازن للمعلومات مع الاتجاه الرأى الاحادى الجانب من أعلى الى أسفل ، ومن المراكز الى الأطراف ، ومن الحكومات الى الأفراد ، ومن الثقافة المسيطرة الى الثقافات التابعة ، ومن الدول الغنية تكنولوجيا فى الشمال الى الدول الأفقر فى الجنوب(٣) .

كذلك تتزايد حدة التناقض بين الأوضاع الاعلامية الراهنة على المستويات الوطنية والقومية وبين الاحتياجات الاجتماعية والثقافية المتنامية لدى الشرائح الاجتماعية المختلفة ، اذ رغم أن وسائل الاعلام والاتصال تؤدى وظائفها تحت شعار الخدمة العامة وتلبية احتياجات السواد الأعظم من الناس ، الا أن مفهوم الخدمة العامة يستلزم اعادة النظر فى مضمونه بالعمل على تحديد الفئات الاجتماعية التى تستفيد بالفعل من الخدمات الاعلامية التى تقوم بها الأجهزة الرسمية . وهناك سلسلة من الحقوق الفردية والجماعية لم يتم ارساؤها بعد ، كما لم يوضع لها الاطار التشريعى الذى ينظمها . وأبرز مثال فى مجال الاتصال حق التمثيل وحق المشاركة فى المستويات المختلفة للعمليات الاتصالية وحق الخصوصية وحق الاطلاع على سياسات الحكومات وأفعالها . ولذلك وفى ضوء الأوضاع الاعلامية الراهنة (قوميا وعالميا) تشتد الحاجة الى ارساء مفاهيم جديدة وسن تشريعات تمهد الطريق لاجراء تغيرات جذرية فى مجال الاعلام والاتصال ، وتشجع على تحقيق ديموقراطية الاتصال فعلا وليس قولا .

المحــور الثانى : ما هــو الحــق فى الاتصال ؟ :

علينا أن ندرك أن الحق فى الاتصال ليس مبدأ ثابتا أو جامدا يقتصر تطبيقه على نظام اجتماعى واقتصادى محــدد ، أو يشترط مستوى معين من التطور التكنولوجى . بل يجب الاقرار بضرورته كمبدأ عالمى وانسانى تتجاوز قيمته الظروف الانســانية والاختــلافات الحضــارية والاجتماعية والاقتصادية ، فهو يمثل الاستجابة الصحيحة المباشرة للاحتياجات الأساسية للبشر ورغباتهم الأصلية فى اكتشاف قــدراتهم الكامنة وتنميتها وتطويرها من خلال التواصل الخلاق ـــ ذى الأبعاد والمستويات المتعــددة . وذلك فى اطار من التنوع والثراء الانسانى . ويجمع الحــق فى الاتصال فى طياته العــديد من الحقوق الانسانية الأخرى مثل حــق العيش فى سلام ، والحــق فى التعليم والثقافة ، والحــق فى التنمية ، وحــق الحياة الخاصة ، والحــق فى الاعلام والمعرفة . كما أن الحق فى الاتصـــال يتضمن بعض المسئوليات والالتزامات مثل احترام حقوق الغير وسمعتهم وحماية الأمن القومى أو النظام العام والآداب العامة(٤) .

وقــد استطاع خبراء الاتصال المهتمون بدراسة هــذه القضــــية التوصل الى صيغة عامة تحــدد أبرز عناصر ومقومات الحــق فى الاتصال . وتتمثل المقومات الرئيسية لهــذا الحــق الانسانى الشامل على الحقــوق التالية دون أن تقتصر عليها :

(أ) حــق الاجتماع والحــق فى المناقشة والحــق فى المشاركة وما يتصل بذلك من حقوق تكوين الجمعيات .

(ب) الحــق فى الاستفسار والحــق فى الحصــول على معــلومات والحــق فى ابلاغ الآخرين بالمعومات والمتعلق بذلك من حقوق الاعــلام .

(جـ) الحــق فى الثقافة والحــق فى الاختيار والحــق فى الحيــــاة الخاصة وما يتصل بذلك من حقوق التنمية الانسانية(٥) .

المحــور الثالث : الاطار التطبيقى لمفهوم الحــق فى الاتصال :

ان الدعوة الى تحقيق ديموقراطية الاتصال تستلزم ضرورة توافر موارد الاتصال اللازمة للوفاء باحتياجات الاتصال البشرى ، كما تقتضى مراعاة المستويات المختلفة فى الاتصال التى تبدأ بالأفراد ثم المجموعات البشرية المختلفة فالمؤسسات والهيئات الاجتماعية الخاصة والعامة فالدولة ثم المجموعات الاقليمية وأخيرا المستوى الدولى . ورغم انه لا يوجــد اتفاق عام حــول المــاهية الفلسفية والقانونية لمفهوم الحــق فى الاتصال الا أن هناك عــدة تصورات للاطار التطبيقى لهــذا الحــق نوجزها على النحو التالى :

١ ـــ هناك رؤية تنظر الى الحــق فى الاتصال باعتباره اطارا فلسفيا يساند الاطار العصرى لحقوق الانسان .

٢ ـــ الرؤية الثانية ترى أن الاتصال يشكل جزءا رئيسيا من الحيــاة الانسانية ، ولذلك يصعب تجريده واعتباره مجرد فكرة فلسفية أو أحــد حقــوق الانسان فحسب .

٣ ـــ أما الرؤية الثالثة فهى ترى أن المناقشات الفلسفية العميقة من أجل تحــديد الموقع الفلسفى لمفهوم الحــق فى الاتصال غير مطلوبة الآن . ولذلك يجب أن تتوقف لأسباب عملية وسياسية . ويطالب أصحاب هــذه الرؤية بضرورة توجيه الجهــد الى العمل على ضمان قبول وتطبيق بعض الجوانب الأساسية التى تمثل المفاتيح الرئيسية للعملية الاتصالية مثــل الوصول الى مصادر المعلومات وضمان حــق المشاركة والانتفاع بوسائل الاعلام الحالية للسواد الأعظم من الناس(٦) . واذا كان الواقع الاعلامى والاتصالى الراهن يتعامل مــع جمهور المثقفين كمستهلكين وليسوا مشاركين أو محاورين ، لذلك فهم محرومون من ممارسة حقوقهم الاتصالية سواء فى التعبير أو التفاعل ، بل يخضعون لبعض صــور القهر والعنف الذى يتنافى مع جــوهر العملية الاتصالية كشكل من أشكال التواصل الانسانى . فلذلك لابد من تغيير النظرة التقليدية الى الاتصال باعتباره آحادى الاتجاه (مرسل ـــ مستقبل) ورأسى الاتجاه (أعلى ـــ أسفل) الى كونه عملية اجتماعيــة تتسم بالتفاعل والاتجاه الافقى ، وتعتمد على المشاركة الفعالة من خلال

التبادل المتوازن للمعلومات والتجارب والخبرات الانسانية . ولا شك أن الطابع الاجتماعى للعملية الاتصالية الذى يقوم على الحوار والتبادل والمشاركة ينزع الأهمية التكنولوجية لوسائل الاعلام ويتجاوزها ويؤكد أهمية الاتصال المباشر وأشكال الاتصال التقليدية .

واذا كان الحق فى الاتصال يمثل الوجه الاجتماعى للحرية بمعناها المتكامل فانه لابد أن توجد بعض الضوابط فى مجال تطبيقه مثل ضرورة توافر فرص متكافئة لجميع أفراد المجتمع للمشاركة فى العمليات الاتصالية الأساسية أخذا واعطاءا ، ويترتب على ذلك نتيجتان هامتان أولاهما تتعلق بضرورة الاهتمام بالحقوق الاتصالية للأقليات فى تطوير ثقافاتها ولغاتها من خلال وسائلها الاتصالية الخاصة بها ، وثانيتهما تؤكد أهمية الادراك بأن ديموقراطية الاتصال ليست مسألة فنية (تترك) فى أيدى المديرين والاعلاميين والباحثين وانما هى مسألة أشمل من ذلك ، وتستلزم مشاركة كاملة من جانب السواد الأعظم من الناس للاسهام فى صنع القرار الاعلامى والاتصالى على مختلف المستويات(٧) .

ولذلك نحن نؤكد على أن الممارسة الحقيقية والكاملة لديموقراطية الاتصال لا يمكن أن تتم فى اطار هياكل أوتوقراطية أو شمولية تلك الهياكل التى تستمد مشروعيتها من خلال الاجماع الاجتماعى الذى يتجسد فى نظام سياسى محدد ، فالعمليات الاتصالية لا يمكن أن تصبح ديموقراطية حقا ما لم يتم تحقيق الديموقراطية فى المجال الاجتماعى .

واذا كانت الأوضاع الاعلامية والاتصالية الراهنة تستمد مشروعيتها من كونها انعكاسا للأوضاع السياسية والاجتماعية التى تجسد الاجماع . فان الشرط الرئيسى للمشروعية (وهو الشرط الغائب) يتمثل فى ضرورة تمثيل الهياكل الاتصالية للقوى الاجتماعية الرئيسية داخل الأوطان والمجتمعات المحلية . فالنقابات المهنية والعمالية وتنظيمات الشباب والنساء وسائر الأحزاب السياسية جميعها لها الحق فى خلق وسائلها الاعلامية والاتصالية الملائمة لها . وليس من حق الأقلية ذات النفوذ السياسى والاقتصادى أن تحتكر العمليات الاتصالية والاعلامية لنفسها دون سواها .

أما الشرط الثانى الذى يحـــدد مشروعية وسائل الاتصال فهو يتمثل فى قـــدرتها على ممارسة الديموقراطية من خلال تعبيرها عن التنوع الثقافى والاجتماعى الذى تجسده حياة وأفكار وهموم وطموحات الشرائح الاجتماعية المختلفة . ورغم وضوح هـــذا المبدأ الديموقراطى الأساسى الا أن تطبيقه فى المجال الاعلامى والاتصالى تصادفه بعض العقبات التى تتعلق بطبيعة العمليات الاتصالية ذاتها . فالمعروف أن رجال الاعلام يملكون قـــدرات هائلة للتأثير على الرأى العام اكثر من أى فئة أخرى بما فيهم النواب وممثلى الشعب فى البرلمـــانات والمجالس الشعبية اذ يمكن استبعادهم وسحب الثقة منهم وعـــدم انتخابهم مرة أخرى . ولكن لا يمكن مقاطعة الصحفيين أو رجال الاعلام مهما بدر منهم من أخطاء أو تحيز او سوء نية وهنا تبرز مشكلة الاهتداء الى وسيلة موضوعية لقياس مدى قيام وسائل الاعلام بوظائفها الاجتماعية . والواقع أنه لا يمكن الارتكان الى عنصر الملكية لضمان تحقيق الديموقراطية فى مجال الاتصال أى لا يمكن ضمان أن الملكية العامة و الخاصة لوســـائل الاتصال هى الكفيلة بضمان تحقيق الديموقراطية فى هـــذا المجال .

على أية حال هناك ثلاثة أشكال لممارسة الديموقراطية الاتصاليـــة فى ظل انماط الملكية المختلفة نطرحها على النحو التالى :

١ ـــ فى ظـــل الملكية الخاصة يمكن أن يؤدى التدخل المحـــدود لجهاز الدولة لضمان نشر واذاعة أخبار الفئات الاجتماعية المختلفة الى ســـيادة الحـــد الأدنى من الديموقراطية فى مجال الاعلام .

٢ ـــ فى ظـــل ملكية الدولة لوسائل الاعلام يجب أن يكفل لجميـــع القـــوى الاجتماعية حـــق التعبير عن نفسها والمشاركة فى ادارة وســـائل الاعـــلام الحكوميـــة .

٣ ـــ فى ظـــل ما يسمى بالملكية الاجتماعية وهى ليست ملكية الدولة أو الملكية الخاصة يمكن أن تتحقق احـــدى الصور الحقيقية لديموقراطية الاتصال وهناك بعض التجارب التى يمكن الاستفادة منها فى هـــذا المجال مثل تجربة تليفزيون شيلى الذى ظلت ادارته حتى عـــام ١٩٧٣ فى أيدى الجامعات التى لم تقم بادارته كجهاز بيروقراطى أو كقطاع خاص يهـــدف

الى الربح بل كجهاز ثقافى اعلامى تربوى . وفى بيرو هناك تجربة للملكيــة الاجتماعية لوسائل الاعلام ١٩٦٨ ــ ١٩٧٤ كانت فى مجال الصحافة حيث كان يتم ادارتها بواسطة مجموعات منتخبة »(٨) . والواقع انه لا يوجــد نموذج عالمى قابل للتطبيق فى كل المجتمعات والأزمنة ولكنها تجارب تستحق الدراسة للتعليم من ايجابياتها . ومهما كان نمط الملكية الاعلامية فان القضية الجوهرية تكمن فى انتهاج الأساليب الديموقراطية وضمان مشاركة الجمهور فى صنع القرارات الاستراتيجية التى تؤثر على العمليات الاعلامية والاتصالية .

ويمكن القول بوجه عام أن الصيغة التطبيقية لمفهوم الحق فى الاتصال لابد أن تتضمن فى حــدهاالأدنى :

١ ــ توفير قنوات للمشاركة المنظمة من جانب الجماهير .

٢ ــ خلق معايير للمسئولية الاجتماعية يتم الاتفاق عليها فى اطــار ديموقراطى من جانب جميع القطاعات والفئات الاجتماعية وتتولى تحــديد الحقوق والمسئوليات فى مجال الاتصال .

٣ ــ حماية وتأكيد السلطة المهنية والاجتماعية لوسائل الاتصال فى مواجهة الضغوط الاقتصادية والبيروقراطية التى قــد تمارسها الحكومات والفئات المسيطرة اقتصاديا مثل المعلنين والشركات المتعددة الجنسية .

ديمقراطية الاتصال فى الوطن العربى :

لقــد طرحت مسألة الديموقراطية فى الوطن العربى منذ نهاية القرن التاسع عشر وبقيت مطروحة ولا زالت خــلال كل العقود التالية فى القرن العشرين . ولكن ديمقراطية الاتصال وما يرتبط بها من الحقوق الاعلامية والاتصالية للجماهير العربية لم تطرح الا فى السنوات القليلة المــاضية . وفى اطار المؤتمرات وحلقات البحث الأكاديمية .

والواقع أن الديموقراطية قــد طرحت على المستوى العربى من خلال منطق المفاضلة بين مفهومين للحياة السياسية فى المجتمع أولهما المفهــوم الليبرالى الذى تأثر به قطاع كبير من المثقفين العرب والمفهوم الآخر الذي

يرى أن من الضرورى قبل اعطاء الحريات للشعب مرور فترة من سيطرة حزب أو نخبة طلليعية تصهر الأمة فى بوتقة واحدة وتحقق التحرر السياسى الشامل وتقوى أسس الدولة المركزية . ويعتمد هذا المفهوم على فكرة المستبد العادل التى طورها تيار الاصلاح الدينى على يد جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وفكرة الحزب الطليعى الذى يقود الأمة والدولة . وقد ارتبط الصراع العربى من أجل الديموقراطية تاريخيا بالصراع ضد الاستعمار ولم يتوقف هذا الصراع عند حدود انتزاع الاستقلال الوطنى بل استمر فى المرحلة الثانية التى أعقبت الاستقلال حيث برزت قضية التنمية الاقتصادية والتصنيع والوحدة القومية الضرورية للتصدى للأجانب وظهرت اشكال جديدة للتطبيق الديموقراطى أكثر تلاؤما حسب راى دعاتها مع مقتضيات التنمية . كما أنها تجسد المفهوم الثانى للديموقراطية الذى يستبعد الأسلوب الليبرالى وأبرز مثال لهـا الأنظمة العسكرية والحزبية التى بدأت بثورة يوليو المصرية عام ١٩٥٢ . التى اعتمدت الطريق اللارأسمالى لبناء الدولة وتنميتها كما اعتمدت فيما بعد الوانا متفاوته من الاشتراكية الا أنها جميعا ضحت بأشكال الديموقراطية الغربية ومؤسساتها من أجل أشكال وصيغ ومؤسسات تكفل فى اعتقادها سيطرة الشعب من خلال أجهزة الدولة على موارد البلاد وتساعد على تحقيق تنمية سريعة اقتصادية واجتماعية غير أن بروز هذه الأشكال الجديدة للديموقراطية الاجتماعية على حساب الأشكال التقليدية للديموقراطية الغربية لم يقترن دائما فى معظم الأقطار العربية المتصدية لمسألة التنمية بتحقيق انجازات ملموسة بل عانت الجماهير العربية من غياب حرياتها الديموقراطية دون الحصول على حقوقها الاجتماعية والاقتصادية(٩) .

وعندما يأتى الحديث عن ديموقراطية الاتصال فى الوطن العربى فان ذلك يتطلب منا مواجهة الواقع العربى الراهن فى مجالى الاعلام والاتصال ومناقشة العلاقة الوثيقة بين النظم الاعلامية والأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة فى الوطن العربى وهنا لابد من أن تشير بايجاز الى العديد من العقبات التى عطلت تطور الديموقراطية بشتى صورها فى جميع الأقطار العربية بغض النظر عن شكل النظام السياسى السائد فى كل منهـا .

أول هـــذه العـــوائق :

الفـــوارق الاجتماعية الهائلة بين القـــلة التى تتحكم فى موارد الثروة والانتاج ووسائل التعبير السياسى والاعلامى والأوضاع الثقافية والتعليمية . وبين الكثرة من الجماهير العربية المحرومة كليا أو جزئيا من المشاركة فى الاستفادة بعـــوائد الثروات الطائلة . وبالتـــالى من المشـــاركة فى صـــنع القرارات السياسية المحلية أو القـــومية أو تشكيل صـــورتها الاعلامية فى الداخـــل أو الخـــارج .

ثانى هـــذه العـــوائق :

انتشار الأمية لدى الجماهير العربية بدرجة لا تتناسب مـــع التراث التاريخى والحضارى ولا الواقع الاقتصادى والاجتماعى الراهن والـــذى يتسم بوفرة الثروات المـــادية والبشرية . واذا كانت الديموقراطية فى أبرز مفاهيمها هى حكم الأغلبية فلا جـــدوى من اغلبية أمية محكوم عليهـــا بأن تصبح منقـــاده لأقليـــة متسلطة .

ثالث هـــذه العـــوائق :

أزمة النخبة المثقفة والمتعلمة فى العالم العربى فهى تتأرجح بين خطرين أولهما القهر السياسى والاجتماعى وثانيهما محاولات الاستيعاب والاحتواء من جانب الأنظمـــة العربية .

اما رابع هـــذه العـــوائق :

فهو يتلخص فى احتكار الحكومات العربية لوسائل الاعلام والاتصال فلا نجـــد فى شتى انحاء العالم العربى الا صحافة رسمية أو شبه رسمية وكذلك الاذاعات والتليفزيون جميعها فى خـــدمة السياسة الرسمية(١٠) .

خامس هـــذه العـــوائق :

طبيعة المواد الاعلامية التى تروجها وســـائل الاعلام العربية والتى يغلب عليها طابع التخلف والنظرة القطرية المحـــدودة ومصادرة الراى الآخر وعـــدم الاعتراف بوجوده فضلا عن غلبة النغمة العاطفية والابتعـــاد عن الأساليب العقلانية الواقعية .

اما سادس هــذه العــوائق :

فهو محصلة التفاعل بين العوامل الخمس السابقة مضافا اليها عاملى التبعية الثقافية والاعلامية للمعسكر الغربى (الأوروبى الأمريكى) والقمــع السلطون وسيطرة التيارات السلفية . وقــد ادى هــذا التفاعــل الى خلق الابداع الفكرى والحضــارى والى التأرجح بين خيار الأصــالة والحــداثة وبين موقف الاجترار وموقف التقليد دون المرور بموقف الخلق والابداع .

التراث الديموقراطي للصحافة العربية

لا شك أن من أبرز ملامح التراث الديموقراطي الحديث في الوطن العربي ذلك الدور البارز الذي قامت به الصحافة العربية أثناء مرحلة النضال الوطني . حيث نجحت في ارساء مجموعة من التقاليد الديموقراطية من خلال الممارسات العديدة التي قامت بها في مواجهة السلطات الاستعمارية والحكومات المتواطئة معها . وقد اختلف تماما ذلك الدور الذي تقوم به الصحافة العربية بعد الحصول على الاستقلال اذ التزمت معظم الصحف العربية بموقف حكوماتها . مما ساعد على بروز مشكلة جديدة لم تكن مطروحة بوضوح أثناء مرحلة التحرر الوطني وهي مشكلة علاقة الصحافة بالسلطة الوطنية والآثار السلبية الناتجة عن ذلك فيما يتعلق بقضية الديموقراطية . ورغم أنه لا يوجد اجماع بين النخبة السياسية والثقافية في الوطن العربي على تحديد دور ومسئوليات وسائل الاعلام . وفي مقدمتها الصحافة في مرحلة ما بعد الاستقلال . الا أن الممارسة العملية خلال ربع قرن قد طرحت موقفا موحدا في مختلف الأقطار العربية رغم اختلاف المضمون الاجتماعي والأيديولوجي ويتلخص هذا الموقف في استخدام وسائل الاعلام والاتصال العربية كأدوات في يد السلطة وذلك للقيام بدور الشرح والتفسير والتأييد لقرارات السلطة أكثر من كونها أداة لتوجيه النقد والاسهام في اعادة تشكيل العقل العربي بصورة بناءة وايجابية(١١) .

ويلاحظ بوجه عام ان الحكام العرب يعتبرون أي نقد موجه للحكومات على انه موجه للأمة كلها . ورغم أن الكثير من الدول العربية لم تنص في دساتيرها على تحريم قيام حزب أو أحزاب معارضة ولكن يختلف الأمر من الناحية الواقعية . اذ أن أي محاولة لتشكيل معارضة حقيقية سرعان ما يقضي عليها ولو باستخدام العنف ويمكن الاستشهاد بالعديد من الأمثلة . والواقع أن العالم العربي لم يشهد صحافة تمثل مختلف القوى السياسية والاجتماعية الا في الفترة التي سبقت الحصول على الاستقلال عندما حدث تحالف مقدس بين جميع فئات الشعب لمواجهة السلطات الاستعمارية . أما في الوقت الحالي فالدول العربية تشهد أشكالا متعددة للقيود التي تفرض على الحريات العامة دفاعا عن النظام العام وأمن الحكومات وهما من المفاهيم المطاطة التي تستخدم بمهارة لحرمان القوى الاجتماعية المختلفة وتنظيماتها

السياسية والثقافية من حرية التعبير والمشاركة فى تشكيل مصائر الوطن العربى(١٢) .

وتمارس الحكومات العربية رقابة مشددة على وسائل الاعلام وخصوصا الصحافة . وتتخذ الرقابة اشكالا متنوعة فقد تكون قاصرة فى بعض الأحيان على موضوعات معينة مثل الأمور الدينية أو المسائل الحساسة فى العلاقات الدولية والشخصيات الأجنبية البارزة ولكنها كثيرا ما تشمل الموضوعات التى تمس أمن وسلامة الحكومات العربية وغالبا ما تستند الرقابة على الصحف العربية الى السلطة التقديرية للحكومات وتتوافر لدى الدول العربية قوانين للرقابة تطبق أثناء فترات الطوارىء . ومن أبرز أنواع الرقابة التى تلجأ اليها الحكومات العربية الرقابة المسبقة حيث تقدم المادة الاعلامية للرقيب للموافقة عليها قبل نشرها أو اذاعتها . وهناك أيضا الرقابة بعد التوزيع (بالنسبة للصحف فقط) . حيث يتم مصادرة النسخ المعدة للتوزيع من هذه الصحف . ولكن أخطر أشكال الرقابة الشائعة اليوم فى وسائل الاعلام العربية هى الرقابة الذاتية التى يمارسها رؤساء التحرير والصحفيون والكتاب من تلقاء أنفسهم دون الحاجة الى رقيب رسمى(١٣) .

أما سيطرة الحكومات العربية على مصادر الأنباء المحلية فهى أشد ما تكون وضوحا فى ملكية الحكومات لوكالات الأنباء العربية .

الحقوق الاعلامية والاتصالية للجماهير العربية

تعد هذه القضية من أهم التحديات التى تواجه الحكومات العربية فى مجالى الاعلام والاتصال وذلك بسبب ارتباطها بصميم الاطار النظرى الذى يحدد ويحكم الممارسات الاعلامية فى الوطن العربى . وكما سبق أن ذكرنا أن النظرية العامة التى تحكم هذه الممارسات تدين بالتبعية شبه الكاملة للنظريات الغربية فى الاعلام مضافا اليها السمات الخاصة بالواقع السياسى والاجتماعى فى الوطن العربى (سيطرةالنظم الأوتوقراطية والفلسفات السلفية والنظرة الاستعلائية للجمهور بسبب انتشار الأمية والتخلف الاجتماعى) . فالاعلام العربى ينساب فى اتجاه راسى من الحكام الى المحكومين ويقوم بدور اساسى فى عمليات الضبط الاجتماعى وحماية الأوضاع السياسية والاجتماعية القائمة . ومن الواضح أن هذه النظرة تستند الى فلسفة لا تحترم عقلية الجماهير ولا تحرص على تلبية احتياجاتها الاعلامية والاتصالية . وفى ضوء هذه النظرة لا تلجأ الحكومات الى قياس أو استطلاع الرأى العام العربى الا فى حالات استثنائية وكى تستخدم نتائج هذه الاستطلاعات فى وضع مزيد من القيود والضوابط على حركة الجماهير . وليس بهدف العمل على النهوض بالوعى الجماهيرى او تلبية احتياجاتهم الاتصالية .

وفى ضوء ما سبق لابد من التنبيه الى ضرورة اعادة النظر فى الوظائف الاجتماعية للاعلام العربى فما لم يتحول هذا الاعلام من وظائفه التقليدية التى تهدف الى اقناع الجماهير وترويضها لصالح السياسات الفوقية والحكومية بحيث يصبح وسيلة للتواصل الاجتماعى على المستويين الرأسى والأفقى تنساب من خلالها المعلومات والأفكار فى اتجاهين من المصدر الى المتلقى ومن المتلقى الى المصدر بدلا من أن تنساب فى اتجاه واحد فقط من أعلى الى أسفل ومن الصفوة الى القاعدة . ما لم يتحقق ذلك فمن العسير انجاز اى نتائج ايجابية فى مجال التخطيط التنموى والديموقراطية السياسية أو الاجتماعية للاعلام . ومن الواضح أن الاعتراف بالحقوق الاعلامية والاتصالية للجماهير العربية والعمل على ارساء ضمانات تشريعية لممارستها يستلزم توفر شرطين أساسيين يتعلق أولهما بضرورة توفير وسائل الاتصال والمعلومات لجميع القوى الاجتماعية دون تمييز بسبب الجنس أو اللغة

أو الدين أو الانتماء السياسى . أما الشرط الثانى فهو يتعلق بتحقيق أكبر قدر من المشاركة الجماهيرية فى عمليات الاتصال والاعلام بحيث لا يقتصر دور الجماهير على التلقى والاستقبال السلبى للرسائل الاعلامية بل يمتد ليتحول الى المشاركة الايجابية وهنا يكمن الجوهر الحقيقى للبعـــد الديموقراطى للاعـــــلام .

فالمشاركة الجماهيرية فى العمليات الاتصالية والاعلامية تتضمن التفاعل المتبادل بين القائمين بالاتصال والمتلقين وبين هؤلاء وبين الوسائل الاعلامية ذاتها . كما تتضمن استجابة الوسائل الاعـــــلامية للاحتياجات الثقافيـــة والاعلامية للفئـــات الاجتماعية المختلفة .

وغنى عن القول أن تحقيق ديموقراطية الاتصال بمـــا سيترتب عليها من نتائج ايجابية فى المجالات التنموية تتمثل فى ضمان درجة عالية من المشاركة الجماهيرية وما يتضمنه ذلك من حماس واقتناع حقيقى بمشروعات التنمية وعملياتها كل ذلك سوف يساعد على تقليص سلطة الحكومات العربية فى الاحتكار الاعلامى والسيطرة على وسائل الاتصال الجماهيرى . كما سيؤدى الى عـــدم تركيز وسائل الاعلام فى العواصم والمدن العربية . كذلك سوف يساعد على عـــدم احتكار السلطة لصنع واتخاذ القرارات الاعلامية من جانب الفئات البيروقراطية من العاملين فى حقل الاعلام وسيؤدى الى توسيع دوائر المشاركة الجماهيرية فى أنشطة الاتصال سواء فى التخطيط لها أو تنفيــــذها .

فى ضوء هـــذه الأوضاع التى سبق ذكرها هـــل يحق لنـــا أن تأمل فى محاولة خلق أشكال ديموقراطية فى مجالى الاعلام والاتصال العربى دون أن نضع فى اعتبارنا تحقيق الديموقراطية بمعناها المجتمعى الشـــــامل . خصوصا وان اسهام الاتصال بمفرده فى تحقيق ذلك غير ممكن فعندما يغيب عن الأنظمة العربية ادراك أبسط الحقوق الانسانية والاجتماعية يصبح لا مفر من ادراك استحالة اجراء أى تغييرات حقيقية بشـــأن تحقيق ديموقراطية الاتصال بمعزل عن سائر المجالات الاجتماعية والسياسية التى تحول بأوضاعها الراهنـــة دون ذلك .

١ ـ أنظر المعهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الذى اعتمــدته الأمم المتحـدة فى ديسمبر ١٩٦٦ ٠

٢ ـ من أبرز رواد فكرة (الحـق فى الاتصال) جان دارس الذى أعـد عنـه الوثيقـة رقم ٣٦ ـ اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال ـ اليونسكو ، باريس ١٩٨٠ ، مال٠ س هارمز المحاضر بجامعة هاواى ـ هونولولو الولايات المتحدة ٠ ديزوند فيشر ـ اجتماعات خبراء اليونسكو لمناقشة الحـق فى الاتصال ، ستوكهلم ١٩٧٨ ، باريس ١٩٨٠ ٠

٣ ـ Editorial : The Rright to inform and to be informed. Development Dialogue, ILET, 1981, pp. 4-9.

٤ ـ انظر : Meeting of experts on the right to communicate. U.N.E.S.C.O., London. 1980.

٥ ـ انظر : اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال لجنـة ماكبايد ـ اليونسكو ـ باريس ـ ١٩٧٨ ـ ص ١٩٤ ـ ١٩٧ ٠

٦ ـ Juan Samovia : The democratisation of communication. Development Dialogue. ILET, 1987. pp. 13-16.

٧ ـ Ibid, pp. 18-20.

٨ ـ انظر :
The Meeting of experts on the right to Communication ffi Paris. U.N.E.S.C.O., 1980.

٩ ـ انظر : برهان غاليون : ما وراء الديمقراطية والاستبداد فى الوطن العربى فى : التجارب الديمقراطية فى الوطن العربى ، دار الحـداثة ـ المغرب ١٩٨١ ص ١٣٢ ـ ١٢٧ ـ عصـام نعمان : أى ديمقراطية للوطن العربى ، المصـدر السابق ، ص ١٠٨ ـ ١١١ ٠

١٠ ـ أنظر : كل من عـواطف عبد الرحمن : الرأى العـام العربى هـل يمكن استطلاعه

وقياسه ، مجلة الفكر العربى ، العـــدد الثـانى ، بيروت – فبراير ١٩٨٣ – ص ٢١ ٠ ،
عصام نعمان : مصـــدر سابق ، ص ١٠٩ ٠

١١ – أنظر : برهان غاليون : مرجـع سابق ص ١١٧ – ١٣٢ –
عصام نعمان ، مصـدر سابق ص ١٠٨ – ١١٢ ٠

١٢ – أنظر : عواطف عبد الرحمن ، الصحافة العربية من الاستقلال الى التبعية – مجلة شـئون عربية ، العـدد ٢٤ ، تونس – ١٩٨٣ ٠

١٣ – أنظر : عـواطف عبد الرحمن ، قضـــايا التبعية الاعلامية والثقافية فى العـــالم الثالث ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ص ١٣٢ ٠

أهم مراجع الدراسة

الدراسات والكتب العربية :

١ ــ مجموعة من المفكرين العرب : التجارب الديموقراطية فى الوطن العربى . منتدى الفكر والحوار ــ دار الحداثة ــ المغرب ١٩٨١ .

٢ ــ جيهان رشتى : نظم الاتصال والاعلام فى الدول النامية ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ١٩٧٢ .

٣ ــ خليل صابات : حق الاتصال ــ ورقة مقدمة الى الحلقة الثانية لبحوث الاعلام ــ المركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية ــ القاهرة ــ ١٩٨٣ .

٤ ــ سعد الدين ابراهيم : اتجاهات الرأى العام العربى نحو الهوية القومية ــ مجلة المستقبل العربى ــ العدد ١٣ ــ بيروت سنة ١٩٨٠ .

٥ ــ عواطف عبد الرحمن : قضايا التبعية الاعلامية والثقافية فى العالم الثالث ــ سلسلة عالم المعرفة ــ الكويت ــ ١٩٨٤ .

٦ ــ عواطف عبد الرحمن : اشكالية الاعلام والتنمية فى الوطن العربى ــ ورقة مقدمة الى مؤتمر الاحصاء والعلوم الاجتماعية ــ المركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية ــ القاهرة ــ ١٩٨٤ .

٧ ــ عواطف عبد الرحمن : الصحافة العربية من الاستقلال الى التبعية ــ مجلة شئون عربية ــ العدد ٢٤ ــ تونس ــ ١٩٨٣ .

٨ ــ عواطف عبد الرحمن : الرأى العام الغربى ــ هل يمكن استطلاعه وقياسه ــ مجلة الفكر العربى ــ العدد الرابع ــ بيروت ــ ١٩٨٣ .

٩ ــ لجنة ماكبرايد : التقرير النهائى للجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال ــ اليونسكو ــ باريس ــ ١٩٨٠ .

الرســائل الجامعيــة :

١٠ ــ ليلى عبد المجيد : السياسة الاعلامية فى مصر ١٩٦٠ ــ ١٩٧١ ــ رسالة دكتوراه ــ غير منشورة ــ كلية الاعلام ــ جامعة القاهرة ــ نوفمبر ١٩٨٢ .

المراجــع الأجنبيــة :

1 — Nodern Streng, K. and Schilier (ed) : Nantional Sovereignty and international Communication. Albe Publishing, Wor Wood, U. S. A. 1979.

2 — H. Schiller : Communication and Cultural domination. New York — White Plains — 1976.

3 — Dente. B-Fascell : International News, Freedom under attack, Sage — London, 1980.

4 — Jhan Somavia : The democratisation of Communications. Development Dialogue. LLET. 1981 - 2.

5 — Editlonial : The Right oto ingorm and to le informed. Development and Dialogue. LLET. 1981. 2.

6 — Awatef Abd El Rahman : Towards a now order of information and Communication An Af Asian Vision, A.A.P.S.O. Cairo — 1983.

7 ————, The Meeting of expert of the right tc Communication — Stockholm, May 1978.

8 — ————, The Meeting of experts on the right to Communication — Final Report. Paris — November 1980.

9 — L. S. Harms : An Emergent Communication Policy Science. Content Rights, Problems and Methods. Hawai Univ. U.S.A. 1979.



الرأى العام العربى هـل يمكن استطلاعه وقياسه ؟

من الواضح أن الرأى العام ليس مجرد موضوع يتسم بأهمية نظرية أو عامة ففى معظم دول العالم الثالث يغفل أمر الرأى العام بشكل ملحوظ حيث تسهم وسائل الاعلام سواء المقروءة أو المسموعة والمرئية فى ذلك بدور رئيسى وتبرز أمامنا الحقيقة واضحة اذا أدركنا انه أصبح مستحيلا بالنسبة للانسان المعاصر ان يحدد وجهة نظره أو موقفه أو التزامه ازاء مشاكل وقضايا العصر بدون الاستعانة بالمعلومات التى لا توفرها الا وسائل الاعلام . ولذلك اصبحت عمليات تنظيم المعلومات ومناهج الاعلام وما ينشأ عنها من دعاية وحرب نفسية فى ظروف العالم المعاصر قضـية سياسية واجتماعية وعلمية بالغـة الخطورة لا تؤثر فقط فى صياغة وجهات نظر الناس وفى العلاقة بين الطبقات والقوى الاجتماعية ولكنها تؤثر أيضا فى العلاقات بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة . فاذا كانت الدول الاشتراكية تملك وسائل الاتصال عن طريق مؤسساتها الاشتراكية والدول الرأسمالية تمـلك هى الأخرى وسائل الاعلام عن طريق مؤسساتها الاحتكارية أما دول العالم الثالث فهى خليط بين هـذا واذك وان كان يغلب على معظم أنظمتها الاعلامية تبعيتها للحكومات وللنسق الغربى بوجه عام فان الخلاف الأساسى بين هذه النظم الاعلامية المتعارضة يكمن فى ثلاثة مسائل أساسية هى المنهج والمضمون والهـدف . فهى قـد تلتزم بالمنهج العلمى المستند الى فهم ودراسة الواقع المـادى والاجتماعى فى اطاره التاريخى الصحيح أو تستند الى منطق شكلى أو آلى يهتم بمواجهة الحقائق المـادية قـدر اهتمامه بالمواجهـة المجردة للأفكار والمظاهر الخارجية للأحـداث . ويتحـدد مضمون المواد الاعلامية التى تنقلها وسائل الاعلام الى جماهيرها طبقا للمنهج الذى تلتزم به فهى أما ان تكون أدوات وأجهزة لتثقيف الجماهير وتوعيتها بحقائق العصر الذى تعيش فيه والمجتمع الذى يرتبط مصيرها به ولتعليمها شتى أنواع المعرفة ولتزويدها بمختلف أنواع الانتاج الفنى والأدبى الذى يبعث الامل ويكون

حافزا للانتاج والحركة وأما نصبح وســائل الاعــلام سبيلا لنشر الثقــافة المدمرة التى تهــدف الى محاصرة الجماهير فى متــــاهات الجنس والعنف والغرائز بالدائية وتجردها من مقــدره اللجــوء الى العقل والمنطق ممــا ييسر قيادها والتحكم فى مصيرها مثلما حــدث للجماهير الالمــانية والايطالية فى ظل النظامين النازى والفاشى أثناء الحرب العالمية الثانية .

ولا شك أن الدور الذى تقوم به وسائل الاتصال سواء كان ايجابيــا لخــدمة الجماهير بتوفير الوعى العلمى لهــا كى تتمكن من المشاركة فى تشكيل مصيرها أو كان سلبيا بتضليل الجماهير لحساب فئة معينة تريد السيطرة عليها لاستغلالها . فان الأمر كله يتوقف على من يملك وســائل الاتصال ولمصلحة من تعمل هــذه الوسائل هــل تخــدم مصلحة الجموع الحاشده من الناس فى تزويدهم بالانتاج الثقافى الجاد والمعلومات المعاصرة أم تخــدم مصالح فئة اجتماعية معينه على حساب الآخرين ... ؟

ولا شك ان النظرة المتعمقة لتجارب العالم الثالث تكشف لنــا حقيقة الدور الذى تقوم به وسائل الاعلام فى تشكيل اتجاهات الرأى العــام اذ تتحمــل وســائل الاعــلام فى هــذه الدول مسئولية أخلاقية وسياسية فى الحرص على القيام بواجباتها ومهامها التاريخية التى تتمثل فى تزويد الجماهير بشتى أنواع المعرفة الجادة والايجابية بل ولا يمكن اغفال دورهما فى خداع وتضليل الرأى العام فى هذه الدول لصالح نظم الحكم الاستبدادية مما اسفر عن تفشى السلبية واللامبالاة بين الجماهير الشعبية التى قــد يؤدى عــدم نضجها أو عــدم اكتراثها بالقضايا الاجتماعية والسياسية الهامة وعــدم كفاءتها السياسية الى مزيد من اليأس والخضوع الكامل لحكم القلة المتسلطة ومن المؤكد أن الرأى الضمنى لا يصبح قــوة اجتماعية الا عندما يدرك عــدد كبير من الأفراد الذين تتفق آراؤهم نظرتهم المشتركة الى الأمور ويعمدون الى تعزيز مصالحهم . واذا كان مضمون الرأى العام يعكس التعــــارض الموضوعى للمصالح بين الطبقات الحاكمة والطبقات المحكومة فى أغلبية دول العالم الثالث التى لا تزال نظمها الاقتصادية تابعة للرأسمالية العالمية ؛ فان الرأى العام فى الدول التى تحاول ان تتبع النهج الاشتراكى لا يزال محتفظا بطابعه الطبقى . ولكن يجب أن يوضع فى الاعتبار أن مجتمعات العالم الثالث تزخر بمشكلات وظواهر لها أساس أوسع كثيرا من المصالح الطبقية وهى

متشابها بين مختلف فئات السكان الذين ينتمون الى طبقات مختلفة ويتخذون بصفة خاصة المشكلات التى تسمى عادة مشكلات قومية والتى تشكل وعيا مواقفا مختلفة من القضـــايا الأخرى .

مثال الرأى العام العربى لقـــد أسهمت العوامل المشتركة العـــديدة بين شعوب المنطقة العربية فى تكوين أسس صلبة للرأى العام على نطاق العالم العربى بأكمله . فقـــد تعرضت شعوب المنطقة لسلسلة من الأحداث المشتركة بدأت منذ خضوعها للسيطرة الأوربية واقتطـــاع جزء منها ومنحـــه للحركة الصهيونية وصراعها ضـــد الاستعمار الأوربى والصهيونية . وقـــد أدى تراكم هـــذه الأحـــداث المشتركة الى تشكيل اطـــــار نفسى وذهنى مشترك وقادر على افراز استجابات مشتركة ازاء الأحـــداث التى تعترض مسيرة شـــعوب العـــالم العربى .

ويمكننا اعتبار صـــدور وعـــد بلفور بانشاء وطن قـــومى لليهـــود فى فلسطين ١٩١٧ هـــو البداية الفعلية لنشأة الرأى العام العربى . غير أن وحـــدة الظروف التاريخية ليست هى العـــامل الوحيد وان كانت العامل الحاسم فى خلق اتجـــاهات ومواقف موحـــده بين الشعوب العربية ازاء الأحـــداث التى تنجم عن وجـــود اخطار اجنبية اذ لعبت وحـــدة اللغـــة والثقافة المشتركة والتكوين النفسى المشترك الذى يتمثل فى التراث القيمى والعادات والدين كذلك المصالح الاقتصادية المشتركة (السوق) والعـــامل الجغرافى (وحـــدة الأرض) كل هـــذه العوامل اسهمت بنسب متفاوته فى خلق ما يمكن تسميته الرأى العام العربى . ورغم تعـــدد وتنوع الخبرات التاريخية المشتركة وعامل التوحـــد بين الشعوب العربية الا أننا نلمس تفاوتا ملحوظا فى مستويات الرأى العـــام العربى بين الأقاليم التى يتكون منها العالم العربى . هـــذا التفاوت الذى يرجع الى اختلاف مستويات التطور الاجتماعى والاقتصادى والثقافى بين كل من المشرق والمغرب ومنطقة الخليج والجزيرة العربية واقليم وادى النيل . كذلك درجة استقلال وتحرر كل اقليم وحجم ونوع علاقاته بالقوى الدولية المعاصرة علاوة على مدى تأثر كل اقليم بمخلفات العلاقة التاريخية بينه وبين الدول الأوربية التى خضع لسيطرتها فى المـــاضى فنلاحظ مثلا أن منطقة المغرب العربى تسود فيهـــا

المؤثرات الثقافية الفرنسية بينما نجـد ان منطقة الخليج العربى تبـدو؛ أكثر تأثرا بمخلفات الاستعمار البريطانى . هـذا فضـلا عن التركيب الاجتماعى والطبقى الخاص بكل اقليم فالخريطة الاجتماعية للعالم العربى تحمل بين طياتها أشـد الأشكال الاجتماعية نضجا ونمـوا وأكثرها بدائية فى نفس الوقت ولا يقتصر هـذا التفاوت الاجتماعى على اقليم دون غيره بل نلاحظ وجوده فى داخل الاقليم الواحـد بل وفى داخل الدولة الواحـدة .

ورغم هذا التفاوت فى الميراث التاريخى والتركيب الاجتماعى والثروات البشرية والطبيعية ودرجات التبعية والتحرر بين الدول العربية فان هـذا لم يحل دون تعرض الشعوب لمجموعة من الأحـداث التى اسهمت فى بلورة ونمـو الرأى العام العربى ويمكن تلخيصها على النحو التالى :

١ ـ صدور وعد بلفور بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ١٩١٧ .

٢ ـ ثورة مصر القومية ١٩١٩ ضـد الاحتلال البريطانى .

٣ ـ ثورة العراق ١٩٢٠ ضـد الانتداب البريطانى .

٤ ـ ثورة سوريا ضـد الانتداب الفرنسى ١٩٢٥ .

٥ ـ هبـة البراق فى فلسطين ١٩٢٩ .

٦ ـ الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ .

٧ ـ قيام جامعة الدول العربية ١٩٤٥ .

٨ ـ نكبة ضياع فلسطين وقيام دولة اسرائيل ١٩٤٨ .

٩ ـ ثورة يوليـو ١٩٥٢ (مصر) .

١٠ ـ ثورة الجزائر ١٩٥٤ .

١١ ـ العـدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦ .

١٢ ـ وحـدة مصر وسـوريا ١٩٥٨ .

١٣ ـ ثورة العـراق ١٩٥٨ .

١٤ ـ اسـتقلال الجزائر ١٩٦٢ .

١٥ — ثورة اليمـــن ١٩٦٢ .
١٦ — ظهـــور المقاومة الفلسطينية (فتح) ١٩٦٥ .
١٧ — نكســـة يونيـــو ١٩٦٧ .
١٨ — ثورة ليبيـــا ١٩٦٩ .
١٩ — أحـــداث أيلول وتصـــفية المقـــــاومة الفلسطينية فى الاردن ســـبتمبر ١٩٧٠ .
٢٠ — وفاة الرئيس عبد الناصر سبتمبر ١٩٧٠ .
٢١ — حـــرب أكتـــوبر ١٩٧٣ .
٢٢ — أحـــداث لبنـــان ١٩٧٥ .
٢٣ — مبادرة السادات نوفمبر ١٩٧٧ .
٢٤ — اتفاقية كامب ديفيد والصلح المصرى مع اسرائيل مارس ١٩٧٨ .
٢٥ — الانتفاضة الفلسطينية فى الأراضى المحتلة ١٩٨٧ .

ولابد أن نشير الى أهمية الدور الذى قامت به ولا تزال تقـــــوم به التنظيمات الشعبية على نطاق العالم العربى مثل اتحادات العمال والصحفيين والمحامين والصيادلة والأطباء والمعلمين والطلبة العرب . ولا شك أن سهولة الاتصالات وخاصة انتشار الترانزستور وحركة نشر الكتب وتوزيعها على نطاق العالم العربى والمؤتمرات السياسية والقومية التى تنعقد بشكل دورى فى العواصم العربية وحركة تبادل المهنيين والكفاءات المتخصصة والأيدى العاملة بين الدول العربية . كل ذلك أسهم بدرجات متباينة فى تشكيل الملامح الأساسية للرأى العام العربى غير انالرأى العام العربى الذى يملك كـــل مقومات التوحـــد التى سبق الاشارة اليها لم يتبلور فى الواقع الفعلى وظل مشتتا ويعزى ذلك الى العـــديد من العقبات أبرزها وأهمها على الدوام :

أولا : الفوارق الاجتماعية الهائلة بين القلة التى تملك وتتحكم فى موارد الثروة والانتاج ووسائل التعبير السياسى والاعلامى والأوضاع الثقافيـــة والتعليمية وبين الكثرة من الجماهير العربية المحرومة كليا أو جزئيا من المشاركة فى الاستفادة بعـــوائد الثروات الطائرة وبالتالى المشاركة فى صنع القرارات السياسية أو القومية أو تشكيل صورتها الاعلامية فى الداخـــل والخــــارج .

ثانيا : انتشار الامية فى العالم العربى بدرجة لا تتناسب مع التراث التاريخى والحضارى ولا الواقع الاجتماعى والاقتصادى الراهن والذى يتسم بوفرة الثروات المادية والبشرية وان كان انتشار الامية يمثل النتيجة المتوقعة والحتمية لغياب الديمقراطية الاجتماعية والسياسية على امتداد العالم العربى كله .

ثالثا : أزمة النخبة المثقفة والمتعلمة فى العالم العربى فهى تتأرجح بين خطرين أولهما القهر السياسى والاجتماعى وثانيهما محاولات الاستيعاب والاحتواء مع جانب الأنظمة العربية .

رابعا : يلاحظ أن الصحافة العربية رسمية أو شبه رسمية وكذلك الاذاعات والتليفزيون جميعها فى خدمة السياسة الرسمية ما عدا بعض الاستثناءات القليلة .

خامسا : طبيعة المضامين الاعلامية التى تروجها أجهزة الاعلام العربية والتى يغلب عليها طابع التخلف والنظرة القطرية المحدودة ومصادرة الرأى الآخر وعدم الاعتراف بوجودها فضلا عن غلبة النغمة الدعائية العاطفية والابتعاد عن الأساليب العقلانية الواقعية .

هذا ولم يحدث من قبل أن اقدمت احدى الحكومات العربية أو جامعة الدول العربية (رغم مرور ما يقرب من ٣٥ عاما على قيامها) على اجراء استطلاع أو قياس للرأى العام العربى تجاة اية قضية قومية أو قطرية ما يذخر به العالم العربى من قضايا متنوعة سواء تلك التى تتسم بالطابع السياسى أو بالطابع الاجتماعى والثقافى ولكن هذا لا يعنى انتفاء قيام بعض الحكومات العربية بقياسات للرأى العام داخل دولها وبخصوص مسائل ذات طابع استهلاكى أو تسويقى أو اعلامى . كذلك بدأت تنتشر فى الأونة الأخيرة ظاهرة الاستفتاءات ومعظمها تتعلق بموضوعات انتخابية أو بشأن اصدار تشريعات جديدة أو اتخاذ تدابير حكومية معينة .

وهنا تبرز اهمية المحاولة الرائدة التى قام بها مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت بتكليف فريق من الباحثين العرب باعداد دراسة ميدانية حول اتجاهات الرأى العام العربى . وقد قام هذا الفريق على مدى ثلاث

سنوات بالتوثيق التاريخى للحركة القومية وبتحليل مضمون الفكر القومى وباعـداد أدوات ووسائل القياس الميدانية وتجربتها . وقام باستقصاء آراء عينات ممثلة من عشرة أقطار عربية . وقـد شملت هـذه العينات قطاعات العمال والفلاحين والطلاب وموظفى الدولة وأساتذة الجامعات والصحفيين ورجال الاعـلام والأطبـاء والمهندسين والمحـامين والتجاريين والزراعيين والكوادر الفنية الوسيطة . والأقطار العربية العشرة التى غطتها هـذه الدراسة الميدانية هى : المغرب ومصر وتونس والسودان والاردن وفلسطين ولبنان والكويت وقطر واليمن . أما الأقطار العربية الأخرى وهى : العراق وسوريا والبحرين واليمن الجنوبية وليبيا والسعودية وسـلطنة عمان فلم تسمح حكوماتها باجراء الدراسـة .

وقـد وصفت هـذه الدراسة نفسها بأنها عمل وحـدوى رائد بهدف الى اجراء دراسة ميدانية فى جميع الأقطار العربية من اجـل التعرف على حقيقة الرأى العام العربى نحـو مسألة الوحـدة وسعيا الى التوصـل لوضـع خريطة اجتماعية سياسية نفسية للواقع العربى المعاصر .

وتتألف الدراسـة من ثمانية فصول مـع تقـديم وملحق بالاستمارة ومراجـع الدراسة ويعرض المؤلف (د. سـعد الدين ابراهيم) فى الفصل الأول الاطار للدراسـة وأسلوب العمل الميدانى ومراحله وصعوبات الدراسة وفى الفصول التالية يستعرض النتائج الخاصة باتجاهات وآراء المبحوثين من الأقطـار العربية العشرة حـول الوطن العربى والهـوية العربية والأمة العربية والتجارب الوحـدوية السابقة واتجاهاتهم نحـو التوحيد السياسى واشـكاله فى المستقبل وتوقيت الوحـدة وعقباتهـا ومصالحها ووسائلها وامكانية قيام وحـدات اقليمية بين أقطار عربية مختلفة والصورة القومية التى يحملها أبناء الأقطار العربية المختلفة بعضهم لبعض وتقييمهم لمردود الوحـدة ايجابيا وسلبيا على أقطارهم وذواتهم ثم على أبنائهم فى المستقبل . هـذا ويشكل الفصل الثامن من الدراسة خاتمة تبحث فى الهموم والتحديات العربية . أما النتائج الميدانية للدراسة فقـد وصفها المؤلف بأنها « تمثـل اقرب خريطة واقعية للوطن العربى فى الوقت الراهن سواء على المستوى السياسى أو الاجتماعى أو النفسى » .

هــذا وقبل أن نحاول تقييم هــذه التجربة لابد أن نشير الى مجموعة الخبرات والملاحظات العلمية التى أمكن استخلاصها من استطلاعات الرأى التى سبق اجرائها فى العالم الثالث مع عــدم اغفال الصعوبات السياسية والاجتماعية التى لا تزال تحيط بتجربة الاستطلاعات عمــوما فضلا عن الاعتبارات المنهجية التى سيأتى ذكرها .

الانتقادات المنهجية للاستطلاعات :

غالبا ما يوجــه النقــد الى استطلاعات الرأىالعام وقياساته على أسس منهجية أو اجرائية وخصوصا فى مسألة العينات ومدى تمثيلها للمجتمع الحقيقى أو صياغة الأسئلة الموجهة للعينة ومدى التحيز الذى تتضمـــنه الصياغة . كذلك تؤكد هذه الانتقادات على أهمية اجراء مسوح استطلاعية حتى يمكن الباحثون من ادراك السياق العام المحتمل للاجابات وكى لا تمنح بعض الأسئلة فرصا للاجابة أكثر من غيرها وكى لا يحــدث حــذف لبعض الأسئلة ذات الأهمية . ورغم أن هــذه الانتقادات صحيحة موضوعيا وسليمة الى حــد كبير ، فان القائمين على الاستطلاعات يملكون فى الغالب الردود المناسبة التى تؤكد التزامهم بالخطوات المنهجية السليمة سواء فى وضــع وصياغة الأسئلة وترتيبها أو اختيار العينات وما يتطلبه ذلك من دقة والتزام علمى كذلك اعتقد بأن هناك تحيزات محتملة قــد تحــدث وقــد يترتب عليها ظهور نتائج غير متوقعة . ويفترض علماء الاجتماع بانه لا شىء يحــدث بالصدفة اذ أن هــذه التحيزات يمكن توضيحها وشرحها .

والواقع ان جميع هــذهالمشكلات تتعلق فى الأساس بنوعية ومصالح الهيئات التى تقــوم أو تهتم باجراء قياسات للرأى العام . وهــذه المصالح هى فى جــوهرها مصالح سياسية . اذ أن قياسات الرأى العام فى الوقت الراهن ليست أكثر من أداة للفعل السياسى وتتحــدد وظيفتها فى امكانيــة افتراض أن فكرة الراى العام أو الايحاء به استنادا الى الفكرة القائلة بأن أى مجموعة بشرية لابد أن يكون لهــا رأى عام يمثل معــدل متوسط الآراء السائده . مــع أن هــذا فى الواقع ليس رأيا عاما بقــدر ما هــو حاصل جميع مجموعة آراء فردية .

ان فكرة الرأى العام التى تتصـــدر الصفحات الأولى من الصحف على شكل نسب مئوية نقول مثلا أن ٧٠٪ من الرأى العام الأمريكى يؤيد اسرائيل انما يشير فى حقيقة الأمر الى الحقيقة القائلة بأن الرأى العام فى أية لحظة ما هـــو الا نتاج لتوازن القـــوى والصراعات وليس هناك شىء أكثر خطـــأ من الرأى الذى يمثل حالة الرأى العام وكأنها شىء ثابت ونحن نعلم جيدا ان علاقات القوى لا يمكن تجاهلها أو التقليل من اهميتها اذ أن أى ممارسة للسلطة تكون مصحوبة بمسار يهـــدف دوما الى تقنين امتيازات هـــؤلاء الذين يمارسون السلطة .. هـــذا هـــو الأثر أو النتيجة الرئيسية لاستطلاعات الرأى التى تحاول أن تخلق الوهم بأن هناك رأيا عاما ساحقا يساند السلطة ويدعم علاقات القـــوى السائدة .

وسوف أشير الى أهم العوامل التى تؤدى الى الايهام بوجود ما يشبه الاجماع أو على الأقـــل الايحاء :

العامل الأول الخاص بافتراض ان كل شخص يجب أن يكون له رأى هـــذا العامل يقوم على تجاهل القطاع الذى لا يجيب على أسئلة الاستطلاع أو تلك الفئة التى تعرف بمن لا رأى لهم . فمثلا عندما نسأل الجماهير المصرية هـــل تؤيد الصلح مـــع اسرائيل فاننا سوف نسجل ٤٠٪ نعم ، ٣٠٪ لا ، ٢٥٪ دون اجابة حينئذ ســـوف نقول أن النسبة المؤيدة أكبر من النسبة المعارضـــة على الرغم من أن حساب الفئـــة التى لم تجب مـــع الفئـــة المعارضة يبين أن المؤيدين أقليـــة .

ولا شك أن استبعاد تلك الفئة يماثل ما يحـــدث فى الاستفتاءات عندما لا تحسب الأصوات الممتنعة عن الاشتراك فى الاستفتاء . فالفلسفة الكامنة خلف المسموح الانتخابية تفرض نفسها على استطلاعات الرأى . فمثـــلا سوف نجـــد أن أكبر نسبة فى الفئة التى لم تجب من النساء وان هـــذه الفئة من الذين لا رأى لهم تزداد بين النساء والرجال معا كلما كان الاستفتاء حول مسائل سياسية . وكلما كانت الأسئلة تهتم بمسائل ثقافية فان نسبة هذه الفئة سوف تزداد بين المجموعات الأقـــل تعليما . وعندما يدور الاستفتاء حـــول مشكلة أو قضية اجتماعية مثل تربية الأطفال فان هـــذه الفئـــة تختلف باختلاف الشرائح الاجتماعية التى سيوجه اليها الاستفتاء . وكلمـــا

كان السؤال موجها الى أطراف فى قضايا أخلاقية أو صراعات سياسية (مثل سؤال أحد أفراد حزب الزانو الحاكم فى زيمبابوى عن حقيقة تدهور الأوضاع فى بلاده بعد الاستقلال) فان فئة غير المجيبين سوف تزداد .

أما العامل الثانى :

الذى يؤدى الى الايهام بوجود ما يشبه الاجماع فهو يتعلق بطريقة وضع الأسئلة وصياغتها وترتيب أولويتها فهى غالبا ما توضع فى ضوء مصالح الهيئات أو القوى التى تتم الاستطلاعات وقياسات الرأى لحسابها وأحد الآثار السلبية التى تترتب على ذلك هو القيام بتوجيه سؤال غير متوقع الى فئات مختلفة من الناس على أساس أنهم سوف يقومون باجابة عليه .

وليس هناك أسوأ من وضع فئات الجمهور فى موقف يجبرون فيه على سؤال أو بضعة أسئلة لم يفكروا فيها من قبل أو الاجابة خطأ على سؤال سبق ان طرح عليهم من قبل ولكن بصياغة مختلفة وهنا يحدث سوء الفهم والخلط .

أما العامل الثالث :

فهو يتعلق باستحالة أو صعوبة اعادة استخدام نتائج الاستطلاعات التى تتم لخدمة مصالح معينة فى تطوير معطيات البحث العلمى خصوصا فى مجال العلوم الاجتماعية فى العالم الثالث .

أما العامل الرابع والأخير :

يتعلق بالدور السلبى الذى تقوم به وسائل الاعلام فى عرض نتائج الاستطلاعات . اذ تعمد الصحف والاذاعات والهيئات الاعلامية الأخرى الى تبسيط النتائج واختزالها الى حد الاخلال بطبيعة المادة العلمية اذ ان أى محاولة لتفسير وتحليل استطلاعات الرأى تتطلب فحصا دقيقا لنظام الأسئلة الموضوعة كشكل ولكل سؤال على حدة ومدى اتساقه مع السياق العام للاستفتاء ثم القيام بتحليل الاجابات للتعرف على الاتجاهات التى كانت تسيطر على الجمهور أثناء قيامهم بالاجابة على الأسئلة . فلا شك

ان الأسئلة التى تتعلق بموضوعات اجتماعية أو تربوية أو اخلاقية مثـل العلاقة بين الآباء والأبناء أو الأساتذة والطلاب تختلف استجابات النـاس لهـا فالشخص غير المنتمى سياسيا أو أيديولوجيا سوف يقتصر فهمه لهـا على حـدودها الخارجية أما الشخص المنتمى فكريا أو سياسيا فان استجابته سوف تختلف هذا وتتجاهل وسائل الاعلام هذه الاختلافات الدقيقة وتلجـأ الى دمجها وتسطيحها عند الاذعـة ونشر النتائج ممـا يؤدى الى اتسام النتائج بطـابع التضليل وعـدم الدقـة .

والواقع اننا عندما نستعرض خريطة توزيع مراكز ومعاهـد قياس الرأى العام فى العالم الثالث سـوف نلحظ عـدة أمور :

أولها : ندرة الهيئات العلمية المختصة بقياس الرأى الرأى العام فى العالم الثالث وهى ظاهرة ترتبط بالأوضاع السياسية السائدة فى هـذه الدول وعـدم استكمالها لمقـومات الاستقلال الحقيقى خصـوصا فى المجـالات الثقافية والأيديولوجية فضلا عن غياب الديمقراطية فى معظم هـذه الدول وسيادة نظم الحكم الشمولية والأوتوقراطية .

ثانيا : نجـد ان معظم مراكز قياس الرأى العام التى بدأت تنتشر فى العالم الثالث منذ منتصف الستينيات تتبع الحكومات تبعية مباشرة أو غير مباشرة فهى أما تشكل جزءا من مهام رئاسة الدولة المباشرة أو ترتبط باحدى القرارات أو الأجهزة الرسمية الهـامة فى الدولة .

ثالثا : يقتصر عمل هـذه المراكز على اجراء قياسات للرأى العام فى موضوعات غير ذات أهمية ولا تمثل محاور اهتمام فعلية أو قضايا متفجرة لـدى الجماهير ومن ثم تفتقر موضوعات الرأى العـام الى أهم شروطها الموضوعية اتسامها بطابع الحيوية وانشغال عقول ووجدان الجماهير بها الخلاصة نأ استطلاعات الرأى العام نادرا ما تجرى فى دول العالم الثالث ولا تشجع حكومات هذه الدول القيام باجراء قياسات للرأى العام الا فى المسائل الاجتماعية أو الاقتصادية أو الاعلامية مثل استطلاع آراء المستمعين لبرامج الراديو أو لآراء المشاهدين لبرامج التليفزيون او استطلاع لآراء المستهلكين ازاء السلع والخدمات وتتجنب هـذه الاستطلاعات الموضوعات السياسية

ذات الأهمية التى تشـــغل بال الجمـــاهير والتى تتميز بحساسيتها لــدى الحــكومات .

رابعا : رغم الحظر الشامل الذى تفرضـه معظم حكومات العالم الثالث على تناول قياسات الرأى العام للموضوعات والقضايا السياسيه الا أن هنـــاك بعض الاستثناءات التى تلجــا فيهــا هــذه الحكومات الى اجراء قياسات أو استطلاعات للرى العام حــول قضايا ذات طابع سياسى وفى هــذه الحالة تستخدم نتائج هــذه الاستطلاعات لصالح هــذه الحكومات فى تاكيد سلطتها السياسية أو لتغيير اتجاهات الرأى العـــام ازاء بعض القضايا التى تمس نفــوذها وامتيازاتها .

تقييم أول تجربة لاستطلاع الرأى العام العربى :

ان مراعاة التسلسل المنهجى الذى تمر به قياسات الرأى العـــام واستطلاعاته ســـوف تلزمنا بتتبع المراحل المتتالية التى مرت بهـــا هـــذه التجربة منذ اختيار الموضوع أو الموضوعات التى دارت حــولها الدراسة الميدانية حتى نشر النتائج النهائية لهـــا .

واذا حاولنا تتبع الخطوات المنهجية التى مرت بها هــذه الدراسة فان نقطة البداية ســـوف تكون طبيعة الموضوع ومدى استيفائه للشروط المنهجية التى تجعله صالحا كموضوع لاستطلاع أو لقياس الرأى العام وأبرز هــذه الشروط أن يكون هــذا الموضوع مطروحا للجــدل والمناقشة وتتوافر عنه المعلومات التى تجعل الجمهور على وعى به ســـواء على المستوى المعلن أو غير المعلن ومن ثم يتكون نحــوه رأى عام ويصبح موضـــوعا صالحـــا للقياس اذ أن افتقار الموضوع لهــذه الشروط يجعله غير صالح للقياس من ناحية واذا تم القياس فسوف تكون النتيجة مجموعة آراء فردية لا تعبر باية حال عن الرأى العـــام .

ولا شك ان اختيار موضوع أو عدة موضوعات تدور حول الهوية العربية وتجارب الوحــدة العربية لقياس اتجاهات الرأى العام العربى نحــوها تعــد بداية ايجابية موفقة . لأن هــذه القضية (الوحــدة العربية) تعــد من القضايا المحورية التى تستقطب اهتمام الجماهير العربية التى عانت طويلا من عوامل التجزئة والانقسامات على مدى تاريخها المعاصر فضـــلا

عن محاولات التفتيت وسيادة الروح اللاقومية والعمل على خلق كيانات قطرية تستهدف الحيلولة دون توحيد الشعوب العربية فىكيان قومى مستقل وقادر على النهوض بأعباء التحرر والتنمية فى عصر لم يعد يعترف الا بالكيانات الدولية الكبرى . وبذلك يمكن القول ان صلاحية هذا الموضوع (القومية العربية) لاستطلاع الرأى العام العربى ليست فى حاجة الى جدل كبير بقدر ما يصبح الشق الآخر للمقولة وهو (ضرورة ان تتوافر عنه المعلومات التى تجعل الجمهور على وعى به) هى التى تحتاج الى اثبات خصوصا فى ظل انتشار الامية والدور السلبى الذى تقوم به وسائل الاعلام العربية فى هذا المضمار .

النقطة المنهجية الثانية هى العينة واسس اختيارها ومدى تجنبها لاحتمالات التحيز .

وتتناول هذه النقطة مجموعة عناصر نجملها كما يلى :

١ — عينة الدول العربية .
٢ — عينة الجمهور .
٣ — عينة القضايا الخاضعة للدراسة .
٤ — العينة الزمنية .

فيما يتعلق بعينة الدول العربية فقد لوحظ اقتصار الدراسة على عشرة دول فقط اذ تم استبعاد سبعة دول عربية من الدراسة وذلك لأسباب تتعلق بموقف المسئولين فىهذه الدول ورفضهم للسماح باجراء الدراسة وهنا لابد أن يتبادر الى أذهاننا السؤال التالى : الى أى مدى تمثل الدول العربية العشر (التى تم اجراء الدراسة فيها) العالم العربى ككل ؟ وذلك فى ظل غياب كل من الجزائر وليبيا فى المغرب العربى والعراق وسوريا فى المشرق العربى والسعودية والبحرين فى الخليج فضلا عن اليمن الجنوبية كيف يمكن تصور الرأى العام العربى واتجاهاته ازاء قضايا قومية ذات بعد تاريخى عريق فى الوجدان والذهن العربى دون أن تتضمن العينة الدول العربية السبع والتى تمثل ثقلا تاريخيا وسياسيا لا يمكن اغفاله فضلا عن أهمية خطورة الأدوار التى تلعبها على المسرح العربى والدولى فى المرحلة الراهنة .

كذلك لا يمكن من الناحية المنهجية التسليم بصحة هذه لعينة التى تستبعد ما يقرب من نصف المجتمع الأصلى (حوالى ٤٠٪) وتقصر الدراسة على ٦٠٪ فقط من الدول العربية فلا مفر من ان توصف هذه العينة بالتحيز الواضح الذى قـــد يكون غير مقصود وكنه حـــدث بالفعل ولا يمكن انكاره وحينئذ يصعب الادعاء بأن هـــذه العينة غير متحيزة فى المرحلة الاولى التى تمثل بداية السلم المنهجى والتى تنبنى عليها باقى الخطوات المنهجية والاجرائية وذلك مهما قيل عن مدى مراعاة المشرفين على البحث للضوابط والاجراءات المنهجية الأخرى .

كذلك لا يمكن أن نعتبر هـــذه العينة تجاوزا عينة اختيار لأنها تفتقر الى الشروط الأساسية لعينة الاختيار وبهـــذه المناسبة لم يشر المشرفون على هـــذهالدراسة الى قيامهم بهـــذه الخطوة الضرورية وهى اعـــداد عينة اختبار للدراسة تعـــد بمثابة استطلاع مبدئى يتم على ضـــوء نتائجه تعـــديل محتويات الدراسة من حيث اضافة أو حـــذف بعض الأســـئلة واعادة النظر فى فئات العينة سواء التى تتضمن الدول والجمهور أو تلك التى تتضمن القضايا والموضوعات وتطالعنا ظاهرة التحيز مرة أخرى عندما نحاول فحص عينة الجمهور التى شملت ٦ آلاف مواطنا عربيا من مختلف القطاعات المهنية والحرفية والملاحظة الأولى تتعلق بعـــدد أفراد العينة ومدى تمثيلهم للمجتمع الأصلى من الناحية العـــددية فحسب . واذا كانت التعـــدادات السكانية الحـــديثة تشير الى أن تعـــداد العالم العربى يقترب من ١٩٠ مليون نسمة . ونحن نعلم مسبقا بأن حوالى ٥٠٪ من سكانه من النساء . ولذلك فمن غير المسموح لهم بالمشاركة فى اتخاذ القرارات السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية رغم أنهم يشاركون فى صنعها بأشكال عـــديدة مباشرة وغير مباشرة . ويبقى النصف الثانى من السكان ويتكون أساسا من الرجال من مختلف الأعمـــار . وفى الواقع ان العينة لم توضح مدى تمثيلها لفئات الأعمـــار المختلفة فى القطاعات الجماهيرية التى تم استطلاعها هـــذا من ناحيـــة فئـــات الأعمـــار .

كذلك لم تشر الدراسة الى الدراسات السابقة التى تناولت الخريطة الاجتماعية للوطن العربى ومن المعروف انه لا توجـــد حتى الآن مثل هـــذه الخريطة وان كانت توجـــد بعض دراسات قطاعية أو جزئية عن الواقع

الاجتماعى العربى فى اطاراته القطرية فحسب . ولا يمكن الاعتماد على نتائج هذه الدراسات الجزئية الا بقدر محدود ولا يسمح بتعميم هذه النتائج على نطاق العالم العربى ككل والبديل الوحيد لذلك هو الاعتماد على التكهنات العامة والتى لا يمكن اعتمادها علميا .

كذلك لم تشر الدراسة الى نسبة النساء العربيات المشتركات فى الاستطلاع والى أى الدول العربية ينتمون .. هذا من ناحية فئات الجنس أما الفئات الاخرى للعينة من ناحية المهنة أو مستوى التعليم وسكان المدن والريف فلا ندرى الى أى مدى تمثل عنه الدراسة هذه الفئات بنفس نسبة وجودها فى المجتمع الأصلى .

والواقع انه كان من الضرورى أن يسبق هذه الدراسة القيام باعداد خريطة طبقية للوطن العربى تحدد الشرائح الاجتماعية والمهنية والفئات العمرية والمستويات التعليمية والاقتصادية وسكان الريف والحضر ولكن هذا لم يحدث .

هذا فضلا عن تجاهل المشرفين على الدراسة لفئة من لا رأى لهم فلم تشر الدراسة الى نسبة هؤلاء الذين لم يجيبوا على أسئلة الاستطلاع أو أجابوا بلا أعرف أو لا رأى لى فاذا كانت الدراسة قد اعتمدت على عينة احتمالية مع استبعاد من لا رأى لهم من العينة فان ذلك يمكن تفسيره بأحد احتمالين اولهما هو ان جميع الأفراد الذين تضمهم عينة الاستطلاع كان لهم رأى محدد بالنسبة لكافة الأسئلة وهو احتمال يتعارض تماما مع نتائج الاستطلاع أما الاحتمال الثانى أن يكون هناك تحيز فى عملية جمع البيانات وذلك باستبعاد الأفراد الذين ليس لديهم رأى بالنسبة لموضوع الاستطلاع وفيما يتعلق بعينة الموضوعات والقضايا التى تضمنها الاستطلاع فهى تتفرع فى الأساس عن القضية المحورية التى دار حولها الاستطلاع عن القومية العربية كطموح مستقبلى وكأمر واقع تجسده تجارب الوحدة السابقة .

هذا وقد تضمنت الدراسة عدة محاور حول الوطن العربى والأمة العربية

وهموم الوطن العربى على المستويات المختلفة الفردية والقطرية والقومية تم تقييم التجارب الوحدوية السابقة وأشكال التوحيد السياسى التى تتطلع اليها الشعوب العربية فى الوقت الراهن وتوقيتها المناسب والعقبات التى تعترضها ونتائج التوحية السياسى من حيث الفوائد والأضرار كذلك شملت هذه الموضوعات احتمالات الوحدة فى المدى القريب والمسافة السياسية بين الأقطار العربية .

ولقد تم صياغة هذه القضايا فى أسئلة مقننة ومفتوحة وهذا ينقلنا الى النقطة المنهجية الثالثة التى تتعلق بصياغة الأسئلة . ورغم ما يبدو من سهولة ويسر هذه الخطوة فى استطلاعات الرأى العام ولكن هناك مجموعة شروط يجب أن تتوفر فى استمارة الاستطلاع وتهدف الى تقليل نسبة التحيز فى الاجابات الى الحد الأدنى وأبرز هذه الشروط هو ضرورة توفر عنصر الوضوح والتأكيد على أهمية الابتعاد عن الأسئلة الايحائية بحيث لا توضع الأسئلة فى كلمات تحمل معان أو شحنات انفعالية ذات دلالة خاصة قد تحرف المعنى عن هدفه . كذلك الحرص والدقة البالغة فى وضع وتسلسل الأسئلة . ويلاحظ فى هذا الاستطلاع غلبة الأسئلة المقيدة وقلة الأسئلة المفتوحة . كذلك لم يتم اجراء اختيار للأسئلة على عدد محدود من أفراد العينة المختارة للتأكد من مدى صلاحية هذه الأسئلة وتلاؤمها مع المستويات المختلفة لأفراد العينة وتتسم هذه الخطوة بأهمية خاصة بسبب تنوع قطاعات الجماهير التى تتضمنها العينة الأصلية واختلاف مستوياتها التعليمية والمهنية والطبيقية الا اذا كانت الاستمارات قد وجهت الى أفراد تتساوى مستوياتهم الثقافية والتعليمية مع مستوى كل من واضعى الأسئلة والقائمين بجمع البيانات وحذا لم يحدث بالطبع .

وهذا يقودنا الى جانب منهجى آخر وهو الخاص بطرق جمع البيانات وهنا نلاحظ ان ارتفاع نسبة الامية فى العالم العربى وعدم الوعى بأهمية استطلاعات الرأى العام مما كان يستلزم الاعتماد على اسلوب الاستبيان فى ملء بيانات الاستمارة الاحصائية أو اتباع أسلوب المقابلة الجماعية أو الملاحظة الجماهيرية وفى الحقيقة ان الدراسة لم توضح اية أسلوب من الأساليب السابقة قد تم اتباعه فى جميع بيانات الاستطلاع .

هـل قام البحوثون بملأ الاستمارات بأنفسهم ممـا يحتمل أن يؤثر فى البيانات لأن المبحوث قـد يغير من سلوكه اذا شعر انه تحت التجربة كما قـد يعطى بيانات ومعلومات غير صحيحة اذا تركت له الاستمارة ليملأها بنفسه ومن الأسئلة المطروحة فى هـذا الصـدد هو هـل تم اختيار ملاحظين مدربين للقيام بجمع البيانات وملء الاستمارات من المبحوثين أم ان الفريق المشرف على هـذه الدراسة فقـد اتبع أساليب أخرى مثل تكليف بعض الباحثين بحمل الاستمارات والسفر الى الدول العربية التى تتضمنها العينة حيث كان يقـوم بتسليمها الى بعض الأصـدقاء ويمكث اسـبوعا أو أكثر ثم يستلم الاستمارات وقـد تمت الاجابة على جميع أسئلتها دون توضيح للوسائل التى اتبعت فى جميع البيانات والاجابة على أسئلة الاستطلاع والواقع أن هـذه النقطة الجوهرية تحتاج الى تحـديد واضح من جانب فريق البحث لأنهـا تتعلق بمبدأ الأمانة العلميـة ومدى الحرص على توفرها فى اجراءات الدراسـة .

اما النقطة المنهجية الأخيرة التى تتعلق بالعينة الزمنية فان تحـديد البعـد الزمنى للدراسة يشكل اهمية خاصة ليس منهجيا فحسب بل على المستوى الفردى والمستويات الاقليميـة فى الوطـن العربى . اذا أننـا لا يمكن أن نتغافل عن حتمية اختلاف النتائج لو أن هـذا الاستطلاع قـد تم اجرائه أثناء فترة الستينيات وكون ان تقتصر فى هـذه الدراسـة على فترة السبعينيات فحسب مـع عـدم مراعاة خصوصية المرحلة التاريخيـة والمؤثرات المختلفة التى أحاطت بالاطار العام للفكر القومى على مستوى الوطن العربى فى السبعينيات واختلافها الأساسى عن مرحلة الستينيات فان ذلك سيؤدى بنـا الى الخروج بنتائج غير دقيقة أن لم تكن غير صـحيحة وهنا تبرز اهمية القيام باجراء دراسة استطلاعية للفكر العربى فى الصحافة العربية ممـا كان سيوفر مادة خصبة تساعد فريق البحث على تكوين بعض الفروض الأولية التى يمكن الاستناد عليها كمنطلقات مبدئية لهذا الاستطلاع ولذلك كان لابد أن يسبق هـذا الاستطلاع دراسـة أخرى تتناول تحليل مضمون اتجاهات الصحف العربيـة ازاء القوميـة العربيـة والممارسات الوحـدوية التى تمت وذلك خلال الخمسينيات والستينيات والسبعينيات مـا كان سيوفر لفريق البحث استخراج المؤشرات العامة التى تساعد فى

تعميم استمارة الاستبيان كما ان تلك الدراسة كانت ستوضح لنا اولويات القضايا القومية التى تهم المواطن العربى خلال الحقبتين السابقتين أى الخمسينيات والستينيات على الفترة التى تم أثنائها اجراء الاستطلاع . فاذا كانت نتائج هذا الاستطلاع قد أسفرت ضمن ما أسفرت عنه من نتائج عن حقيقة أولية تحتاج الى مزيد من التأمل والبحث لاثبات صحتها وتتعلق بالدرجه العالية من الشعور بالانتماء القومى العربى الذى سجلته الأغلبية الساحقة من المبحوثين فى الأقطار العربية فى مختلف الشرائح الاجتماعية والمهنية والتعليمية والثقافية مما يعكس قدرة الجماهير العربية فى معظم الأقطار على تجاوز حملات الاستعداء اليومية التى تمارسها الأنظمة الحاكمة من خلال اجهزة الاعلام العربية مما كان يحتم ضرورة اجراء دراسة استطلاعه لاتجاهات الصحف فالواقع ان نتائج هذه الدراسة الاستطلاعية لتحليل مضمون الصحف العربية فضلا عما كانت ستقوم به من ترشيد ودقة لهذا الاستطلاع فانها كانت ستمنح مجالا خصبا للمقارنة بينها وبين النتائج التى اسفر عنها هذا الاستطلاع مما كان سيتيح آفاقا اعمق للتفسيرات التى حاول أن يضيفها فريق البحث للنتائج الخاصة بالاستطلاع .

مصـــادر الدراســـة :

دراســات ومقــالات علميــة :

١ ـ مجموعة من العلماء : مناقشات حـول الرأى العـام ـ مجـلة دراسات اشتراكية ـ العـدد السابع ـ السنة التاسـعة ـ القـاهرة ـ يوليو ١٩٨٠ ص ٦١ ـ ٧٧ .

٢ ـ لجنة ماكبرايد باليونسكو : التقرير النهائى للجنة الدولية لدراسة مشـكلات الاتصـال اليونسـكو ـ باريس ـ اكتوبر ١٩٧٩ ص ٢٢٠ ـ ٢٢٧ .

٣ ـ دكتور سعد الدين ابراهيم : اتجااهت الرأى العام العربى نحـو الهـوية القومية ـ الوحـدة العربية مجلة المستقبل العربى ـ العـدد ١٣ ـ بيروت ـ مارس ١٩٨٠ ص ٤٠ ـ ٦٧ .

٤ ـ د. سعد الدين ابراهيم : اتجاهات الرأى العام العربى نحـو عقبات الوحـدة ومرورها فى المستقبل مجلة المستقبل العربى ـ العـدد ١٤ ـ بيروت ـ أبريل ١٩٨٠ ص ٦ ـ ١٨ .

٥ ـ د. سعد الدين ابراهيم : اتجاهات الرأى العـام نحـو المسافة السياسية بين الأقطار العربية ـ مجلة المستقبل العربى العـدد ١٥ ـ بيروت ـ مايو ١٩٨٠ ص ٨٢ ـ ١٠٠ .

٦ ـ د. عـواطف عبد الرحمن : الرأى العام والدعاية ـ محاضرات القيت على طلبة كلية الاعلام فى العام الجامعى ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ .

٧ ـ د. ناهـد صالح : اللاراى فى قياسات الراى العام بالدول النامية . المجلة الاجتماعية المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ القـاهرة ـ أبريل ١٩٨٠ ص ٣ ـ ٢٧ .

٨ ــ د. نجيب اسكندر : دراسة الرأى العام ــ المعهد العالى للدراسات الاشتراكية ــ القاهرة ١٩٦٦ ص ١ ــ ١٠ .

٩ ــ مجموعة من الباحثين : الرأى العام العربى . كلية الاعلام جامعة القــاهرة ١٩٧٧ ص ١١ ــ ١٥ .

١٠ ــ غانم عبد المطلب : الرأى العام والتنمية السياسية فى الدول النامية رســالة ماجستير غير منشورة ــ كليــة الاقتصــاد والعــلوم السياسية ــ ١٩٧٦ .

الدراسة الرابعة

القسم الثانى

صورة المرأة الخليجية فى الصحافة خلال الحقبة النفطية

الهدف الأساسى للدراسة :

تهدف هذه الدراسة الى استخلاص معالم الصورة المرسومة للمرأة الخليجية من خلال تحليل مضمون المواد الاعلامية المنشورة فى الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية الخليجية وأيضا من خلال المقابلات التى تمت مع العديد من الطالبات الخليجيات اللائى يدرسن بالجامعات المصرية وهناك عدة أهداف فرعية تنبثق من هذا الهدف الرئيسى ويمكن ابرازها على النحو التالى :

اولا : استطلاع الصورة الاعلامية للمرأة الخليجية من خلال اطار علمى يهدف الى تحديد وابراز الأدوار الاجتماعية التى تقوم بها المرأة الخليجية فى مواقعها المختلفة .

ثانيا : المقارنة بين الصورة الاعلامية وبين الواقع الاجتماعى الفعلى الذى تعيشه وتساهم فى تشكيله المرأة الخليجية سواء فى داخل الاطار الأسرى او مجالات العمل او التعليم او المشاركات الاجتماعية والسياسية المختلفة .

ثالثا : محاولة رصد اتجاهات الصحف الخليجية ازاء قضايا المرأة مع العمل على تفسير اسباب هذه الاتجاهات وتأثيراتها السلبية والايجابية على الأوضاع العامة للمرأة فى الخليج العربى .

وسعيا لتحقيق هـذه الأهـداف تم وضـع مجموعة من الفروض الاستطلاعية صيغت على شكل تساؤلات ويمكن تلخيصها على النحو التالى :

١ ـ ما هى القضايا والمشكلات المتعلقة بالمرأة والتى تتركز حـولها اهتمامات الصحف الخليجية وهل تمثل هـذه القضايا والمشكلات جزءا من هموم ومشاغل المرأة الخليجية فى المرحلة الراهنة ؟

٢ ـ ما هى الفئات النسائية التى يتكرر الحـديث عنها فى أبواب المرأة فى الصحف اليومية والمجلات النسائية التى تصدر فى منطقة الخليج الزعبى ؟

٣ ـ ما هـو التصور الذى تطرحه الصحف الخليجية بشأن قضايا العمل والتعليم ومشاركة المرأة فى النشاط السياسى والاجتماعى العام .. ؟

٤ ـ الى أى مدى تلتقى آراء الصحف فى قضايا المرأة مـع وجهات نظر النساء والفتيات الخليجيات .. ؟

الاطـار المنهجى للدراسـة :

يتضمن الاطار المنهجى للدراسة تحـديد نوع الدراسة والمناهـج المستخدمة لانجازها وتحـديد ادوات البحث سـواء ما يتعلق بوسائل جمع المـادة العلمية أ واساليب تحليلها . وبالنسبة لتحـديد نوع الدراسة فهى تتضمن مرحلتين المرحلة الاستطلاعية وتهـدف الى الكشف عن الملامح العامة للمواد الاعلامية المنشورة فى الصحف الخليجية عن المرأة ثم المرحلة الوصفية وتتضمن توصيف المواد التى تم جمعهـا فى المرحلة الاستطلاعية وتحـديد خصائصها بشـكل يسمح بالاجابة على الفروض والتساؤلات المطروحـة فى صـدر الدراسـة .

المنهج المستخدم فى الدراسـة :

لقـد تمت الاستعانة بعـدة مناهج لانجاز هـذه الدراسة يبرز فى مقـدمتها المسح الاعلامى الذى اعتمدنا عليه فى انجاز المرحلة الأولى من الدراسة والتى اتسمت بالطابع الاستطلاعى ، ثم لجـأنا لى الاستعانة

بمنهج دراسة الحالة وذلك للتركيز على بعض دول الخليج (الـــكويت ـــ الامارات العربية ـــ البحرين) وأيضا للتركيز على بعض الصحف التى تصدر فى تلك الدول . وأخيرا لم يخل الأمر من اللجوء الى المنهج المقارن لاجراء بعض المقارنات الزمنية والموضوعية التى فرضتها طبيعة الدراسة .

ادوات البحث :

اعتمدت الدراســـة على أسلوبين محـــددين لجمع وتحليل المـــادة الاعلامية الخاصـــة بالبحث هما :

١ ـــ أسلوب تحليل مضمون المواد الاعلامية المنشورة عن المرأة فى بعض صـــحف الخليج العربى .

٢ ـــ المقابلات مع بعض الطالبات الخليجيات فى القاهرة .

عينـــة الدراســـة :

استلزمت طبيعة الدراسة ضرورة تحـــديد العينة فى اطاراتها الثلاثة المعروفة وهى الاطار المكانى (الجغرافى) والاطار الموضوعى (الصـــحف والقضايا) ثم الاطار الزمنى (الفترة والتواريخ) .

وفيما يتعلق بالاطار الأول فقد تم اختيار ثلاث دول هى كل من :

١ ـــ الـــكويت .

٢ ـــ الامارات العربية المتحدة .

٣ ـــ البحـــــرين .

أما الاطار الثانى ويتعلق بالصحف فقـــد فرضت الظروف ضرورة الاقتصار على بعض الصحف الصادرة فى تلك الدول والتى تتوافر أعـــدادها لدينـــا وهى على التوالى :

١ ـــ جريدة الوطن ومجلة أسرتى وتصـــدران بالكويت .

٢ ــ مجلة الأزمنة العربية ــ جريدة الاتحاد ومجلة زهرة الخليج وجميعها تصــدر بدولة الامارات العربية المتحدة .

٣ ــ مجلتا المواقف والبحرين وتصــدران بالبحرين .

أما الاطار الثالث للعينة وهــو الاطار الزمنى فقــد راعينا الاقتصار على عام ١٩٨٠ فحسب لأسباب عــديدة أبرزها عــدم توفر الصــحف الخليجية الصادرة فى الفترات السابقة على ذلك فضلا عن قصر الوقت المسموح لنــا لانهاء الدراسة ذلك بالاضافة الى الحرص على متابعة الرؤية الاعــلامية للمرأة الخليجية فى أحــدث فتراتهــا وهى الفترة التى لا يمكن فصلها عن المراحل السابقة بشكل تعسفى . وقــد شملت العينة الزمنية فترات مختلفة من عام ١٩٨٠ ويمكن ايجازها على النحو التالى :

١ ــ بالنسبة للصــحف الكويتية :

(أ) جريدة الوطــن :

تم اختيار ثلاثة أعــداد من كل شهر خلال فترة الدراسة بحيث تمثل بداية الشهر ومنتصفه ونهايته .

(ب) مجــلة أسرتى :

تم اختيار عــدد واحــد من كل شهر باستثناء شهرى يوليو وأغسطس فقد تم اختيار عــددين من كل منها نظرا لأهمية القضايا التى عولجت فيهما ولم تعالج فى الأعــداد الأخرى من العينة .

٢ ــ صــحافة الامارات العــربية :

(أ) مجــلة الأزمنــة العربية :

الأعــداد المتوفرة خلال فترة الدراسة من فبراير الى أغسطس ١٩٨٠ وقــد تم الاستعانة بهــا جميعا .

(ب) جريدة الاتحــاد اليومية :

الأعــداد المتوفرة ١٩ عــددا خلال فترة الدراسة ١٩٨٠ استبعد منها عــددان لم ينشرا أية موضوعات عن المرأة فاقتصرت العينة على ١٧ عــددا .

(جـ) مجـــلة زهرة الخليج :

الأعــداد المتوفرة أربعة اعــداد خلال عام ١٩٨٠ .

٣ ــ صــحافة البحــرين :

(أ) مجــلة المواقــف :

الأعــداد المتوفرة ٣ أعــداد عام ١٩٨٠ .

(ب) مجــلة البحــرين :

الأعــداد المتوفرة ٤ أعــداد عام ١٩٨٠ .

أما عينة الكتابات والمواد الاعلامية المنشورة عن المرأة الخليجية فقد حــددناها فى أبواب المرأة فى الصــحف اليومية ومحتويات المجلات النسائية (المتوفرة) .

وحــدات التحليــل :

استقر الرأى على اختيار الموضوع كوحــدة أساسية للتحليل على أن يتم ذلك فى اطار صفحات المرأة فى الصحف اليومية وفى اطار المجــلة ككل باعتبارها مجــلات نسائية متخصصة .

فئــات التحليــل :

وتتضمن كل فئــات المضمون وفئــات الشــكل بالنسبة للمواد الاعلامية التى خضعت للدراسةوفئــات الجمهور المستهدف وقــد تحــددت على النحــو التالى :

(أ) فئــات الشــكل :

فى القوالب الصحفية المستخدمة (خبر ــ حــديث ــ تحقيق ــ مقال ــ تعليق) وفى أنماط الاخراج وتتضمن الأساليب اللغوية المستخدمة فى التعبير (السرد ــ الاستشهاد ــ التعميم ــ الهجوم) وتحــديد موقــع المــادة الاعلامية والصحيفة والمجلة كما تتضمن تحــديد الصور والرسوم .

(ب) أما فئــات المضمون :

فقــد شملت مـ ايلى :

١ ــ نوعيــة القضـــايا :

وقــد تم تقسيمها الى :

(أ) قضايا اجتماعية : (الزواج والطــلاق والأطفـــال ــ الوظائف التقليــدية للمرأة) .

(ب) قضايا سياسية : (المشاركة النسائية فى النشـاط السياسى) .

(جـ) قضايا ثقافية : (التعليم ــ المشـاركة فى النشـاط الثقافى العام) .

(د) قضايا اقتصادية : (العمالة النسائية ــ التدريب ــ التنمية) .

(و) ســير ذاتيــة .

(هـ) رياضـــة وجـــرائم .

٢ ــ اتجــاه المواد الاعـــلامية :

وتهـــدف الى تحـــديد اتجاه الكتابات المنشورة فى الصحف نحـــو قضايا المرأة وهل تتسم بالتأييد أم المعارضة أم الحياد او التوازن .

٣ ــ القيم التى تروج فيها المـــادة الاعلامية :

وتهـــدف الى تحـــديد نوع القيم المتضمنة فى هـــذه الكتابات وهـــل تتسم بالسلبية أم الايجابية أم بدون قيم .

(جـ) فئـــات الجمهور المستهدف :

وقـــد صنفت الموضوعات أيضا طبقا لجنس كاتب المقال وطبقـــا لفئات الجمهور الذى تركز عليه المواد الاعلامية المنشورة عن المرأة وقـــد تم تقسيم الجمهور المستهدف الى ثلاث فئـــات وذلك من واقـــع العينات التى تم تحليلها .

١ ـ نســـاء المـدن .

٢ ـ نســـاء البـــادية .

٣ ـ نســـاء ورجـــال عـــام .

وقـــد تم تقسيم الجمهور المستهدف من حيث الحالة الاجتماعية الى :

متزوجات وغير متزوجات ومطلقات . أما من حيث التعليم والمهنـــة فقـــد جاء التقسيم كما يلى :

متعلمات ـ (طالبـــات ـ موظفـــات) ـ غير متعلمات ـ (ربات بيـــوت ـ عـــاملات) .

الصحافة الكويتية وقضايا المرأة

١ ــ مجلة أسرتى الأسبوعية .

٢ ــ جريدة الوطن اليومية .

مجلة أسرتى الكويتية :

تتضمن المجلة الأبواب التالية :

١ ــ الأبواب الثابتة :

تم تقسيم الأبواب الثابتة فى المجلة وعددها ٢٦ بابا الى ثلاثة أنواع حسب دورية نشرها :

١ ــ باب دائم : وهو الذى ينشر فى جميع الأعداد .
٢ ــ باب شبه دائم : وهو الذى ينشر فى معظم الأعداد .
٣ ــ باب غير دائم : وهو الذى ينشر فى أعداد متفرقة بصفة غير منتظمة .

وبعض هذه الأبواب يخصص للاعلانات بصفة دائمة أو بصفة مؤقتة .

١ ــ الأبواب الدائمة وعددها ٦ أبواب وهى :

١ ــ بأقلامهم .
٢ ــ لكم مع تحيات .
٣ ــ نادى العصافير .
٤ ــ مجلة الأناقة (اعلانى) .
٥ ــ مطبخ أسرتى .
٦ ــ محطات فنية .

٢ ــ الابواب شبه الدائمة وعددها ١٢ بابا وهى :

١ ــ أنت والنجوم .
٢ ــ بيتك الجميل (اعلانى غالبا) .
٤ ــ العودة الى الخيمة .
٥ ــ الدنيا لوجهها .
٦ ــ كلام للكبار .
٧ ــ حوار مع امرأة طبيبة .
٨ ــ فى التوعية الأسرية .
٩ ــ من داخل وجدانها .

١٠ ــ نوافــذ مفتــوحة .

١١ ــ همســــــــــة .

١٢ ــ المرأة خــارج الحــدود .

٣ ــ الأبواب غير الدائمة وعــددها ٨ أبواب وهى :

١ ــ من هنــا وهنــاك .

٢ ــ كيف تتعلمين فى الخيــاطة .

٣ ــ قضــايا وقــراء .

٤ ــ من أحــلى ما قرأت .

٥ ــ مــع خبيرة التجميل (اعــلانى) .

٦ ــ المرأة فى حيــاة كبار القــادة .

٧ ــ حــديث الصــور .

٨ ــ رحــلة حــول انســان .

اهم القضايا التى عــولجت فى مجلة أسرتى :

أولا ــ القضــايا الاجتماعيــة :

١ ــ انحراف الأحــداث ، وتأثير أفلام العنف على الطفل الكويتى ، وتجــارب فى عــلاج الجريمة .

٢ ــ عــدم الانجاب ، مراكز وقاية الأمومة والطفولة .

٣ ــ تهــدم المنازل وخطورتها على السكان .

٤ ــ الخــدمة الاجبارية للوطن بالنسبة للفتيات .

٥ ــ تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ، المعاملة بين الجنسين .

٦ ــ قانون الأحوال الشخصية ، الخطبة ، اختيار شريك الحياة ، الزواج ، زواج الأجنبيات .

٧ ــ العــادات الغــذائية .

٨ ــ استعداد الأبنــاء للامتحانات .

٩ ــ الطــلاق والنشوز .

١٠ ــ ختــان البنات (علميا واجتماعيا) .

١١ ــ قــوانين عمــل المرأة .
١٢ ــ الصــداقة ، الحب الأفلاطــونى .

ثانيا ــ القضــايا الدينيــة :

١ ــ جوانب من حياة الرسول ، زوجات الأنبياء .
٢ ــ رأى الاسلام حــول دور الطب فى الانجاب .
٣ ــ الاســلام فى الــكويت .
٤ ــ المسلمون فىايطاليا وكينيا وأوربا وأمريكا .
٥ ــ عــلاقة الزوجين فى الاســلام .
٦ ــ نظرة الاســلام لزى المراة وأثرها فى المجتمع .
٧ ــ انشاء مراكز لتحفيظ القرآن ، التطور فى القرآن الكريم .
٨ ــ الذهب وعــلاقته بالاســلام .
٩ ــ حجم الحلال فى البنوك الاسلامية ، ضرورة قيام اقتصاد اسلامى .

ثالثا ــ قضــايا محليــة

١ ــ انجازات الانسان الكويتى (بمناسبة العيد القومى للكويت) .
٢ ــ الزراعــة فى الــكويت .
٣ ــ ترشــيد الســياحة .
٤ ــ تعــداد السكان الأخير .
٥ ــ غــلاء الأســعار .
٦ ــ مشاكل الوافــدين مــع ادارة الجوازات .
٧ ــ انقطــاع الــكهرباء .
٨ ــ أنشطة ــ جمعية « من الشعب العربى الى الشعب الأمريكى »
جمعية صــداقة عربية أمريكية .
٩ ــ أزمة التليفــونات .

رابعا ــ قضــايا خارجيــة :

١ ــ الأبناء الفقراء فى الأسرة البشرية .
٢ ــ ثــوار ارتيريا .
٣ ــ همــوم جزيرة فيلــكا .

خامسا ــ قضـــايا علمية وطبية :

١ ــ التـــوتر العصـــبى .
٢ ــ عـــلاج الابن الأعسر (الأشـــول) .
٣ ــ التأخر فى النطـــق عند الأطفـــال .
٤ ــ ظـــاهرة التـــوائم .
٥ ــ اكتشاف علمى لانجاب أطفال خارقى الذكاء .
٦ ــ التغـــذية السليمة وتغـــذية الطفل .
٧ ــ الخمـــور ومضـــارها .
٨ ــ فـــوائد الأســـبرين .
٩ ــ الغيبـــــوبة .
١٠ ــ تقلبـــات الجـــو .
١١ ــ اشـــعة الليزر فى العـــلاج .

سادسا ــ القضـــايا الثقافيـــة :

١ ــ تحسين الصـــورة العربية فى الخارج .
٢ ــ تعليم المرأة الكويتية .
٣ ــ دور التليفزيون فى حيـــاة الطفل والأسرة .
٤ ــ تحويل المجلس الوطنى للثقافة والفنون الى وزاره .
٥ ــ مؤتمر الأمم المتحدة للمرأة فى كوبنهاجن .
٦ ــ تدريس اللغـــات فى الكويت .
٧ ــ ضرورة فرض الرقابة على أشرطة الفيديو .

سابعا ــ القضـــايا الانثـــوية :

١ ــ الرجيم .
٢ ــ جراحـــة التجميـــل .
٣ ــ الباحثـــات عن الذكاء .
٤ ــ الصـــيف والعـــرق .
٥ ــ ســـن اليـــأس .
٦ ــ الرياضـــة المنزليـــة .

ثانيا — قضايا أدبية وفنية :

١ — المسرح السياسى .
٢ — حراس النجوم .
٣ — السينما العراقية .
٤ — المرأة فى قصص احسان عبد القدوس .
٥ — مسرح الطفل .
٦ — المرأة فى أدب نزار قبانى .
٧ — الحب والزواج فى أدب نجيب محفوظ .

نماذج من المرأة الغربية :

(أ) ملكة السويد .
(ب) ملكة هولندا .
(جـ) المرأة فى المانيا .
(د) المرأة الاسكندنافية .

نماذج من المرأة العربية :

١ — المرأة الفسطينية .
٢ — المرأة العراقية .
٣ — المرأة السودانية .

النتـــائج الأوليـــة :

١ ـ موضـــوع الغـــلاف :

ويلاحظ أن غلاف مجلة (أسرتى) كان اعلانيا فى معظم اعـــداد العينة موضع الدراسـة وعـــددها ٩ أعـــداد كما يظهر من الجـــدول التالى :

تاريخ العدد	موضـــوع الغـــلاف	مساحة التعليق عليـــه	اعلانى
٢ / ٢	مستحضرات تجميل (وجه فتاة جميلة)	ـ	ـ
٣/٢٢	وجه من الـــوان (جزء من مسلسلة موضوعات)	½ ٦ صفحة	ـ
٤/٢٦	مستحضرات تجميل (وجه فتاة جميلة)	½ صفحة	ـ
٥/٣١	الممثـلة المصرية بوسى (حـــديث عن الحب والزواج)	٣ صفحة	ـ
٦/١٤	فتاة فلسطينية (حـــديث حول تحرير المرأة)	٤ صفحات	ـ
٦/٢١	مستحضرث تجميل (وجه فتاة جميلة)	½ صفحة	ـ
٧/١٩	الصيف والعرق (مستحضرات تجميل ضـــد العرق)	٢ صفحة	ـ
٨/١٦	مواطنـــة من جامبيـــا (مؤتمـــر المرأة بكوبنهـــاجن)	٤ صفحات	ـ
٨/٣٠	مستحضرات تجميل (وجه فتاة جميلة)	½ صفحة	ـ

وبذلك يكون عـــدد الموضوعات الاعلانية ٥ موضـــوعات وعـــدد الموضوعات العامة ٤ موضوعات . وتتفاوت مساحات التعليق على موضوع الغلاف ففى غالب الموضوعات الاعلانية يتراوح التعليق بين ½ صفحة و ٢ صفحة تشمل اسم المستحضرات ومميزاتها أما فى الموضوعات العامة فهى تعالج كجزء من موضوعات المجلة لذلك تتراوح مساحتها بين ٣ صـــفحات و ٦ صـــفحات .

٢ — يتراوح عـــدد صفحات المجلة بين ٨٢ ، ٩٠ صفحة تخصص نسبة كبيرة منها للاعـــلانات المباشـرة وتتراوح مساحتها بين ½ صـــفحة و ٢ صفحة ، أو الاعلانات التحريرية التى تحرص المجلة على أن تنشرها داخل برواز أى مفصولة عن التحرير أو الاعلانات التى تنشر فى أبواب ثابتـــة بالمجـــلة وهى :

(أ) مجلة الأناقة : باب دائم تتراوح مساحته بين ٤ : ٨ صفحة .

(ب) بيتك الجميل : باب شبه دائم وتبلغ ٢ صفحة .

(جـ) مع خبيرة التجميل : باب غير دائم وتبلغ مساحته بين ١ صفحة .

وقـــد كانت مساحة الاعلانات ومساحة الأبواب الثابتة فى أعـــداد العينة وعـــددها ٩ أعـــداد كما يلى :

تاريخ العدد	مساحة لاعلانات عـــدد الصفحات	مساحة الأبواب الثابتة عدد الصفحات
٢/ ٢	٢٢	٤٧
٣/٢٢	٢٩½	٣٠½
٤/٢٦	٣٦½	٢٥
٥/٣١	٣٠½	٣٢
٦/١٤	٣٢	٣٥½
٦/٢١	٣٤½	٣٤½
٧/١٩	٢٠	٣٢
٨/١٦	١٦	٢٧½
٨/٣٠	١٤	٣١½

(*) مع ملاحظة تداخل مساحة الاعلانات مع مساحة الأبواب الثابتة فى الأبواب الثلاثة المذكورة ســـابقا .

٣ — من واقع تكرارات جـداول الموضوعات العامة يظهر ما يلى :

١ — بالنسبة لعـدد الموضوعات كان أكثرها من الموضوعات الخفيفة — مثل : الأرقام القياسية فى عالم المرأة . الباحثات عن الذكاء . الزواج بالكومبيوتر . (٩ مرات) وهى موضوعات شائعة فى المجلات النسائية . تليها موضوعات الطفل مثل : متحف الطفل : مسرح الطفل ، تأثير أفـلام العنف على الأطفال (٧ مرات) تتساوى معها الموضوعات الدينية مثل : المرأة فى الاسلام والعلاقات الزوجية كما جاءت فى الاسلام (٧ مرات) والمجلة تولى اهتماما كبيرا بالناحية الدينية حتى فى معالجتها لموضوعات اجتماعيـة كالزوج أو موضوعات سياسية كالدستور الكويتى ، كما يظهر اهتمـاما بأحوال المسلمين فى الخارج تكررت (٣ مرات) .

٢ — يليها من حيث عـدد الموضوعات : الطريق الى وجـدان السودان (١ : ٥ مرات) وهى تعكس الانتماء القومى للمجلة الذى يظهر فى معالجتها للموضوعات المختلفة لذا فهى تهتم بنشر سلسلة موضوعات عن السودان من النواحى الاجتماعية والسياسية .

٣ — تكررت الموضوعات العلمية (٥ مرات) التى تقـدم معلومات مبسطة وان كانت مترجمة فى معظم الأحيان الا أنها تحرص على تنمية عقول وقـدرات قارئاتها وعلى تقـديم مادة علمية تفيد القراء من الرجال أيضا .

٤ — الموضوعات المحلية (تكررت ٥ مرات) مثل الدستور الكويتى — ارتفاع الأسعار بالكويت التعـداد المحلى الأخير للسكان .

٥ — موضوعات : قانون الأحـوال الشخصية . الموضوعات الفنية نمـاذج من المرأة العربية ، الموضوعات الأنثوية بلـغ تكرار كل منهـا (٤ مرات) أى أنها نالت اهتماما متوسطاً من المجلة .

٦ — الموضوعات الأدبية ، نمـاذج من المرأة الغربية ، الزواج ، مؤتمر الأمم المتحدة فى كوبنهاجن ، المسلمون فى انجلترا وأمريكا وأفريقيا ... بلغ تكرار كل منها ٣ مرات .

ـ أما الموضوعات التى لم تنـل اهتماما كافيا ونشرت مرة واحـدة فقط فهى :

عـدم الانجاب ، القضايا الاجتماعية مثل قضية الفقر الذى تعـانى منه بعض المناطق فى الخليج ، مشاكل المواطنين مثل ارتفـاع الأسعار ، مشاكل الوافـدين مثل مشاكلهم مع ادارة الجوازات وفى السكن ، عمـل المرأة ، المساواة بين المرأة والرجل ، لقاءات نسائية .

من ناحيـة الشـكل :

(ب) بالنسبة للمساحة التى نشرت فيها الموضوعات من واقع جداول تكرارات الموضوعات العامة نلاحظ الآتى :

١ ـ تحتل موضوعات الطفل مركز الصـدارة فتبلغ مساحتها ٢٨٪ صفحة وهى فى نفس الوقت تحتل المركز الثانى من حيث عـدد الموضوعات ممـا يبرزاهتمام المجلة بالطفولة خاصة بالطفل الكويتى .

٢ ـ تأتى بعـدها الموضوعات الخفيفة وتبلغ مساحتها ١٨٪ وهى أيضا تأتى فى المركز الأول بالنسبة لعـدد الموضوعات وهـذا لا يعتبر مؤشرا عاما لاتجاه المجلة نحـو الموضوعات الخفيفة ولكنه يرجع الى تعدد هـذه الموضوعات وانتشارها فى أعـداد العينة موضع الدراسـة ممـا جعل الموضوعات الخفيفة تتصـدر القائمة .

٣ ـ ثم تأتى الموضوعات المحلية وموضوعات الأحـوال الشخصية وتبلغ مساحتها ١٧ صفحة مثل الدستور الكويتى ـ تعداد سكان الكويت .

٤ ـ اخيرا تأتى الموضوعات الدينية وتبلغ مساحتها ١٥ صفحة وهى فى نفس الوقت تحتل المركز الثانى من حيث عـدد الموضوعات مما يعكس الموضوعات ممـا يعكس الاتجاه الاسلامى الواضح للمجلة .

من ناحيـــة الجمهور المستهدف :

(أ) بالنسبة لجنس المحررين :

١ ـــ فى الأبواب الثابتـــه :

١ ـــ كانت معظم الأبواب غير موقعة وبلغ عـــددها ١٤ بابا منهم ٤ أبواب دائمة و ٥ أبواب شبه دائمة و ٥ أبواب غير دائمة .. ويلاحظ أن طبيعة مضمون هـــذه الأبواب لا تحتم ضرورةذكر اسم المحرر .

٢ ـــ كان عـــدد المحررات المذكورة أسمائهن ٨ محررات ويلاحظ أن نوعية الأبواب الثابته التى تقوم بتحريرها محررات من النساء ذات طبيعة انثوية مثل « كيف تتعلمين فن الخياطة » و « من داخل وجـــدانها » و « حوار مـــع امرأة طيبـــة » .

٣ ـــ بلغ عـــدد الكتاب من الرجال ٦ بالنسبة للأبواب الثابته وبعض هـــذه الأبواب يشترك الجنسيان فى تحريرها مثل « نوافـــذ مفتحوـــة » و « بأقـــــلامهم » .

٤ ـــ عـــدد الأبواب الثابته ٢٦ بابا يوجـــد منهم ٢٤ بابا غير موقـــع بنسبة ٥٠٪ ، كما يوجـــد ٨ أبواب موقعة بأسماء نسائية بنسبة ٣٥٪ وتوجـــد ٦ أبواب موقعة بأسماء رجال بنسبة ٢٥٪ تقريبا ، مـــــع ملاحظة وجود بابين يشترك فى تحريرهما محرران من الجنسين .

٢ ـــ وفى الموضوعات المتغيرة :

١ ـــ يتفوق المحررون من الرجـــال فيبلغ عـــدد موضـــــوعاتهم ٣٩ موضوعا من ٨٥ موضوع هم اجمالى عـــدد الموضوعات فى العينة .

٢ ـــ يليها الموضوعات غير الموقعة ٣٢ موضوعا .

٣ ـــ فى النهاية تأتى الموضوعات الموقعة بأسماء نسائية ١٥ موضوعا .

واذا وضعنا فى اعتبارنا الصفة العمومية التى تتصف بها معظم مواد المجلة لرأينـــا أن الموضوعات العـــــامة لا يشترط أن يحررها محرورون رجـــال أم نســـاء .

(ب) بالنسبة لفئـــات الجمهور المستهدف :

أ ــ الأبواب الثابتـــه :

١ ــ تحظى (نســاء المـــدن) بأهمية ملحوظة من قبل المجلة فتخصص لهـــا نسبة كبيرة من الأبواب فعلى مستوى الحـــالة الاجتماعية : تحظى المتزوجات باهتمام أكبر (٢ باب) بينما تحظى غير المتزوجات والمطلقـــات باهتمام متساو (باب واحـــد) ويأتى ذكرهن فى احـــدى حلقات باب معين .

٢ ــ بالنسبة للتعليم والمهنة تحظى المتعلمات بصفة عامة باهتمام كبير (٦ أبواب) بنسبة ٢٥٪ دون توجيه اهتمام معين للطالبات أو للموظفـــات كل على حـــدة أما ربات البيوت فلا يوجـــد لهن الا باب واحـــد هو « مطبخ أسرتى » ويقـــدم طرق صنع أصناف الطعام .

٣ ــ أما بالنسبة لنساء البادية فهن ينلن اهمالا فى معظم مواد المجلة واذا وجـــه حـــديث للطالبات أو المتزوجات فيوجه بشكل عام دون تخصيص هـــذه الفئـــة من البـــادية .

٤ ــ بالنسبة لفئـــات الجمهور الأخرى (رجال ــ شباب ــ عام) فنادرا ما يخصص لها باب ثابت واذا وجه الحـــديث للشاب فهو كابن أو كزوج للمستقبل واذ اوجه للرجل فيوجه له كزوج أو كأب .

٥ ــ معظم الأبواب الثابتة تخاطب اهتمامات عامة (١٣ بابا) بنسبة ٥٠٪ .

٦ ــ وجه الحـــديث مرتين للمرأة القادرة ماديا من خـــلال الأبواب الاعلانية غالبا ، ومرتين للمرأة فى المدينة ومرتين للمرأة بصفة عامة ، ويرجع هـــذا الى ميل المجلة لعـــدم تخصيص فئـــة معينة من النساء بباب معين يخاطبهـــا .

ــ يوجـــد باب للأطفال وهـــو « نادى العصـــافير » هـــذا عـــدا الموضوعات العامة التى تعالج قضاياه .

٢ — وفى الموضــوعات المتغيرة :

١ — نالت نساء المدن الاهتمام الأكبر بينما كانت نسبة الاهتمام بنساء البــادية لا تذكــر .

٢ — بالنسبة للحالة الاجتماعية وجهت معظم الموضوعات الى المتزوجات (٢٤ موضــوعا) ، تليها المطلقات (٤ موضوعات) عند الحــديث عن قانون الأحوال الشخصية وعن النشوز كدفاع عن حقوق المطلقات .

٣ — أما غير المتزوجات فقد لاقين اقــل اهتمام (موضوعين فقط) وبالنسبة للأرامل لم توجــه لهن أية موضوعات .

٤ — من ناحية مستوى التعــليم والمهنــة : كان نصيب المتعلمــات (١٣ موضــوعا) .

٥ — وجه موضوع واحــد لكل من الموظفات والعاملات عن تعــديل قوانين عمــل المرأة وطالب الموضوع بعودتها للبيت وحرمانها من العمل .

٦ — بالنسبة لغير المتعلمات خصص موضوعان لربات البيوت عــن الطهى وتربيــة الأطفــال .

ملاحظــات أســاسية :

١ — توجه مجلة أسرتى اهتماما خاصا للموضوعات الدينية فتهتم بأخبار المسلمين فى الخــارج وحتى فى معــالجتها للموضوعات الاجتماعية كالزواج والعلاقات المــالية بين الأزواج فهى تعالجها من خلال رؤية دينية .

٢ — تولى المجلة اهتماما خاصــا بالأمومة والحمل والوضع فتقــدم سلسلة موضوعات علمية بعنوان « على عتبة الأمومة » (١١ حلقة خــلال الأعــداد المتوفرة من المجــلة) .

٣ — رغم هــذاالاهتمام بالحمل فهى لا تشجع كثرة الانجاب ويظهر هــذا فى موضوعات مثل تنظيم الأسرة واختراع حبوب يتناولها الرجل لمنع

الحمل . كما يظهر فى سلسلة مقالات بعنوان «الخروج من كابوس عدم الانجاب » تظهر فيه الجانب الايجابى من حياة العظماء الذين لم ينجبوا ومساوىء الاكثار من الأولاد .

٤ — بتواكب اهتمامها بالطفولة مع اهتمامها بالأمومة فهى تشجع تكوين أسرة متماسكة متمسكة بدينها أطفالها أصحاء يستطيعون خدمة الوطن لذلك فهى تخصص بابا خاصا للأطفال « نادى العصافير » الى جانب الموضوعات العامة التى تعالج قضاياهم ويهم « نادى العصافير » بتنمية القدرات العقلية للطفل بالمسابقات ودفعه لمراسلة المجلة وتنمية الذوق الفنى بتلوين الصور كما تنمى احساسه بوطنه من خلال جولات سياحية فى الكويت وتنمى احساسه بقوميته العربية من خلال الحديث عن بعض البلاد العربية .

٥ — تتشابه بعض أبواب المجلة مثل : « من هنا وهناك » و « نوافذ مفتوحة » و « كلام للكبار » و « المرأة خارج الحدود » فمعظمها أخبار منوعة أو تحقيقات من الخارج .

ومثل « همسة » و « لكم مع تحيات » فالمضمون متشابه مع اختلاف طفيف فكل منهما يعتمد على النقد الاجتماعى ولكن « همسة » يعتمد على المناقشة الجدية المدعمة بالاحصاءات بينما يعتمد « لكم مع تحيات » على الأسلوب الساخر المختصر .

٦ — تخاطب بعض موضوعات المجلة المرأة من خلال عقلها وتعمل على تنمية ثقافتها فمثلا تدعو للعناية بالجلد لأنه خط الدفاع الأول فى الجسم وليس لأنه الجزء الظاهر للآخرين مع وجود موضوعات أخرى تخاطبها كأنثى فى المقام الأول مثل الأزياء — الطهى — عمليات التجميل — الرجيم ... الخ .

٧ — قضية الصداقة بين الرجل والمرأة والمساواة تلقى اهتماما من القراء وتتراوح آراوءهم بين التاييد والمعارضة وتنشر فى الباب المخصص لرسائل القراء « بأقلامهم » .

٨ — لا توجــه المجلة اهتماما خاصا للمرأة فى البادية ويذهب اهتمامها الى نســاء المدينة فقط .

٩ — تعارض المجلة عمل لمرأة وتدعــو لعودتها الى المنزل بالرغم من انها تنشر موضوعات اخرى تقــدم نماذج ناجحة للمراة العاملة فى ميــادين مختلفة . وكذلك بالنسبة للمساوا ةفهى تشجع قوامة الرجـل على المراة وتستند فى كلا الموقفين الى اسانيد دينية واجتماعية فى الغالب فمثلا نشرت المجلة موضوعا عن تعـديل قوانين عمـل المراة طالب بعودتها الى البيت ومنعها من العمل بحجة حاجة البيت والطفل الى جهودها .... وهى فى نفس الوقت تنشر احاديث المراة العاملة الناجحــة فى الصحافة أو التدريس أو العمـل الاجتمــاعى .

١٠ — القوالب الصحفية المستخدمة غير محــددة تحـديدا علميـا دقيقا فأحيانا ينشر حــديث معين وقــد كتب فوقه « تحقيق أجراه ... » .

١١ موضوعات الغلافة معظمها اعلانية . كما توجــد بعض الاعلانات التحريرية محاطــة باطار يميزها .

١٢ — تهتم المجلة بالدول العربية خاصــة السودان فقــد نشرت سلسلة موضوعات عن السودان من كل الجوانب وعن المرأة السودانية .

١٣ — تبدى المجلة اهتماما بالمرأة الاوربية كنموذج للمرأة العاملة كما تروج للأزياء والأثاثات الأوربية لأنها عصرية .

١٤ — يلاحظ ان جزءا كبير من المواد المنشــورة مترجم وفى اغلب الأحيــان لا يذكر مصــدره .

١٥ — تلقى المرأة المعربية بعض الاهتمام من المجلة خاصــــة المرأة العراقيــة والفلســطينية .

١٦ — تهتم المجلة بتقــديم نمــوذج للقول « وراء كل عظيم امرأة » لكن دائما غربية وتقتصر على زوجات الزعمــاء .

١٧ ـ أصدرت المجلة أعـداداً خاصة بمناسبة عيد الأسرة وبمناسبة العيد القومى للكويت كما اهتمت بزيادة كمية الموضوعات الدينية خـلال شـهر رمضـان .

١٨ ـ تبدى المجلة اهتماما خاصا بقانون الاحوال الشخصية وبحقوق المطلقات وتبدى اهتماما بمشاكل الوافـدين بمثل ما تهتم بمشاكل المواطنين .

١٩ ـ تطبع المجلة طباعة فاخرة وتهتم بالصورة وتخرج فى شـكل جيد وأغلب موضوعاتها مصحوبة بصورة .

جريدة الوطـــن الـــكويتية :

أهم القضايا الخاصة بالمرأة التى عالجتها جريدة الوطن الكويتية :

أولا ــ القضـــايا الاجتماعيـــة :

١ ــ جريدة المرأة .
٢ ــ عمـــل المرأة فى الصـــحافة .
٣ ــ العادات الشرائية السيئة (الأوكازيونات) .
٤ ــ الزواج .
٥ ــ تربيـــة الطفـــل .
٦ ــ الطـــــــلاق .
٧ ــ جمعيـــة المعـــوقين .
٨ ــ تولى المرأة المناصب القيادية .
٩ ــ الأندية النســـائية .
١٠ ــ العـــلاقات الزوجيـــة .
١١ ــ الرضـــــاعة .
١٢ ــ فـــراغ الشـــباب .
١٣ ــ نظرة المجتمـــع للمرأة .

ثانيا ــ القضـــايا الدينيـــة :

١ ــ حقـــوق المرأة فى الاســـلام .
٢ ــ أثر المرأة المسلمة فى بنـــاء المجتمعات .
٣ ــ مكانة الأم فى الاســـلام .

ثالثا ــ القضـــايا السياســـية :

١ ــ حـــق الترشيح والانتخابات للمرأة الكويتية .
٢ ــ تعـــديل قانون الانتخاب .

رابعا ــ القضـــايا الثقـــافية :

١ ــ صـــورة المرأة فى الثقافة والفنون والاعلام .
٢ ــ عـــلاقة ثقـــافة المرأة بزواجها .

خامسا ـ قضايا أخرى :

١ ـ المرأة فى حب المتنبى .

٢ ـ عرض أزياء .

المؤشرات الوصفية :

١ ـ لا تخصص جريدة الوطن فى أعدادها العادية ركنا خاصا للمرأة ولكن تخصص صفحتين ٣ ، ٤ للمجتمع وتنشر فيه أخبار سيدات المجتمع وصورهن ويوضع لبعضها عناوين فرعية مثل « مغادرون ـ قادمون » لأخبارهن كما ينشر عمود ثابت « شىء اجتماعى » فى العمود الأخير أعلى الصفحة ويخصص للنقد الاجتماعى بصفة عامة وليس لشئون المرأة فقط وتتبادل كتابته مجموعة من المحررات .

مع ملاحظة ان الصفحتين المخصصتين للمجتمع نادرا ما تنشرا كاملتين بل تحتويان على اعلانات وموضوعات خفيفة .

٢ ـ أحيانا تنشر صفحة المجتمع موضوعات للمرأة بصفة غير منتظمة وأحيانا تنشر صورا من بعض عروض الأزياء .

٣ ـ تخصص الصحيفة صفحة كاملة فى الصفحات الأخيرة للطفل بعنوان « عصافير الوطن » وينشر بعض المعلومات العلمية المصورة وصور للأطفال ومسابقات للكلمات المتقاطعة . وتهتم بتنمية القدرات العقلية للطفل .

٤ ـ فى العدد الأسبوعى من الجريدة (الهدف) توجد صفحتان للاجتماعيات لا تختلفان عن مضمون الصفحتين فى أى عدد آخر ، أما فى الملحق المصاحب له فتوجد صفحة كاملة للمرأة وأخرى للمجتمع . وتتضمن صفحة المرأة أزياء وديكورا من الغرب وعمودا فى أعلى الصفحة بعنوان (كلمة) يخصص للقضايا الاجتماعية .

٥ ـ فى ملحق الهدف ينشر أحيانا باب أسبوعى فى شكل قصص بعنوان « مذكرات زوج طالما فكر بالطلاق وأسبابه » .

٦ — بمناسبة حلول شهر رمضان كثرت المواد التى تعالج مكانة المرأة فى الاســلام فى اطار الموضوعات الدينية .

٧ — تخصص الصفحة الأخيرة للأخبار المصورة للفنانين العالميين ونجوم المجتمع الأوروبى وأكثرهم من السيدات مــع صور من بعض المحلات الغربية وهى تروج لمفاهيم غربية وتظهر المرأة العربية فى صورة محببة .

٨ — تخصص صفحة كاملة من عــدد الاثنين من كل أسبوع للشباب بعنوان « الجيل الجــديد » تنشر أحيانا أخبارا وتحقيقات عن الطالبات مثل رفض الطالبات العربيات اللاتى درسن فى جامعة بيروت أن يعــدن الى بلادهــن بعــد التخرج .

النتــائج الأوليــة :

١ — معظم القضايا التى تناولتها جريدة الوطن — اجتماعية فى المقام الأول مثل حرية المرأة ، الزواج ، فراغ الشباب ، الطــلاق ، الرضاعة ، نظرة المجتمع للمرأة ... الخ (١٣ قضــــية) تليها الموضوعات الدينية (٣ قضايا) وتركز على صورة المرأة فى الاسلام ، تأتى بعــدها الموضوعات السياسية مثل حــق الترشيح والانتخابات للمرة الكويتية (قضيتين) ، ثم تأتى القضايا الثقافية مثل صورة المرأة فى وسائل الاعلام وثقافــــة المرأة (قضيتين) ، وهناك قضايا أخرى متنوعة مثل : المرأة فى شــعر المتنبى ، عــروض أزيــاء .

٢ — بمراجعة أعــداد العينة (٢١ عــددا) لوحظ أن عــدد الأعــداد التى لم تنشر موضوعات المرأة ٧ أعداد أى ثلث العدد بنسبة ٣٣٪ تقريبا .

٣ — من واقع جــداول التكرارات يظهر لنــا ما يأتى :
بالنسبة لفئــات المضمون :

(أ) عــدد القضايا الرئيسية (٢٧ قضية) :

— احتلت قضية الزواج المكانة الأولى بين الموضوعات (٣ موضوعات)

يليها موضوعات : تحرير المرأة ، تربية الطفل ، ونظرة المجتمع الى المرأة (وتكررت كل منها مرتين) .

(ب) بالنسبة لنوعية المـــادة الاعلامية :

فى المكان الأول نجـــد الراى (١٧ موضوع) يليـــــه الحـــديث (٦ موضوعات) ثم التحقيق (٣ موضوعات) وأخيرا يأتى الخبر (خبران فقط) ، ويرجع الاهتمام بقالب الرأى الى أنه من أنسب القوالب لمعالجـــة قضـــايا المرأة خاصة وان الجريدة لا تولى اهتماما لأخبـــار المرأة الا ما ينشر منهـــا فى صفحة الاجتماعيات .

— هـــذا وقـــد ساد قالب الرأى فى الموضوعات الاجتماعية (١١ موضوع) وكذلك بالنسبة للموضوعات الدينية (موضوعان) وللموضوعات السياسية (موضوعان) وللقضايا الثقافية (واحد من الموضوعين الثقافيين) ، وكذلك بالنسبة للقضـــايا الأخرى .

(د) بالنسبة لاتجـــاه المـــادة :

غلب عليها الاتجاه المؤيد لحقوق المرأة وحريتها (١١ موضوعا) .

قضـــايا المراة فى صــحف الامارات العربية المتحـــدة وتتضمن :

١ ــ مجـلة الأزمنـــة العربية	الشـــارقة
٢ ــ جريدة الاتحــــــاد	أبو ظبى
٣ ــ مجـلة زهرة الخليج	أبو ظبى

أ ـ مجـلة الأزمنـة العربية :

أهم القضايا التى طرحتها مجلة الأزمنة العربية حـول المراة فى الامارات خـلال عام ١٩٨٠ .

أولا ـ القضـايا الاجتماعيـة :

١ ـ تحرير المراة (المساواة) .
٢ ـ عمـل المراة وتعليمهـا .
٣ ـ الزواج .. خاصة زواج المواطنين من الأجنبيات والمغـالاة فى المهـور .
٤ ـ صـداقة الرجـل والمراة .
٥ ـ انحراف الشباب (أخـلاق الفتاة) .
٦ ـ العـلاقة بين الآباء والأبنـاء .
٧ ـ مظهر المراة الخليجية وتقليدها للأوروبيات (الحجاب) .
٨ ـ الجمعيات النسائية فى الامارات .
٩ ـ الطلاق ـ الترمل ـ الجنسية ـ بناء دور الأيتام (بصـورة عارضـة) .
١٠ ـ مراكز التنمية الاجتماعية والحاجة الى مشروعات الأسر المنتجة .
١١ ـ أخلاقيـات الفتـاة وسلوكياتها .
١٢ ـ انتشار الجريمة فى الامارات (الدعارة ـ الاغتصاب ـ الشذوذ) جرائم متعلقـة بالمراة .
١٣ ـ نماذج من المراة العربية مثل المرأة اليمنية والمراة المغربية .
١٤ ـ تكريم النساء فى الاسلام ونماذج من المراة المسلمة وقضـايا الصـداق والزواج فى الاسـلام .
١٥ ـ دور الحضـانة .
١٦ ـ منـع الحمـل .
١٧ ـ الاختـلاط .
١٨ ـ ترشيد الاستهلاك (الأوكازيونات) .
١٩ ـ دخول المراة مجالات عمل جـديدة (الشرطيات)

ثانيا ــ القضــــايا الثقــافية :

١ ــ دور المرأة المثقفة فى المجتمع .
٢ ــ الجانب الثقافى من أنشطة الجمعيات النسائية .
٣ ــ أحجام الجامعيات عن المشاركة فى أنشطة الجمعيات النسائية .
٤ ــ الصحافة النسائية ودورها فى المجتمع .
٥ ــ اشراك المرأة فى المجالس البلدية والمجلس الوطنى .
٦ ــ صــــورة المرأة فى وســـائل الاعلام .
٧ ــ رأى بعض الأدباء فى المرأة الخليجية .
٨ ــ باب حــل المشكلات العاطفية فى الصحف .

ثالثا ــ القضــــايا السياســـية :

١ ــ اشتغال المرأة بالسياسة (أثناء الحديث عن أنشطة الجمعيات النســــــائية).

٢ ــ اشراك المرأة فى مجالس البلديات والمجلس الوطنى .

٣ ــ حــق المرأة فى الترشيح والتصويت فى الانتخابات .

وهكذا نرى ان معظم القضايا الخاصة بالمرأة قضايا اجتماعية .

النتــائج الأوليــة :

١ ـــ يلاحظ أن موضوعات المرأة لا تقـــدم منفصلة عن الموضوعات العامة ولا يوجـــد باب منفصل لهـــا الا باب « الصوت الآخر » المخصص لرسائل القراء وردودها التى تمس موضوعات المرأة ومعظم الرســـائل التى ينشرها بقلم قارئات .

٢ ـــ معظم الموضوعات المطروحة اجتماعية فى المقام الأول ويتصدرها قضية تحرير المرأة والتعليم والعمل والزواج والأخلاق تليها الموضوعات الثقافية مثل دور المرأة المثقفة فى المجتمع وأخيرا تأتى الموضوعات السياسية مثل مشاركة المرأة فى المجالس البلدية .

٣ ـــ تقبل المرأة فى الخليج على المشاركة فى الصحافة سواء بالعمل فى المجلة (ونسبة كبيرة من الموضوعات موقعة بأسماء محررات وتتسم هذه الموضوعات بالجرأة والالتزام بخط اجتماعى متقـــدم) كما تقبل القارئات على ابداء رأيهن فى المسائل التى تطرحها المجلة .

٤ ـــ تتسم معظم كتابات الرجل عن المرأة بالتحفظ والرجعية ويطالب بعضهم بعودتها للمنزل ومنعها من التعليم بينما يبدى أقليـــة منهم اهتماما بقضايا المرأة ويناقشونها بموضوعية وتفهم .

من الناحيـــة الاعـــلامية :

١ ـــ بالنسبة لنوعية المـــادة الاعلامية يغلب عليها قالب الرأى وقـــد يرجع هـــذا لاستعانة المجلة برسائل القراء عند الحـــديث عن قضايا المرأة ويغلب على هـــذه الآراء استخدام أسلوب السرد أو الاستشهاد .

٢ ـــ يقـــل استخدام الصور فى موضوعات المرأة فقـــد يرجع هـــذا لغلبة جانب الرأى ولكنها تنشر مصاحبة للتحقيقات النسائية وكلهـــا بلا استثناء صـــور موضوعية وليست شخصية .

٣ ـــ يغلب على اتجاه المواد الاعلامية المنشورة عن المرأة التأييـــد لحـــق المرأة فى العمل والمشاركة الاجتماعية والسياسية ممـــا يثير ردود

فعــل تمثل النقيض اى المعارضة لهــذه الاتجاهات ويقــل ظهور التوازن أو الحيـــاد [*]

٤ ــ الجمهور المستهدف غير واضح فى بعض المواد الاعلامية (وقــد يرجع هــذا الى أن موضوعات المرأة تطرح كموضوع عام وان كان معظمها يوجه الى الطالبات وربات البيوت) .

٥ ــ يلاحظ أن الموضوعات الموجهة للمرأة بمخاطبة العقل وتنميــة القــدرات الفكرية للقارئات ولا تخاطب الغرائز أو تخاطب المرأة كأنثى كما ظهر فى معظم الصحف الأخرى خاصـــة المجلات النسائية كما تتسم كتابات المرأة عن نفسها بالموضوعية وغالبــــا ما تستند الى الاستشهاد بالقرآن ولتأكيد حقها فى التعليم والعمل [*]

جريدة الاتحـــاد :

أهم القضايا التى ناقشتها جريدة الاتحـــاد :

١ ـــ تحـــرير المـــرأة .
٢ ـــ مهنـــة التمـــريض .
٣ ـــ تحسين أوضاع المرأة العـــاملة بالبحرين .
٤ ـــ الطـــــــلاق .
٥ ـــ تربيـــة الأطفـــال .
٦ ـــ الاســـلام حجاب المرأة (أخلاقيـــا) .
٧ ـــ عمـــل المرأة .
٨ ـــ الـــزواج .
٩ ـــ نمـــوذج لأسرة مواطنـــة .
١٠ ـــ فصـــول مسائية للسيدات .
وكل القضـــايا اجتماعية .

النتـــائج الاســـتطلاعية :

١ ـــ لا تخصص الجريدة ركنا منفردا للمرأة وللمجتمع وانمـــا تأتى موضوعاتها ضمن الموضوعات العامة .

٢ ـــ يخصص العـــدد الأسبوعى « الاتحاد الأسبوعى » صفحة كاملة للأسرة بعنوان « الأسرة السعيدة » نموذج من المرأة العاملة ونصائح للمرأة رســـائل القارئات ورد المحررة عليها ، ورأى لاحـــدى الشخصيات العامة فى المرأة ونصائحه لهـــا ، كما تقـــدم مواد عن الطهى والاستثمارات الطبية والتغـــذية والأزياء .

٣ ـــ كانت جميع القضايا التى تمس المرأة التى عالجتها الجريدة خلال فترة الدراســـة قضايا اجتماعية .

٤ ـــ تحتل قضايا : الزواج وغـــلاء المهور والطلاق اهتماما خاصا فى الموضوعات التى تقـــدمها الجريدة .. وهى من القضايا الاجتماعية التى تشغل صـــحف الخليج بصفة عامة .

مجـــلة زهرة الخليج :

ونظرا لعــدم كفاية الأعــداد نكتفى بالغــــاء نظرة استطلاعية فى الأعـــداد المتوفرة لحصر أهم الأبواب الثابتة والموضوعات لمتغيرة .

الابـــواب الثابتـــة :

١ ــ **وتحيــاتى اليــك :**
كلمة رئيسة التحرير حــول موضـــوع اجتماعى غالبـــا مساحتها (١ صــــفحة) .

٢ ــ **مشــكلاتك لهــا حــل :**
مشاكل عاطفية والرد عليها (٥ صفحات) .

٣ ــ **منــك اليــك :**
الانتاج الأدبى للقراء ومعلومات عامة (صفحتان) .

٤ ــ **من هـــواة الصـــحافة :**
موضوعات يكتبها هواة الصحافة من القراء (صفحتان) .

٥ ــ **دليــل الى فن التفصيل والخياطة :**
دروس للخيـــاطة تنشر فى حلقــات (صفحتان) .

٦ ــ **أزيـــــاء :**
موديلات غربية وصـــورة (صفحتان) .

٧ ــ **ديكـــــور :**
صـــور لبعض الأثاثات العصرية (صفحتان) .

٨ ــ **من عيــادتك الخاصـــة :**
موضوعات طبية واستشارات مزودة بصور ورسوم (صفحتان) .

٩ ــ **مــائدة الأســبوع :**
طريقة صنع بعض أصناف الطعام مـــع الصور الملونة .. لا تكثر من استخدام الألفـــاظ الغربية (صفحتان) .

١٠ ــ فــــن :

حــديث مع احــدى الممثلات فنى وشخصى (صفحتان) .

١١ ــ نافــذة على الثقــافة :

عرض لكتاب معين (صفحتان) .

١٢ ــ فى الطــريق اليــك :

قصة فيلم تنتج حاليا مــع بعض الصور (٤ صفحات) .

١٣ ــ اطلبــوا العــلم :

معلومات علميــة طريفة (١ صفحة) .

١٤ ــ المــرأة المســلمة :

موضوعات دينية للمرأة (٣½ صفحة) .

١٥ ــ من هنــا وهنــاك :

لقطات مصورة وأخبار المجتمع (٤ صفحات) .

١٦ ــ من خارج الحــدود :

لقطات مصورة للمرأة فى الخارج (صفحتان) .

١٧ ــ تســــالى :

مسابقات الكلمات المتقاطعة ومسابقات أخرى (١½ صفحة) .

١٨ ــ من آدم لحــواء ومن حــواء لآدم :

ماذا يقــول كل الجنس للجنس الآخر .. وبمـــاذا يرد عليه تنشر فى شـــكل رســـالتين (½ صفحة) .

١٩ ــ لقــاء مــع الحظ :

تنبــوءات الفــلكين (١ صفحة) .

٢٠ ــ صــفحة الرأى والفكرة :

آراء القــراء (صفحتان) .

٢١ — خــواطر انســانة :

احــدى القارئات تكتب خواطرها وأمانيها (صفحتان) .

٢٢ — ملامح امرأة عاملة :

لقاء مع احــدى العاملات وآرائها فى المجتمع (١½ صفحة) .

٢٣ — يوميات على الطريق :

أحــد المواقف اليومية لاحــدى السيدات العاملات (½ صفحة) .

٢٤ — واســألوا المجربين :

بعض التجارب فى الأعمال المنزلية (١ صفحة) .

*** الموضــوعات المتغــيرة :**

أولا — الموضــوعات الاجتماعيــة :

١ — العــادات الشرائية عبر السنين .
٢ — غــلاء المهــور .
٣ — تعــليم المــرأة .
٤ — مشاكل الطالبــات فى المدارس .
٥ — اللجان الاجتماعية فى الجمعيات النسائية .

ثانيا — الموضــوعات القــومية :

١ — رسالة الكويت : معاهد المعوقين والصم والبكم والمكفوفين .
٢ — رسالة البحرين : الحركة النسائية فى البحرين — دوافع المرأة البحــرينية .

ثالثا — الموضــوعات الخفيفــة :

١ — طريقة طريفة لحمــل الطفل .
٢ — عــلاقة الفاكهة بالجمــال .
٣ — أزياء قــديمة وطريفة .
٤ — مسابقات الشطرنج فى الامارات .

٥ — **صورة وكلمة** : صورة طفل جميل وكلمة عن أهمية التغذية الطفل .

٦ — هوايات الأسرة والاستفادة من بقايا المنزل .

٧ — قصة مترجمة . أ

٨ — علم قراءة الكف .

ملاحظات عامة حول المجلة :

١ — لا تختلف عن معظم المجلات النسائية العربية فى اهتمامها بالأزياء والطهى والتفصيل والقصص والتسلية والفن وتربية الطفل ... الخ .

٢ — أغلب موضوعاتها موجهة للمرأة المتعلمة .

٣ — بعض الأبواب الثابتة مضمونها متشابهة .. وكان من الممكن ضغطها فى عدد أقل من الأبواب مثل « منك واليك » و « صفحة الرأى والفكر » وكذلك « من خارج الحدود » و « من هنا وهناك » .

٤ — الاعلانات نادرة فى هذه المجلة وهى ظاهرة ملفته للنظر بالنسبة للمجلات النسائية .

٥ — عدد المحررات أكبر من عدد المحررين من الرجال .

٦ — الموضوعات المتغيرة وموجهة للمرأة فى الغالب وليست عامة .

الصحافة البحرينية وقضـــايا المرأة

أسفرت الدراسة الاستطلاعية لمجلتى المواقف والبحرين من خـــلال الأعـــداد المتورفة خـــلال فترة الدراسة وهى سنة ١٩٨٠ عن الملاحظـــات التاليـــــة :

١ ــ تهتم مجلة المواقف بالشـــئون المحلية فى الأســاس تليها الشـــئون العلمية ولا تخصص ركنا منفردا للمرأة أو للمجتمع أو للطفل . ويتـــوزع اهتمامها بقضايا المرأة ما بين صفحة الأدب وبريد المواقف أو صفحة الصحة .

٢ ــ تخصص مجلة البحرين ركنا منفصلا للأسرة والمجتمع من ٣ : ٤ صفحات فى معظم الأعـــداد يحتوى على موضوعات عن المرأة والطفـــل والتسريحات والأزياء والطهى ومعلومات طريفة كما ينشر به احيـــانا باب بعنوان : « أريد حـــلا » ويخصص للمشاكل العاطفية ورد المحررة عليها .

٣ ــ تخصص مجلة البحرين صفحة منفردة بعنوان « للصغار فقط » تنشر صورا للأصـــدقاء وتهانى بالمولود الجـــديد .. بدون تقديم معلومات أو مسابقات للأطفـــال .

٤ ــ يلاحظ ان مجلة البحرين تبـــدى اهتماما بالأسرة والطفل أكثر من مجلة المواقف وفى موضوعات الأسرة تركز المجلة على الطفل كأهم عضو فى الأسرة وتعتنى بتقـــديم معلومات علمية صحيحة عن أسس تربيتهم ودور الأسرة والمدرســـة فيها .

نتائج اللقاءات مــع الفتيات الخليجيات فى القاهرة

لقــد تم اجراء عــدة لقاءات مــع عــدد من الطالبات الخليجيات اللاتى يدرســن بالجامعات المصرية حيث اجريت عــدة مناقشات حــول أوضاع المرأة الخليجية ومشكلاتها الاجتماعية فى المرحلة الراهنــة وذلك بهــدف اجراء المقارنة بين صــورة المرأة الخليجية كما نعرضها الصحف وبين الواقع الفعلى الذى تم استخلاصه من هــذه اللقاءات .

ويمكن تلخيص نتائج هــذه المناقشات فى النقاط التالية :

١ ـــ الحصار الاجتماعى المضروب حــول المرأة العربية بصفة عامة نتيجة للتمسك الشديد بالتعاليم الدينية والنظر الى المرأة كأنثى مكانها البيت .

٢ ـــ حرمان بعض الفتيات من التعليم وأن كانت هــذه المشكلة قــد خفت حــدتها فى السنوات الأخيرة فسمح للفتاة بالتعليم حتى الجامعــة وأحيانا تتعلم بالخارج .. وظــل الحصار مفروض على فتاة البادية فى بعض الأسر التى لم ينم وعيها بدرجــة كافية .

٣ ـــ التبعية الاقتصادية للرجل : فالوصول الى أعلى درجات التعليم لا يعنى السماح للفتاة بالعمل وهناك مجالات محظور عمل المرأة بها كالعمل الدبلوماسى مثلا وينحصر العمل فى حقــل التربية والتعليم أو المستشفيات أو وزارة الشئون الاجتماعية ٩٠٪ من النســاء العاملات يعملن بحقل التدريس .

٤ ـــ انعــدام المشاركة السياسية وتخلف درجــة المشاركة المسموح بها للمرأة فى دول الخليج العربى فهى أما محرومة من حقوقها السياسية كحق الترشيح والانتخاب أو انها منحت هــذا الحق ولكن انخفاض درجة الوعى الذى وصلت اليه المرأة يحول دون ذلك .

٥ ـــ حرمان الفتاة من حــق اختيار شريك حياتها .

أما عن المشكلات المتعلقة بواقع المرأة الخليجية خصوصا فى مرحلة ما بعــد اكتشاف النفط (عينة طالبات الامارات) فيمكن تلخيصها على النحــو التــالى :

١ ــ الترف : نتيجة لاكتشاف البترول ولارتفاع مستوى المعيشة فى دولة الامارات أصبح الترف سمة مميزة للشرائح العليا فى المجتمع وبالتالى فكل سبل الرفاهية توفرت للمرأة فى الامارات ونتج عن ذلك تفسخ العلاقات داخــل الأسرة .. فالعلاقة بين الطفل وامه أصبحت اقــل تماسكا عن ذى قبل نتيجة وجــود الخادمة والمربية من أصل أسيوى التى تقضى للطفل حاجاته وتقلل من اعتماده على أمه ، وبالتالى يتشرب الأطفـــال عادات وطباع غير محلية تؤثر فى سلوكه . والدليل على ذلك أن بعض الجرائم ارتكبها أطفال بتحريض من خـدمهم الآسيويين . وينتج عن الترف كمشكلة اساسية عــدد من المشاكل الفرعية .

٢ ــ الفراغ : نتيجة لتوفر وسائل الرفاهية للمرأة وحرمانها من حــق التعليم وأن حصلت عليه منعت من العمل ونتيجة لقيام أفراد آخرين بانجاز الأعمال التقليدية التى تشمل أعمال ــ المنزل وتربية الأطفال ولعــدم وجود مؤسسات اجتماعية تستوعب هــذا الفراغ وتشغله أدى فراغ الزوجات وانشغال الأزواج الى انفصال فكرى بينهما .

٣ ــ وكاحــدى نتائج الترف والفراغ أصبحت المراة فى الامارات غير قادرة وغير مستعدة لبــذل أى مجهود عقلى أو حركى لأنها اعتادت على الراحــة وبالتالى قــل نشاطها فى الجمعيات النسائية وهى المؤسسات الاجتماعية الوحيدة التى تمارس المرأة نشاطها من خلالها . كما عجزت هذه الجمعيات عن استقطاب اهتمام الطالبات وخريجات الجامعة للمشاركة فى الأنشطة والتنمية ومحــو الأمية ويرجع هــذا الى ضعف الكوادر الادارية وعــدم وجود أنشطة رياضية أو ثقافية على مستوى يجــذب الطالبات .. فمعظم هــذه الجمعيات ترأسها زوجات المشايخ وبالتالى لا تلقى اقبــالا من المرأة العادية باستثناء جمعية دبى التى ترأسها سيدة عادية لذلك فقد نجحت فى جــذب المرأة هنــاك .

ولكن الجمعيات النسائية بصــفة عامة لم تنجح اعــلاميا كتجمعات نسائية حيث لا توجــد لهــا برنامج محــدد بالاضافة الى سلبية المثقفات وعــدم مشاركتهن فى أنشطتها .. لكنها بدأت أخيرا فى ادخال عناصر شابة .

٤ ــ **الزواج المبكر** : ويكثر فى المناطق المتخلفة الشرقية أو الجنوبية من الامارات حيث تزوج الفتاة فى سن ١٠ أو ١٢ سنة وان كانت هذه الظاهرة بدأت فى الانحسار بعد انتشار الوعى بين الأهالى ·

٥ ــ **المغالاة فى المهور** : كتقليد من تقاليد الزواج اعتادت العائلات الكبيرة ان تغالى فى مهور بناتها فيضعون بذلك عقبة أمام الشباب من المواطنين لذلك يلجأ الكثير منهم الى الزواج من الأجنبيات ·

٦ ــ **التحيزات العرفية** : بعض المقيمين فى الامارات ليسوا من أصل عربى ولكن من أصل فارسى لذلك فبعض العائلات الكبيرة تتمسك بزواج بناتها من عائلات أصلها عربى ولا يقبلون الزواج من الفرس ·

٧ ــ **المشاركة السياسية** : مشاركة المرأة فى السياسة منعدمة فلا يوجد برلمان فى الامارات ولكن يوجد مجلس وطنى ويختار أعضاؤه بالتعيين كما توجد مجالس بلدية ولم تشارك المرأة فى أى من هذه المجالس ·

النتـــائج العـــامة للدراســـة

أسفرت المؤشرات الاستطلاعية والتحليلات الجزئية لمضمون صفحات المرأة فى كل من جريدتى الوطن الكويتية والاتحـــاد (ابو ظبى) وكل من مجلة أسرتى (الكويت) وزهرة الخليـــج (ابو ظبى) والمواقف والبحرين (البحرين) خـــلال عام ١٩٨٠ عن النتائج التالية :

١ — تقـــدم لنا الصحف الخليجية المرأة فى مواقعهـــا الاجتماعيـــة التقليدية كزوجة وام وربة بيت ثم كطالبه واخيرا كموظفة . وقـــد أدى ذلك الى تركيزها على قضايا الزواج والطلاق وقوانين الأحوال الشخصية وحقوق المطلقات اكثر بمـــا لا يقاس من الاهتمام بقضايا ومشكلات المرأة الخليجية فى مواقع الانتاج والعمل والمشاركة السياسية والثقافية والاجتماعية .

٢ — تتخـــذ الصحف الخليجية التى خضعت للدراسة موقفا معـــاديا لعمل المرأة بل تحرص على المطالبة بضرورة عـــودة المرأة الى البيت ومنعها من العمل بحجة حاجة البيت والطفل الى جهودها اكثر من حاجـــة المجتمع لدورها العام . وتستند هـــذه الصحف فى موقفها المعـــادى لعمل المرأة الى أسانيد دينية واجتماعية فى الغالب وتتبنى هـــذا الاتجاه مجلة أسرتى الكويتية . هذا بينما تركز مجلة الأزمنة العربية على قضايا التحرر الاجتماعى والانسانى للمرأة الخليجية وتبدى تشجيعا واضحا ومساندة لحـــق المرأة فى العمل والمشاركة الاجتماعية والسياسية .

٣ — تتوجه الصحف الخليجية فى مجملها الى نساء المدن المتعلمـــات ســـواء ربات البيوت أم الموظفات والطالبات وتبدى تجاهلا واضحا ازاء قضايا ومشكلات نساء البادية اللاتى يشكلن أكثر القطاعات النسائية تخلفا وفقرا وأمية فى منطقة الخليج .

٤ — تهتم المجلات النسائية فى الخليج بالتركيز على النماذج الغربية للمرأة كما تروج للقيم الاستهلاكية الغربية من خلال المواد الاعلامية والاعلانات التى تنشرها عن الأزياء والمكياج والأثاثات الغربية كرمز للعصرية والتحضر .

٥ ــ يغلب الطابع الدينى على معالجة قضايا المرأة فى معظم الصحف والمجلات الخليجية (مجلة أسرتى ،جريدة الاتحاد ، الوطن جزئيا) بينما يغلب الطابع العلمانى العصرى على معالجة الأزمنة العربية لقضايا المرأة هذا فى الوقت الذى تتميز ردود القراء فى نفس المجلة بالطابع الدينى .

٦ ــ تنفرد مجلة الأزمنة العربية بمعالجة قضايا المرأة كجزء من قضايا المجتمع كما تتميز بنشر وجهات النظر المختلفة المتعلقة بحقوق المرأة الخليجية وقضاياها وهمومها اذ تضم بين صفحاتها أشد الآراء مناصرة لحرية المرأة وحقها فى العمل والتحرر الاجتماعى وفى ذات الوقت تهتم بنشر ردود القراء وآرائهم التى تتضمن فى الغالب رؤية تقليدية محافظة بشأن قضايا المرأة .

٧ ــ رغم التقدم الاجتماعى والثقافى الذى أحرزته المرأة فى بعض دول الخليج وخصوصا الكويت والبحرين ورغم أن الصحف الخليجية تتوجه أساسا الى القطاعات النسائية المتعلمة الا أن ذلك لا ينعكس على مضامين المواد الاعلامية الخاصة بالمرأة والتى يدور اغلبها حول المسائل والاهتمامات التقليدية (الطهى ــ الأزياء ــ المكياج ــ تربية الأطفال) .

وان كان ذلك لا يعنى عدم اهتمام الصحف الخليجية بالكتابة عن النماذج الناجحة من النساء الخليجيات سواء فى مجال العمل أو النشاط الاجتماعى ولكن بنسبة تقل كثيرا عن الصورة الفعلية للمرأة فى الخليج .

٨ ــ هناك اجماع لدى الطالبات الخليجيات على احساسهن بالاغتراب ازاء ما تنشره الصحف والمجلات الخليجية عن المرأة (مع بعض الاستثناءات القليلة مثل مجلة الأزمنة العربية) . اذ يرون أنها تعكس أفكارا وثقافات وأفدة ولا تعكس القضايا الحقيقية التى تعانى منها غالبية النساء الخليجيات سواء ربات البيوت اللاتى ينتظرن من الصحافة أن تساعدهن على شغل أوقات فراغهن بطريقة ايجابية تساعد على تنمية وتطوير قدراتهن العقلية والابداعية والاجتماعية كذلك الموظفات والطالبات اللائى لا يجدن فى الصحف أدنى انعكاس أو اهتمام بجوهر القضايا والهموم التى تصادفهن فى هذه المرحلة الحرجة من التطور الاجتماعى لمنطقة الخليج ، أوينتظرن من الصحافة أن تفتح أمامهن آفاق الثقافة الجادة

وترشدهن الى كيفية الاسهام بفاعلية فى تطـــوير وتنمية مجتمعاتهن من خلال عرض تجارب النسـاء والدور الذى تمن به فى النهوض بمجتمعاتهن ســـواء فى العالم المتقـــدم أو العالم النامى ، أو التركيز على الجوانب الايجابية فى حياة النسـاء العاملات فى العالم العربى ودول الخليج ايضا ، كذلك يطالبن بضرورة عرض قضية المرأة كجزء لا يتجزأ من قضـايا المجتمع وتجنب الفصل التعسفى الذى يؤدى الى الوقوع فى اسار النظرة الجزئية لوضع المرأة ودورها الحقيقى فى تنمية وتطـــوير مجتمعها . ممـــا يؤدى فى النهاية الى التضليل والاســـاءة الى قضايا المرأة والمجتمع وذلك بالعمـــل على تكريس الأوضاع التقليدية المتخلفة بترسيخ القيم المعادية لنهوض المجتمع بنســـائه ورجـــاله معـــا .

صدر للمؤلفة

١ ــ مقدمة فى الصحافة الأفريقية ــ القاهرة ــ دار الفكر العربى (الطبعة الأولى ١٩٨٠ ، الطبعة الثانية ١٩٨٥) .

٢ ــ الصحافة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ ــ ١٩٥٤ ــ القاهرة ــ دار الثقافة الجديدة ــ ١٩٨٠ .

٣ ــ دراسات فى الصحافة المصرية والعربية ــ القاهرة ــ العربى للنشر والتوزيع ــ ١٩٨١ .

٤ ــ مصر وفلسطين (الطبعتان الأولى والثانية) الكويت سلسلة عالم المعرفة ــ المجلس الوطنى للثقافة ، ١٩٨٠ ، ١٩٨٥ .

٥ ــ صورة أفريقيا ، الصحافة العربية ــ القاهرة ــ دار الفكر العربى (الطبعة الثانية) ١٩٨٥ .

٦ ــ الصحافة العربية فى الجزائر ١٩٥٤ ــ ١٩٦٢ . القاهرة ــ معهد الدراسات العربية (الطبعة الأولى) ١٩٧٨ (الطبعة الثانية) الشركة الوطنية بالجزائر ١٩٨٧ .

٧ ــ تحليل المضمون فى الدراسات الاعلامية (بالاشتراك مع آخرين) القاهرة ــ العربى للنشر والتوزيع ــ ١٩٨٣ .

٨ ــ قضايا التبعية الاعلامية والثقافية فى العالم الثالث ــ الكويت ــ سلسلة عالم المعرفة ــ المجلس الوطنى للثقافة والآداب ــ ١٩٨٤ .

٩ ــ اشكالية الاعلام التنموى فى الوطن العربى ــ القاهرة ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٨٥ .

١٠ ــ اسرائيل وأفريقيا ١٩٤٨ ــ ١٩٨٤ (بالاشتراك مع حلمى شعراوى) ــ القاهرة ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٨٦ .

١١ ــ دراسات فى الصحافة المصرية المعاصرة ــ القاهرة ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٨٦ .

١٢ ــ المدرسة الاشتراكية فى الصحافة (الحقبة اللينينية ١٩٨٦ ــ ١٩٢٣) ــ القاهرة ــ دار الثقافة الجديدة (الطبعة الثانية) ــ ١٩٨٨ .

الفهـــرس

صفحة

رقم الايداع بدار الكتب القومية

١٩٨٩/٢٦٧٨

دار الاشـــعاع للطباعة
١٤ شارع عبد الحميد ـــ جنينة قاميش
السيدة زينب ـــ القاهرة
ت : ٣٦٣٠٤٦٩

غلاف من تصميم وتنفيذ : المركز الجرافيكي العربي بالقاهرة

الكويت
٢٠٠٦م